



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

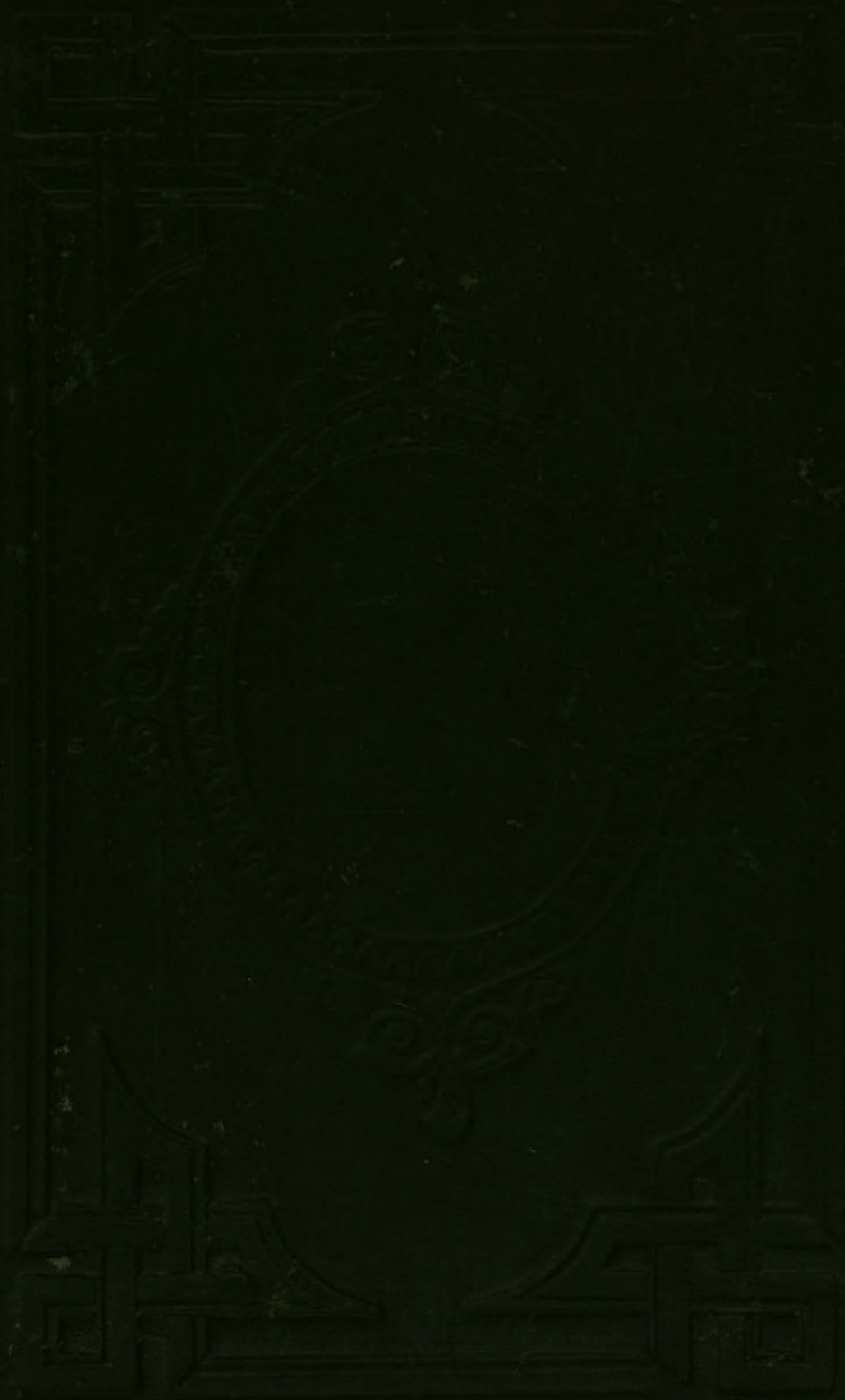
Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>



Library of



Princeton University.

﴿ يقول مصححه الراجي غفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم ﴾

حمدا متعاليا عن التشريك * للواحد الاحد المنزه عن الشريك * وصلاة وسلاما على صاحب الدين
الحنيف القويم * سيدنا محمد الهادي باقواله وأفعاله الى الصراط المستقيم * وآله الهادين * وأصحابه الذين
شادوا الدين * ومن نحا نحوهم * وتمسك بهديهم * آمين ﴿ وبعد ﴾ فقد تم الكتاب المعرب عن حقيقة
الدين القويم * الذي هو كاسمه الصراط المستقيم * للامام الاوحد * والفرد الامجد * شيخ الاسلام
والمسلمين * خاتمة الائمة المحققين * الشهير بابن تيمية الحراني * اسكنه مولاة من الجنة دار التهانى *

ملتزم مطبعه بالاتفاق عليه رغبة في الثواب الجزيل الكثير ﴿ حضرة أمين أفندي الخانجي

الكتبي الشهير ﴾ وكان طبعه الميمون وتمثيل هذا الشكل المصون بالمطبعه

العامره الشهيرة الشرفيه * ادارة المعتمد على فيض فضل رب

البريه * حضرة حسين أفندي شرف * اوائل عام

١٣٢٦ من هجرة من له العزة والشرف *

عليه الصلاة والسلام *

ما دامت الليالى

والايام

آمين

الواحد وانه جمع بين النقيضين وهذا هو في غاية الجبل والضلال واما الرسل صلوات الله عليهم فطريقهم
طريقة القرآن قال سبحانه وتعالى سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين والله تعالى يخبر في كتابه انه حي قيوم عليم حكيم غفور رحيم سميع بصير على عظيم خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وكلم موسى تكليما وتجيلى للجبل فجعله
دكا يرضى عن المؤمنين ويغضب على الكافرين الى امثال ذلك من الاسماء والصفات ويقول في النفي ليس
كمنه شيء ولم يكن له كفوا أحد هل تعلم له سميا فلا تجعلوا لله أندادا فنفى بذلك ان تكون صفاته
كصفات المخلوقين وانه ليس كمنه شيء لاني نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في شيء من صفاته
ولا أفعاله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان
من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا فالؤمن يؤمن بالله وماله من
الاسماء الحسنى ويدعوه بها ويحسب الاحاد في اسمائه وآياته كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها
وذروا الذين يلحدون في اسمائه وقال تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا وهو يدعو الله
وحده ويعبده وحده لا يشرك بعبادة ربه أحدا ويحسب طريق المشركين الذين قال الله تعالى فيهم قل
ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقال تعالى
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من
شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وهذه جل لها تفاصيل ونكت تشير الى خطب جليل فليجتهد
المؤمن في تحقيق العلم والايمان وليتخذ الله هاديا ونصيرا وحاكما ووليا فانه نعم المولى ونعم النصير وكفى
بربك هاديا ونصيرا وان أحب دعا بالدعاء الذي رواه مسلم وأبو داود وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي من الليل يقرل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وذلك ان الله تعالى يقول كان
الناس أمة واحدة أي اختلفوا كما في سورة يونس وقد قيل انها كذلك في حرف عبد الله فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف
فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين كل وقت وحين آمين

ذلك في سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون. وقل هو الله أحد فان قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن اذا كان القرآن باعتبار معانيه ثلاثة ائلاث ثلث توحيد وثلث قصص وثلث أمر ونهى لان القرآن كلام الله والكلام اما انشاء واما اخبار والاخبار اما عن الخالق واما عن المخلوق والانشاء أمر ونهى واباحة فقل هو الله أحد فيها ثلث التوحيد الذي هو خبر عن الخالق وقد قال صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وعدل الشئ بالفتح يكون مساوياه من غير جنسه كما قال تعالى أوعدل ذلك صياما وذلك يقتضى ان له من الثواب مايساوى ائلك في القدر ولا يكون مثله في الصفة كمن معه ألف دينار وآخر معه مابعد لها من الفضة والنحاس وغيرها ولهذا يحتاج الى سائر القرآن ولا تغنى عنه هذه السورة مطلقا كما يحتاج من معه نوع من المال الى سائر الانواع اذا كان العبد محتاجا الى الامر والنهى والقصص وسورة قل هو الله أحد فيها التوحيد القولى العملى الذى تدل عليه الاسماء والصفات ولهذا قال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع وسورة قل يا أيها الكافرون فيها التوحيد التصدى العملى كما قال تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وبهذا يتميز من يعبد الله ممن يعبد غيره وان كان كلاهما يقران بان الله رب كل شئ ومليكه ويتميز عباد الله المخلصون الذين لم يعبدوا الا اياه ممن عبدوا غيره وأشركوا به أو نظروا الى القدر الشامل لكل شئ فسوى بين المؤمنين والكفار كما كان يفعل المشركون من العرب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انها براءة من الشرك وسورة قل هو الله أحد فيها اثبات الذات وما لها من الاسماء والصفات الذى يتميز بها مثبتو الرب الخالق الاحد الصمد من المعطلين له بالحقيقة نفاة الاسماء والصفات المضاهين لفرعون وامثاله ممن أظهر التعطيل والجحود للاله المعبود وان كان فى الباطن يقربه كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مشبورا والله سبحانه بعث أنبياءه بأثبات مفصل ونفى مجمل فأثبتوا له الاسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات ومن خالفهم من المعطلة المتفلسنة وغيرهم عكسوا القضية فجأزأ بنفى مفصل وأثبت مجمل يقولون ليس كذا ليس كذا فاذا أرادوا اثباته قالوا وجود مطلق بشرط النفى أو بشرط الاطلاق وهم يقرون فى منطقهم البيونانى ان المطلق بشرط الاطلاق لا يكون فى الخارج فليس فى الخارج حيوان مطلق بشرط الاطلاق ولا انسان مطلق بشرط الاطلاق ولا موجود مطلق بشرط الاطلاق بخلاف المطلق لا بشرط الذى يطلق على هذا وهذا وينقسم الى هذا وهذا فان هذا يقال انه فى الخارج لا يكون الا معيانا مشخصاً أو يقولون انه الوجود المشروط بنفى كل ثبوت عنه منه فيكون مشاركا لسائر الموجودات فى مسمى الوجود متميزا عنها بالعدم وكل موجود متميز بامر ثبوت والوجود خيرا من العدم فيكون أحقر الموجودات خيرا من العدم وذلك ممتنع لان المتميز بين الموجودين لا يكون عدما محضاً بل لا يكون الا وجودا فهو لاء الذين يدعون انهم أفضل المتأخرين من الفلاسفة المشائين يقولون فى وجود واجب الوجود ما يعلم بصريح المعقول الموافق لقوانينهم المنطقية انه قول بامتناع الوجود

ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير وقال تعالى مأصাব من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فهذا وجه احتجاج آدم بالقدر ومعاذ الله ان يحتاج آدم أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر فانه لو ساغ هذا لساغ ان يحتاج ابايس ومن اتبعه من الجن والانس بذلك ويحتاج به قوم نوح وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان ولم يعاقب أحدا وهذا مما يعلم فسادة بالاضطرار شرعا وعقلا فان هذا انقول لا يطرده أحد من العقلاء فان طرده يوجب ان لا يلام أحد على شيء ولا يعاقب عليه وهذا المحتج بالقدر لوجبي عليه جان لطالبه فان كان القدر حجة فهو حجة للجاني عليه والا فليس حجة لاهذا ولا لهذا ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا لم يمكن الناس ان يعيشوا اذا كان لكل من اعتدى عليهم ان يحتاج بذلك فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه ولا يمكن اثنين من أهل هذا القول أن يعيشا اذا اكل منهما ان يقتل الآخر ويفسد جميع أموره محتجا على ذلك بالقدر ثم ان أولئك المبتدعين الذين أدخلوا في التوحيد نفي الصفات وهؤلاء الذين أخرجوا عنه متابعة الامر اذا حققوا القولين افضى بهم الامر الى ان لا يفرقوا بين الخالق والمخلوق بل يقولوا بوحدة الوجود كما قاله أهل الاتحاد القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد الذين يعظمون الاصنام وعابديها وفرعون وهامان وقومهما ويجعلون وجود خالق الارض والسموات هو وجود كل شيء من الموجودات ويدعون التوحيد والتحقيق والعرفان وهم من أعظم أهل الشرك والتليس والبهتان يقول عارفهم السالك في أول أمره يفرق بين الطاعة والمعصية أى نظرا الى الامر ثم يرى طاعة بلا معصية أى نظرا الى القدر ثم لا طاعة ولا معصية أى نظرا الى ان الوجود واحد ولا يفرق بين الواحد بالعين والواحد بالنوع فان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود والوجود ينقسم الى قائم بنفسه وقائم بغيره وواجب وممكن بنفسه كما ان الحيوانات مشتركة في مسمى الحيوان والاناسى يشتركون في مسمى الانسان مع العلم الضروري بانه ليس عين وجود هذا الانسان هو عين وجود هذا الفرس بل ولا عين هذا الحيوان وحوائيته وانسانيته هو عين هذا الحيوان وحوائيته وانسانيته لكن بينهما قدر مشترك تشابها فيه قد يسمى كلياً مطلقاً وقدرا مشتركا ونحو ذلك وهذا لا يكون في الخارج عن الاذهان كلياً عاماً مطلقاً بل لا يوجد الا معيناً مشخصاً فكل موجود فله ما يخصه من حقيقته مما لا يشركه فيه غيره بل ليس بين موجودين في الخارج شيء بعينه اشتركا فيه ولكن تشابهاً ففى هذا نظير ما فى هذا كما أن هذا نظير هذا وكل منهما متميز بذاته وصفاته عما سواه فكيف الخالق سبحانه وتعالى وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع البسط الذى يليق به فانه مقام زلت فيه أقدام وضات فيه أحلام والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ومن أحكم الاصلين المتقدمين في الصفات والخلق والامر فيميز بين المأمور المحبوب المرضى لله وبين غيره مع شمول القدر لهما واثبت للخالق سبحانه الصفات التي توجب مباينته المخلوقات وانه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته اثبت التوحيد الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه كما نبه على

الاختراع ونحو ذلك فاذا ثبت انه لا يقدر على الاختراع الا الله وانه لا شريك له في الخلق كان هذا معنى قولنا لا اله الا الله ولم يعلم ان مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد كما قال تعالى ولئن سألتهم من خالق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون الآيات وقال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس وغيره تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ولا يخاص بمجرده عن الاشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله بل لا بد ان يخاص لله الدين فلا يعبد الا اياه فيكون دينه لله والا اله هو المألوه الذي تأله القلوب وكونه يستحق الالهية مستلزما لصفات الكمال فلا يستحق ان يكون معبودا محبوبا لذاته الا هو وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبيننا ان هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التامع الدال على وحدانية الرب تعالى فان التامع يمنع وجود المفعول لا يوجب فسادا بعد وجوده وذلك يذكر في الاسباب والبدائيات التي تجري مجرى العلل الفاعلات والثاني يذكر في الحكم والنهيات التي تذكر في العلل التي هي الغايات كما في قوله اياك نعبد واياك نستعين فقدم الغاية المقصودة على الوسيلة الموصلة كما قد بسط في غير هذا الموضع ثم ان طائفة ممن تنكلم في تحقيق التوحيد على طريق أهل النصف ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية والبناء فيه هو النهاية وأنه اذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح قال بهم الامر الى تعطيل الامر والتهى والوعد والوعيد ولم يفرقوا بين مشيئته الشاملة لجميع المخلوقات وبين محبته ورضاه المختص بالطاعات وبين كلماته الكونية التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر لشمول القدرة لكل مخلوق وكلماته الدينية التي اختص بموافقتها أنبياءه وأوليائه فالعبد مع شهوده الربوبية العامة الشاملة للمؤمن والكافر والبر والفاجر عليه أن يشهد الوهيته التي اختص بها عباده المؤمنين الذين عبدوه وأطاعوا أمره واتبعوا رسله قال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين الخ ومن لم يفرق بين أولياء الله واعدائه وبين ما أمر به وأوجبه من الايمان والاعمال الصالحات وبين ما كرهه ونهى عنه وابعضه من الكفر والفسق والبهتان مع شمول قدرته ومشيئته وخالقه لكل شئ والا وقع في دين المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شئ والندر يؤمن به ولا يحتج به بل العبد مأمور أن يرجع الى القدر عند المصائب ويستغفر الله عند الذنوب والمعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لاجل المصيبة التي حصلت لهم بأكله من الشجرة فذكر له آدم ان هذا كان مكتوبا قبل ان أخلق فحج آدم موسى كما قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض

حج البيت ومن شيوخهم من يحج البيت فاذا دخل الى المدينة رجع وطن ان هذ ابلغ ومن جهالهم من يتوهم ان زيارة القبور واجبة ومنهم من يسال الميت المقبور كما يسال الحى الذى لا يموت فيقول ياسيدى فلان اغفرلى وارحمى وتب على اويقول اقض عنى الدين وانصرنى على فلان وانا فى حسبك وجوارك وقد يندرون اولادهم للمقبور ويسبون له السوائب من البقر وغيرها كما كان المشركون يسبون السوائب لطواغيتهم قال تعالى ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله الى قوله ساء ما يحكمون ومن السدنة من يضل الجاهل فيقول انا اذ كر حاجتك لصاحب الصريح وهو يذكرها للنبي والنبي يذكرها لله ومنهم من يعلق على القبر المكذوب أوغير المكذوب من الستور والثياب ويضع عنده من مصوغ الذهب والفضة مما قد أجمع المسلمون على انه ليس من دين الاسلام والمسجد الجامع معطل خراب صورة ومعنى وما أكثر من يرى من هؤلاء ان صلاته عند القبر المضاف الى بعض المعظمين مع انه كذب فى نفس الامر أعظم من صلاته فى المساجد بيوت الله فيزدحمون للصلاة فى مواضع الاشراك المتبدعة التى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها مساجد وان كانت على قبور الانبياء ومهجرون الصلاة فى البيوت التى أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه التى قال فيها انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين ومن أكابرهم من يقول الكعبة فى الصلاة قبة العامة والصلاة الى قبر الشيخ فلان مع استتبار الكعبة قبة الخاصة وهذا وامثاله من الكفر الصريح باتفاق علماء المسلمين وهذه المسائل تحمل من البسط وذكر أقوال العلماء فيها ودلائلها أكثر مما كتبنا فى هذا المختصر وقد كتبنا فى ذلك فى غير هذا الموضع ما لا يتسع له هذا الموضع وانما نهينا فيه على رؤس المسائل وجنس الدلائل والتنبية على مقاصد الشريعة وما فيها من اخلاص الدين لله وعبادته وحده لاشريك له وما سدته من الذريعة الى الشرك دقه وجهه فان هذا هو أصل الدين وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين وقد غلط فى مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الارادة والعبادة حتى قلبوا حقيقة طائفة ظننت ان التوحيد هو نفي الصفات بل نفي الاسماء الحسنى أيضا وسعوا أنفسهم أهل التوحيد وأثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات ووجودا مطلقا بشرط الاطلاق وقد علم بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول أن ذلك لا يكون الا فى الاذهان لافى الاعيان وزعموا ان اثبات الصفات يستلزم ماسوءه تركيبا وظنوا ان العقل ينفيه كما قد كشفنا اسرارهم وبيننا فرط جهلهم وما أضلهم من الألفاظ الجملة المشتركة فى غير هذا الموضع وطائفة ظنوا أن التوحيد ليس الا الاقرار بتوحيد الربوبية وان الله خالق كل شئ وهو الذى يسمونه توحيد الافعال ومن أهل الكلام من أطال نظره فى تقرير هذا الموضع اما بدليل أن الاشتراك بوجوب نقص القدرة وفوات الكمال واستقلال كل من الفاعلين بالمفعول محال واما بغير ذلك من الدلائل ويظن انه بذلك قرر الوحانية واثبت انه لا اله الا هو وان الالهية هى القدرة على

في وقتين من أوقاته ولهذا شرع الله تعالى لبني اسرائيل السبت ثم نسخ ذلك وشرع الجمعة فكان الاجتماع يوم السبت واجبا اذ ذلك ثم صار الواجب هو الاجتماع يوم الجمعة وحرم الاجتماع يوم السبت فمن خرج عن شريعة موسى قبل النسخ لم يكن مسلما ومن لم يدخل في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد النسخ لم يكن مسلما ولم يشرع الله لنبي من الانبياء ان يعبد غير الله البتة قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فامر الرسل ان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امة واحدة وانا ربكم فاتقون وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم قال مبيدين اليه واثقوه واقموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون فاهل الاشراك متفرقون واهل الاخلاص متفقون وقد قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فاهل الرحمة مجتمعون متفقون والمشركون فرقوا دينهم وكانوا شيعا ولهذا تجد ما احداث من الشرك والبدع تفرق اهلها فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه ندا من دون الله فيقربون له ويستعينون به ويشركون به وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء بل قد يكون لاهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرى كما كان اهل المدينة يهلون لمناة الثالثة الاخرى ويتخرجون من الطواف بين الصفا والمروة حتي انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية وهكذا تجد من يتخذ شيئا من نحو الشرك كالبين يتخذون القبور وآثار الانبياء والصالحين مساجد تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستغاثة والتوجه عند من لا تعظمه الطائفة الاخرى بخلاف اهل التوحيد فانهم يعبدون الله ولا يشركون به شيئا في بيوتهم التي قد اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه مع انه قد جعلت الارض مسجدا وطهورا وان حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد لم يوجب ذلك تفرقا ولا اختلافا بل يعلمون ان المصيب منهم له اجران وان المجتهد المخطئ له اجر على اجتهاده وخطؤه مفعور له والله هو معبودهم اياه يعبدون وعليه يتوكلون وله يخشون ويرجون وبه يستعينون ويستغيثون وله يدعون ويسألون فان خرجوا الى الصلاة في المساجد كانوا مبتغيين فضلا منه ورضوانا كما قال تعالى في نعمهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وذلك اذا سافروا الى أحد المساجد الثلاثة لاسيما المسجد الحرام الذي امروا بالحج اليه قال تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا فهم يؤمنون ببيته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا لا يرغبون الى غيره ولا يرجون سواه ولا يخافون الاياه وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واسترلهم عن اخلاص الدين لله الى نوع من الشرك فيقصدون بالسفر والزيارة ارضا لغير الله والرغبة اليه ويشدون الرحال اما الى قبر نبي او صاحب او صالح او من يظن انه نبي او صاحب او صالح داعين له راغبين اليه ومنهم من يظن ان المقصود من الحج هو هذا فلا يستشعر الا قصد المخلوق المقبور ومنهم من يرى ان ذلك انفع له من

عليهم الحلال فاطاعوهم وقد قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فقرن بعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق والمؤمنون صدقوا الرسول فيما أخبر به عن الله وعن اليوم الآخر فآمنوا بالله واليوم الآخر واطاعوه فيما أمر ونهى وحلل وحرم فحرموا ما حرم الله ورسوله ودانوا دين الحق فإن الله بعث الرسول يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فأمرهم بكل معروف ونهاهم عن كل منكر وأحل لهم كل طيب وحرم عليهم كل خبيث ولفظ الاسلام يتضمن الاستسلام والانتقاد ويتضمن الاخلاص من قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل فلا بد في الاسلام من استسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا اله الا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر ان يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فقليل له يارسول الله الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفن الكبر ذاك فقال لا ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس ازدراؤهم واحتقارهم فاليهود موصوفون بالكبر والنصارى موصوفون بالشرك قال الله تعالى في نعت اليهود أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم وقال في نعت النصارى اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إله واحد الا إله الا هو سبحانه عما يشركون ولهذا قال الله تعالى في سياق النصارى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وقال تعالى في سياق تقريره للاسلام وخطابه لاهل الكتاب قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون الى قوله وما الله بغافل عما تعملون ولما كان أصل الدين الذي هو دين الاسلام واحدا وان تنوعت الشرائع قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انا معاصر الانبياء ديننا واحد والانبياء اخوة العلات و ن اولى الناس باين مريم لانا فليس بيني وبينه نبي فدينهم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو يعبد في كل وقت بما امر به في ذلك الوقت وذلك هو دين الاسلام في ذلك الوقت وتنوع الشرائع في الناسخ والمنسوخ من المشروع كتشريع الشريعة الواحدة فكما أن دين الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم هو دين واحد مع انه قد كان في وقت يجب استقبال بيت المقدس في الصلاة كما أمر المسلمون بذلك بعد الهجرة بيضعة عشر شهرا وبعد ذلك يجب استقبال الكعبة ويحرم استقبال الصخرة فالدين واحد وان تنوعت القبلة

باتنا مسلمون وقال تعالى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وقال تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً وقال تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن الآية وقد فسر اسلام وجهه لله بما يتضمن اخلاص قصده لله وهو محسن بالعمل الصالح المأمور به وهذان الاصلان جماع الدين ان لا نعبد الا الله وان نعبده بما شرع لا نعبد بالبدع قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وكان عمر بن الخطاب يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ليلوكم ايكم أحسن عملاً قال اخلصه وأصوبه قالوا يا أبا على ما أصوبه وأخلصه قال ان العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل واذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة وهذان الاصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الاسلام شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمداً رسول الله فان الشهادة لله بانه لا اله الا هو تتضمن اخلاص الانوهمية له فلا يجوز أن يتاله القلب غيره لاجب ولا خوف ولا رجاء ولا اجلال ولا أكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد ان يكون الدين كله لله كما قال تعالى وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك وكال دين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذى وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان فالؤمنون يحبون لله والمشركون يحبون مع الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله والشهادة بأن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فإثباته وجب اثباته ومانعاه وجب نفيه كما يجب على الخلق ان يثبتوا لله ما أثبتته من الاسماء والصفات وينفون عنه ما نفاه عنه من مماثلة المخلوقات فيخلصون من التعطيل والتشثيل ويكونون في اثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وعليهم أن يفعلوا ما أمروا به وان ينهوا عما نهى عنه ويحللوا ما حله ويحرموا ما حرمه فلا حرام الا ما حرمه الله ورسوله ولا دين الا ما شرعه الله ورسوله ولهذا ذم الله المشركين في سورة الانعام والاعراف وغيرها لكونهم حرموا ما لم يحرمه الله ولكونهم شرعوا ديناً لم يأذن الله به كما في قوله تعالى وجعلوا لله مآذراً من الحرث والانعام نصيباً الى آخر السورة وما ذكر الله في صدر سورة الاعراف وكذلك قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً فاخبره أنه أرسله داعياً اليه باذنه فمن دعا الى غير الله فقد أشرك ومن دعا اليه بغير اذنه فقد ابتدع والشرك بدعة والمبتدع يؤل الى الشرك ولم يوجد مبتدع الا وفيه نوع من الشرك كما قال تعالى اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وكان من شركهم أنهم أحلوا لهم الحرام فطاعوهم وحرّموا

أحب اليه مما سواها ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذا نقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال له عمر يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا من نفسي قال لا يا عمر حتي أكون أحب اليك من نفسك قال فلانت أحب الى من نفسي قال الآن يا عمر وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وأى الرسول خاصة وتسبحوه بكرة واصيلا أى تسبحوا الله تعالى فلايمان بالله والرسول والتعزير والتوقير للرسول والتسبيح لله وحده وهذا الاصل مبسوط في غير هذا الموضع وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحقيق التوحيد وتجريده ونفى الشريك بكل وجه حتي في الالفاظ كقوله صلى الله عليه وسلم لا تقولن أحدكم ما شاء الله وشاء محمد بل ما شاء الله ثم شاء محمد وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أنجعلني لله ندا بل ما شاء الله وحده والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن اخلاص الدين كله لله تحقيقاً لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فالصلاة لله وحده والصدقة لله وحده والصيام لله وحده والحج لله وحده الى بيت الله وحده فالقصد من الحج عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها ولهذا كان الحج شعار الخيفية حتي قال ضائفة من السلف حنفاء لله أى حجاجا فان اليهود والنصارى لا يحجون البيت قال طائفة من السلف لما أنزل الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى نحن مسلمون فانزل الله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقالوا الأنحج فقال تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام ديناً الآية عام في الاولين والآخرين بان دين الاسلام هو دين الله الذي عليه أنبياؤه وعباده المؤمنون كما ذكر الله ذلك في كتابه عن أول رسول بعثه الى أهل الارض نوح وابراهيم واسرائيل وموسى وسليمان وغيرهم من الانبياء والمؤمنين قال الله تعالى في حق نوح واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم الى قوله من المسلمين وقال تعالى في ابراهيم واسرائيل ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقال تعالى عن يوسف رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وقال تعالى في موسى وقومه وقال موسى لقومه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال في أنبياء بني اسرائيل انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاجبار الخ وقال تعالى عن بلقيس رب انى ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال تعالى عن أمة عيسى واذا أوحيت الى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد

ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى يامعاذ أتدرى ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يامعاذ أتدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قالت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن لا يعبدوا غير الله تعالى مستحق أن يعبد لا يشرك به شئ وهذا أصل التوحيد الذى بعث به الرسل وانزلت به الكتب قال تعالى واسئلكم من أرسائنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ويدخل فى ذلك أن لا تخاف الاياه ولا تنفى الاياه كما قال تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فجعل الطاعة لله وللرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده وكذلك قال تعالى ولولأنهم رضوا مما ناهى الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيموتنا الله من فضله ورسوله انا الى الله راجعون فجعل الايتاء لله وللرسول كما قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالاحلال ما حلله الرسول والحرام ما حرمه الرسول والدين ما شرعه الرسول وجعل التحسب بالله وحده فقال تعالى وقالوا حسبنا الله ولم يقل ورسوله كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أى حسبك وحسب من اتبعك الله فهو وحده كافيكم ومن ظن أن معناها حسبك الله والمؤمنون فقد غلط غلطا عظيما لوجوه كثيرة مبسطة فى غير هذا الموضع ثم قال وقالوا سيموتنا الله من فضله ورسوله فجعل الفضل لله وذكر الرسول فى الايتاء لانه لا يباح الا ما أباحه الرسول فليس لاحد ان يأخذ ما تيسر له ان لم يكن مباحا فى الشريعة ثم قال انا الى الله راجعون فجعل الرغبة الى الله وحده دون ما سواه كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فامر بالرغبة اليه ولم يأمر الله قط مخلوقا ان يسأل مخلوقا وان كان قد أباح ذلك فى بعض المواضع لكنه لم يأمر به بل الافضل للعبد ان لا يسأل قط الا الله كما ثبت فى الصحيح فى صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتنون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فجعل من صفاتهم أنهم لا يسترقون أى لا يطلبون من غيرهم ان يرقهم ولم يقل لا يرقون وان كان ذلك قد روى فى بعض طرق مسلم فهو غلط فان النبي صلى الله عليه وسلم رقى نفسه وغيره لكنه لم يسترق فالمسترق طالب الدعاء من غيره بخلاف الراقى غيره فانه داع له وقد قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله فهو الذى يتوكل عليه ويستعان به ويستغاث به ويخاف ويرجى ويعبد وتنبى القلوب اليه لاحول ولا قوة الا به ولا منجى منه الا اليه والقرآن كله يحقق هذا الاصل والرسول صلى الله عليه وسلم يطاع ويحب ويرضى ويسلم اليه حكمه ويعزز ويوقر ويتبع ويؤمن به وبما جاء به قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأبناءؤكم الى قوله أحب اليكم من الله ورسوله وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله

ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقد ثبت في الصحيح أن سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم اذا طابت منه الشفاعة بعد أن تطلب من آدم واولى العزم نوح و ابراهيم وموسى وعيسى فيردونها الى محمد صلى الله عليه وسلم العبد الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فأذهب الى ربي فاذا رأيته خررت له ساجدا فاحمد ربي بمحامد يفتحها على لأحسنها الآن فيقول اى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول رب أمتى رب أمتى فيجد لى حدا فادخلهم الجنة وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة من السلف كان اقوام يدعون العزير والمسيح والملائكة فانزل الله هذه الآية وقد أخبر فيها أن هؤلاء المسؤولين يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقد ثبت في الصحيح أن أباهريرة قال يا رسول الله أى الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة قال يا أباهريرة ابد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث احد اول منك لما رأيت من حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله يتغنى بها وجه الله فكلما كان الرجل اتم اخلاصا لله كان أحق بالشفاعة وأما من علق قلبه باحد من المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة فشفاع المخلوق عند المخلوق تكون باعانة الشافع للمشفوع له بغير اذن المشفوع عنده بل يشفع اما لحاجة المشفوع عنده اليه واما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته عنه والله تعالى غنى عن العالمين وهو وحده سبحانه يدبر العالمين كلهم فما من شفيع الا من بعد اذنه فهو الذى ياذن للشفيع فى الشفاعة وهو يقبل شفاعته كما يلهم الداعى الدعاء ثم يجيب دعاءه فلا امر كلامه فاذا كان العبد يرجو شفيعا من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وان اختار فقد لا ياذن الله له فى الشفاعة ولا يقبل شفاعته وافضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ثم ابراهيم وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمه أبى طالب بعد أن قال لاستغفرن لك ما لم أنه عنك وقد صلى على المنافقين ودعا لهم فقبل له ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وقيل له أولا ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم فقال لو أعلم انى لوزدت على السبعين يغفر لهم لزدت فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقال تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى الى قوله انهم آتيهم عذاب غير مردود ولما استغفر ابراهيم عليه السلام لابييه بعد وعده بقوله رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب قال تعالى قد كانت اكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابييه لاستغفرن لك وقال تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابييه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه والله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره ولارسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم وللمؤمنين على المؤمنين حقوق مشتركة

اذ قال لابييه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الى آخر الآيات وقال تعالى واتل عليهم نبأ
ابراهيم اذ قال لابييه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظّل لها عاكفين الى آخر القصة وقال تعالى
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الى قوله وباطل ما كانوا يعملون فهذا
عكوف المشركين وذلك عكوف المسلمين فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له
وعكوف المشركين على ما يربونه ويخافونه من دون الله وما يتخذونهم شركاء وشفعاء فان المشركين لم
يكن احد منهم يقول ان العالم له خالقان ولا ان الله معه اله يساويه في صفاته هذا لم يقله احد من المشركين
بل كانوا يقولون بان خالق السموات والارض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى قل ان الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
أفلا تذكرون الى قوله اني تسحرون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك فقال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقرهم الى الله زلفى وتشفع لهم كما
قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى أم اتخذوا من
الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض وقال تعالى عن صاحب يس ومالى لا أعبد الذى فطرني واليه
ترجعون الى قوله فاسمعون وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الى قوله ما كنتم
تزعمون وقال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق
طرفان ووسط فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الامة أثبتوا
الشفاعة التي نفاها القرآن والخواارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبار
من أمته بل أنكروا طائفة من أهل البدع انتفاع الانسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه
بصدقة غيره وصيامه عنه وأنكروا الشفاعة بقوله تعالى من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا
شفاعة وبقوله تعالى مالا ظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وغير ذلك وأما سالف الامة وأئمتها ومن تبعهم
من أهل السنة والجماعة فاثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبار
من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الانبياء والملائكة وقالوا انه لا يخلد في النار من
أهل التوحيد احد وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الانسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه بل
والصوم عنه في أصح قولى العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة وما كان في معنى الصوم وقالوا ان
الشفيع يطاب من الله ويسأله ولا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه قال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه

فصل

واصل دين المسلمين انه لا تختص بقعة بقصد العبادة فيها الا المساجد خاصة وما عليه المشركون واهل الكتاب من تعظيم بقاع للعبادة غير المساجد كما كانوا في الجاهلية يعظمون حراء ونحوه من البقاع هو مما جاء الاسلام بمحوه وازالته ونسخه ثم المساجد جميعها تشترك في العبادات فكل ما يفعل في مسجد يفعل في سائر المساجد الا ما خص به المسجد الحرام من الطواف ونحوه فان خصائص المسجد الحرام لا يشركه فيها شيء من المساجد كما انه لا يصلى الى غيره وامام مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى فان ما يشرع فيهما من العبادات يشرع في سائر المساجد كالصلاة والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف ولا يشرع فيهما جنس ما لا يشرع في غيرهما لا تقبيل شيء ولا استلامه ولا الطواف به ونحو ذلك لكنهما أفضل من غيرهما فالصلاة فيهما تضاعف على الصلاة في غيرهما أما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيح ان الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وروى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام فاني آخر الانبياء ومسجدي آخر المساجد وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفي مسلم ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان امرأة اشتكت شكوى فقالت ان شفائي الله لا اخرجن فلاحلين في بيت المقدس فبرأت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرتها بذلك فقالت اجلسي فكلتي ما صنعت وصلى في مسجد الرسول فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الكعبة وفي المسند عن ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي بمائة صلاة قال ابو عبد الله المقدسي اسناده على رسم الصحيح ولهذا جاءت الشريعة بالاعتكاف الشرعي في المساجد بدل ما كان يفعل قبل الاسلام من المجاورة بفار حراء ونحوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر حتى قبضه الله والاعتكاف من العبادات المشروعة بالمساجد باتفاق الائمة كما قال تعالى ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد اي في حال عكوفكم في المساجد لا تبشروهن وان كانت المباشرة خارج المسجد ولهذا قال الفقهاء ان ركن الاعتكاف لزوم المسجد لعبادة الله ومحظوره الذي يبطله مباشرة النساء فاما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر تمثال أو غير تمثال او العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي أو مقام نبي أو غير نبي فليس هذا من دين المسلمين بل هو جنس من دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه حيث قال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به علين

عنده هذا وليس تحت اديم السماء بعد القرآن كتاب أصح من البخارى فكيف بما ينقله كعب الاحبار وامثاله عن الانبياء وبين كعب وبين النبي الذي ينقل عنه الفسنة واكثروا قل وهو لم يسند ذلك عن ثقة بعد ثقة بل غايته أن ينقل عن بعض الكتب التي كتبها شيوخ اليهود وقد أخبر الله عن تبديلهم وتحريفهم فكيف يحل للمسلم أن يصدق شيئا من ذلك بمجرد هذا النقل بل الواجب أن لا يصدق ذلك ولا يكذبه أيضا الا بدليل يدل على كذبه وهكذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاسرائليات مما هو كذب على الانبياء أو ما هو منسوخ في شريعتنا ما لا يعلمه الا الله ومعلوم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قد فتحوا البلاد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وسكنوا بالشام والعراق ومصر وغير هذه الامصار وهم كانوا اعلم بالدين واتبع له ممن بعدهم وليس لاحد ان يخالفهم فيما كانوا عليه فما كان من هذه البقاع لم يعظموه أو لم يقصدوا تخصيصه بصلاة أو دعاء أو نحو ذلك لم يكن لنا ان نخالفهم في ذلك وان كان بعض من جاء بعدهم من أهل الفضل والدين فعل ذلك لان اتباع سبيلهم أولى من اتباع سبيل من خالف سبيلهم وما من أحد نقل عنه ما يخالف سبيلهم الا وقد نقل عن غيره ممن هو أعلم منه وافضل انه خالف سبيل هذا المخالف وهذه جملة جامعة لا يتسع هذا الموضوع لتفصيلها وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بيت المقدس ليلة الاسراء صلى فيه ركعتين ولم يصل مكان غيره ولا زاره وحديث المعراج فيه ما هو في الصحيح وفيه ما هو في السنن أو في المسانيد وفيه ما هو ضعيف وفيه ما هو من الموضوعات المختلفة مثل ما يرويه بعضهم فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له جبرائيل هذا قبر ابيك ابراهيم انزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه وانجب من ذلك انه قد روى فيه قيل له في المدينة انزل فصل ههنا قبل ان يبنى مسجده وانما كان المكان مقبرة المشركين والنبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة انما نزل هناك لما بركت ناقته هناك فهذا ونحوه من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في آياتها فضيلة عند المسلمين سواء كان مراد عيسى أو لم يكن بل قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يكن في الصحابة ولا التابعين لهم باحسان من يأتي للصلاة عنده ولا الدعاء ولا كانوا يقصدونه للزيارة اصلا وقد قدم المسلمون الى الشام غير مرة مع عمر بن الخطاب واستوطن الشام خلائق من الصحابة وليس فيهم من فعل شيئا من هذا ولم يبين المسلمون عليه مسجدا اصلا لكن لما استولى النصارى على هذه الامكنة في أواخر المائة الرابعة لما أخذوا البيت المقدس بسبب استيلاء الرافضة على الشام لما كانوا ملوك مصر والرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صحيح ولا نقل صريح ولا دين مقبول ولا دنيا منصوره قويت النصارى واخذت السواحل وغيرها من الرافضة حينئذ نقبت النصارى حجرة الخليل صلوات الله عليه وجعلت لها بابا وأثر النقب ظاهر في الباب فكان اتخاذ ذلك معبدا مما أحدثته النصارى ليس من عمل سلف الامة وخيارها

الشتاء والصيف ليكثر قصد الناس للبيت المقدس فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير والناس على دين
الملوك وظهر من ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا وصار
بعض الناس ينقل الاسرائيليات في تعظيمها حتى روى بعضهم عن كعب الاحبار عند عبد الملك بن مروان
وعروة بن الزبير حاضر ان الله قال للصخرة أنت عرشي الادي فقال عروة يقول تعالى وسع كرسيه
السموات والارض وانت تقول ان الصخرة عرشه وامثال هذا ولا ريب أن الخلفاء الراشدين لم يبنوا هذه
القبة ولا كان الصحابة يعظمون الصخرة ويشحرون الصلاة عندها حتى ابن عمر رضى الله عنهما مع كونه
كان يأتي من الحجاز الى المسجد الأقصى وكان لا يأتي الصخرة وذلك انها كانت قبة ثم نسخت وهى قبة
اليهود فلم يبق في شريعتنا ما يوجب تخصيصها بحكم كما ليس في شريعتنا ما يوجب تخصيص يوم السبت وفي
تخصيصها بالتعظيم مشابهة لليهود وقد تقدم كلام العلماء في يوم السبت وعاشوراء ونحو ذلك وقد ذكر
طائفة من متأخري الفقهاء من أصحابنا وغيرهم أن اليمين تغلظ بيت المقدس بالتحليف عند الصخرة كما
تغلظ في المسجد الحرام بالتحليف بين الركن والمقام وكما تغلظ في مسجده صلى الله عليه وسلم بالتحليف
عند منبره لكن ليس لهذا أصل في كلام أحمد ونحوه من الأئمة بل السنة أن تغلظ اليمين فيها كما تغلظ
في سائر المساجد عند المنبر ولا تغلظ اليمين بالتحليف عند ما لم يشرع للمسلمين تعظيمه كالانغلاظ بالتحليف
عند المشاهد ومقامات الانبياء ونحو ذلك ومن فعل ذلك فهو ضال مبتدع مخالف للشريعة وقد صنف
طائفة من الناس مصنفات في فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التي بالشام وذكروا فيها من الآثار
المنقولة عن أهل الكتاب وعن أخذ عنهم مالا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم وأمثلة من ينقل عنه
تلك الاسرائيليات كعب الاحبار وكان الشاميون قد أخذوا عنه كثيرا من الاسرائيليات وقد قال معاوية
رضي الله عنه ما رأينا في هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب أمثلة من كعب وان كنا لنبلو عليه الكذب
أحيانا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه واما أن يحدثوكم بحق فتكذبوهم ومن العجب أن هذه الشريعة
المحفوظة المخروسة مع هذه الامة المعصومة التي لا تجتمع على ضلالة اذا حدث بعض اعيان التابعين عن
النبي صلى الله عليه وسلم بحديث كعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وأبي العالية ونحوهم وهم من خيار
علماء المسلمين واكابر أئمة الدين توقف أهل العلم في مراسيلهم فمنهم من يرد المراسيل مطلقا ومنهم من
يقبلها بشروط ومنهم من يميز بين من عادته أن لا يرسل الا عن ثقة كسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي
ومحمد بن سيرين وبين من عرف عنه أنه قد يرسل عن غير ثقة كابي العالية والحسن وهؤلاء ليس بين أحدهم
وبين النبي صلى الله عليه وسلم الارجل او رجلان أو ثلاثة مثالا وامام ما يوجد في كتب المسلمين في هذه الاوقات
من الاحاديث التي يذكرها صاحب الكتاب مرسله فلا يجوز الحكم بصحتها باتفاق العلماء الا أن يعرف
أن ذلك من نقل أهل العلم بالحديث الذين لا يحدثون الا بما صح كالبخاري في المعلقات التي يجزم فيها
بانها صحيحة عنده وما عرفه كقوله وقد ذكر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ونحو ذلك فانه حسن

ينزل بي أمرهم غليظ الاتوخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وفي اسناد هذا الحديث كثيرين زيد وفيه كلام يوثقه ابن معين تارة ويضعفه اخرى وهذا الحديث يعمل به طائفة من اصحابنا وغيرهم فيتحررون الدعاء في هذا كما نقل عن جابر ولم ينقل عن جابر انه تحرى الدعاء في المكان بل تحرى الزمان فاذا كان هذا في المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وبنيت باذنه ليس فيها ما يشرع قصده بخصوصه من غير سفر اليه الامسجد قبا فكيف بما سواها

فصل

واما المسجد الاقصى فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال وكان المسلمون لما فتحوا بيت المقدس على عهد عمر بن الخطاب حين جاء عمر اليهم فسلم النصارى اليه البلد دخل اليه فوجد على الصخرة زبالة عظيمة جدا كانت النصارى القتها عليها معاندة لليهود الذين يعظمون الصخرة ويصلون اليها فاخذ عمر في ثوبه منها واتبعه المسلمون في ذلك ويقال انه سخر لها الانباط حتي نظفها ثم قال لكعب الاجار أين ترى أن ابني مصلي المسلمين فقال ابنه خلف الصخرة فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية أو كما قال أبنيه في صدر المسجد فان لنا صدور المساجد فبناه في قبلي المسجد وهو الذي يسميه كثير من العامة اليوم الاقصى والاقصى اسم للمسجد كله ولا يسمى هو ولا غيره حرما وانما الحرم بمكة والمدينة خاصة وفي وادي وج الذي بالطائف نزاع بين العلماء فبنى عمر المصلي الذي هو في القبلة ويقال ان تحته درجا كان يصعد منها الى ما امام الاقصى فبناه على الدرج حيث لم يصل الا اهل الكتاب ولم يصل عمر ولا المسلمون عند الصخرة ولا تمسحوا بها ولا قبلوها بل يقال ان عمر صلى عند محراب داود عليه السلام الخارج وقد ثبت أن عبد الله بن عمر كان اذا أتى بيت المقدس دخل اليه وصلى فيه ولا يقرب الصخرة ولا ياتياها ولا يقرب شيئا من تلك البقاع وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعترين كعمر بن عبد العزيز والاوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم وذلك أن سائر بقاع المسجد لامزية لبعضها على بعض الا ما بنى عمر رضى الله عنه لمصلي المسلمين واذا كان المسجد الحرام ومسجد المدينة اللذان هما أفضل من المسجد الاقصى بالاجماع فاحدهما قد ثبت في الصحيح عنه أنه قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام والاخر هو المسجد الذي اوجب الله حجه والطواف فيه وجعله قبلة لعباده المؤمنين ومع هذا فليس فيهما ما يقبل بالفم ولا ما يستلم باليد الا ما جعله الله في الارض بمنزلة اليمين وهو الحجر الاسود فكيف يكون في المسجد الاقصى ما يستلم او يقبل وكانت الصخرة مكشوفة ولم يكن أحد من الصحابة لا ولا منهم ولا علماء يؤمهم بخصها بعبادة وكانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان رضى الله عنهما مع حكمهما على الشام وكذلك في خلافة علي رضى الله عنه وان كان لم يحكم عليها ثم كذلك في اماره معاوية وابنه وابن ابنه فلما كان في زمن عبد الملك وجرى بينه وبين ابن الزبير من التهمة ما جرى كان هو الذي بنى القبة على الصخرة وقد قيل ان الناس كانوا يقصدون الحج فيجتمعون بابن الزبير أو يقصدونه بحجة الحج فعظم عبد الملك شأن الصخرة بما بناه عليها وجعل عليها من الكسوة في

في الجاهلية وكان المشركون يعظمونه فلما جاء الاسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي صلى الله عليه وسلم فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد وقصدوا ان يبنوه لابي عامر هذا والقضية مشهورة في ذلك فلم يبنوه لاجل فعل ما امر الله به ورسوله بل لغير ذلك فدخل في معنى ذلك من بني ابيية يضاهي بها مساجد المسلمين لغير العبادات المشروعة من المشاهد وغيرها لاسيما اذا كان فيها من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين والارصاد لاهل النفاق والبدع الخادين لله ورسوله ما يقوى بها شبهها لمسجد الضرار فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه وكان مسجد قبا أسس على التقوى ومسجده أعظم في تأسيسه على التقوى من مسجد قبا كما ثبت في الصحيح عنه انه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدى هذا فكلا المسجدين أسس على التقوى ولكن اختص مسجده بأنه اكد في هذا الوصف من غيره فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ويأتى مسجد قبا يوم السبت وفي السنن عن أسيد بن حضير الانصاري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة رواء ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قبا فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة رواء احمد والنسائي وابن ماجه قال بعض العلماء قوله من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قبا تنبيه على انه لا يشرع قصده بشد الرحال بل انما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح ان يتطهر فيه ثم يأتيه فيقصده كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر اليها واما المساجد الثلاثة فاتفق العلماء على استحباب آتيانها للصلاة ونحوها ولكن لو نذر ذلك هل يجب بالنذر فيه قولان للعلماء احدهما انه لا يجب بالنذر الايتان المسجد الحرام خاصة وهذا أحد قولى الشافعى وهو مذهب ابى حنيفة وبناء على اصله في انه لا يجب بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع والقول الثانى وهو مذهب مالك واحمد وغيرهما انه يجب آيتان المساجد الثلاثة بالنذر لكن ان أتى الفاضل أغناه عن آيتان المنفصول فاذا نذر آيتان مسجد المدينة ومسجد ايليا أغناه آيتان المسجد الحرام وان نذر آيتان مسجد ايليا أغناه آيتان مسجدى الحرمين وذلك انه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه وهذا يعم كل طاعة سواء كان جنسها واجبا أو لم يكن وآيتان الافضل اجراء للحديث الوارد في ذلك وليس هذا موضع تفصيل هذه المسئلة بل المقصود انه لا يشرع السفر الى مسجد غير الثلاثة ولو نذر ذلك لم يجب عليه فعله باتفاق الائمة وهل عليه كفارة يمين على قولين مشهورين وليس بالمدينة مسجد يشرع آتيانه الا مسجد قبا وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد ولم يخصها النبي صلى الله عليه وسلم بآيتان ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئا من تلك الا ما كن الاقباء خاصة وفي المسند عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فاستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه قال جابر فلم

غيرها وما لم يشرع فيها فالولى ان لا يشرع في غيرها ونحن استدللنا على ان ما لم يشرع هناك من التقبيل والاستلام اولى ان لا يشرع في غيرها ولا يلزم ان يشرع في غير تلك البقاع منه مثل ما شرع فيها ومن ذلك البنية التي على جبل عرفات التي يقال انها قبة آدم فان هذه لا يشرع قصدتها للصلاة والدعاء باتفاق العلماء بل نفس رقي الجبل الذي بعرفات الذي يقال له جبل الرحمة واسمه الاول على وزن هلال ليس مشروعا باتفاقهم وانما السنة الوقوف بعرفات اما عند الصخرات حيث وقف النبي صلى الله عليه وسلم واما بسائر عرفات فان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرفة كلها موقف وادفعوا عن بطن عرفة وكذلك سائر المساجد المبنية هناك كالمساجد المبنية عند الجمرات ويجنب مسجد الحيف مسجد يقال له غار المرسلات فيه نزلت سورة المرسلات وفوق الجبل مسجد يقال له مسجد الكيش ونحو ذلك لم يشرع النبي صلى الله عليه وسلم قصد شيء من هذه البقاع للصلاة ولا دعاء ولا غير ذلك وأما تقبيل شيء من ذلك والتمسح به فالامر فيه اظهر اذ قد علم العلماء بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا ليس من شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر طائفة من المصنفين في المناسك استحباب زيارة مساجد مكة وما حوّلها وكنيت قد كتبها في منسك كنيته قبل ان احج في أول عمرى لبعض الشيوخ جمعه من كلام العلماء ثم تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثه التي لا أصل لها في الشريعة واز السابقين الاولين من المهاجرين والانصار لم يفعلوا شيئا من ذلك وان أئمة العلم والهدى ينهون عن ذلك وان المسجد الحرام هو المسجد الذي شرع لنا قصده للصلاة والدعاء والطواف وغير ذلك من العبادات ولم يشرع لنا قصد مسجد بعينه بمكة سواء ولا يصلح ان يجعل هناك مسجد يراحمه في شيء من الاحكام وما يفعله الرجل في مسجد من تلك المساجد من دعاء وصلاة وغير ذلك اذا فعله في المسجد الحرام كان خيرا له بل هذا سنة مشروعة وأما قصد مسجد غيره هناك تحريا لفضله فبدعة غير مشروعة واصل هذا ان المساجد التي تشد الرحال اليها هي المساجد الثلاثة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا وقد روى هذا من وجوه أخرى وهو حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل العلم متناقي بالقبول عنه فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف من الاعمال الصالحة وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليه باتفاق اهل العلم حتى مسجد قبا يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال اليه فان في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وكان ابن عمر يفعله وفي لفظ لمسلم فيصلى فيه ركعتين وذكره البخارى بغير اسناد وذلك ان الله تعالى نهاه عن القيام في مسجد الضرار فقال والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل الى قوله تعالى والله عليم حكيم وكان مسجد الضرار قد بنى لابي عامر الفاسق الذي كان يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصر

وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن به الله واذا كان حكم مقام نبينا صلى الله عليه وسلم في مثل غار حراء الذي ابتدئ فيه بالانبياء والارسل وانزل عليه فيه القرآن مع انه كان قبل الاسلام يتعبد فيه وفي مثل الغار المذكور في القرآن الذي انزل الله فيه سكنته عليه فمن المعلوم ان مقامات غيره من الانبياء أبعد ان يشرع قصدها والسفر اليها لصلاة أو دعاء أو نحو ذلك اذا كانت صحيحة ثابتة فكيف اذا علم انها كذب أو لم يعلم صحتها وهذا كما انه قد ثبت باتفاق أهل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حج البيت لم يستلم من الاركان الا الركنين اليمانيين فلم يستلم الركنين الشاميين ولا غيرها من جوانب البيت ولا مقام ابراهيم ولا غيره من المشاعر واما التقبيل فلم يقبل الا الحجر الاسود وقد اختلف في الركن اليماني فقيل يقبله وقيل يستلمه ويقبل يده وقيل لا يقبله ولا يقبل يده والاقوال الثلاثة مشهورة فيذهب أحمد وغيره والعموابة انه لا يقبله ولا يقبل يده فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا ولا هذا كما تنطق به الاحاديث الصحيحة ثم هذه مسألة نزاع وأما مسائل الاجماع فلا نزاع بين الأئمة الاربعة وشيوخهم من أئمة العلم انه لا يقبل الركنين الشاميين ولا شيئا من جوانب البيت فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستلم الا الركنين اليمانيين وعلى هذا عامة السلف وقد روى ان ابن عباس ومعاوية طافا بالبيت فاستلم معاوية الاركان الاربعة فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستلم الا الركنين اليمانيين فقال معاوية ليس شيء من البيت متروكا فقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فرجع اليه معاوية وقد اتفق العلماء على مامضت به السنة من انه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام ابراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن وقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فاذا كان هذا بالسنة المتواترة وباتفاق لائمة لا يشرع تقبيله بالفم ولا مسحه باليد فغيره من مقامات الانبياء أولى ان لا يشرع تقبيلها بالأنف ولا مسحها باليد وايضا فان المكان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه بالمدينة النبوية دائما لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها فاذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكرى يمتن ويصلي عليه لم يشرع لامته التمسح به ولا تقبيله فكيف بما يقال ان غيره صلى فيه أو نام عليه واذا كان هذا ليس بمشروع في موضع قدميه للصلاة فكيف بالفعل الذي هو موضع قدميه للمشي وغيره هذا اذا كان الثقل صحيحا فكيف بما لا يعلم صحته أو بما تعلم انه كذب كحجارة كثيرة يأخذها الكذابون ويختون فيها موضع قدم ويزعمون عند الجهال ان هذا موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان هذا غير مشروع في موضع قدميه وقدمي ابراهيم الخليل الذي لا شك فيه ونحن مع هذا قد أمرنا ان نتخذ مصلى فكيف بما يقال انه موضع قدميه كذبا وافتراء عليه كالموضع الذي بصخرة بيت المقدس وغير ذلك من المقامات فان قيل قد أمر الله ان نتخذ من مقام ابراهيم مصلى فيقاس به غيره قيل له هذا الحكم خاص بمقام ابراهيم الذي بمكة سواء أريد به المقام الذي عند الكعبة موضع قيام ابراهيم أو أريد به المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى فلا نزاع بين المساميين ان المشاعر خصت من العبادات بما لم يشرکہا فيه سائر البقاع كما خص البيت بالطواف فما خصت به تلك البقاع لا يقاس بها

ما في جبل قاسيون وجبل الفتوح وجبل طور سيناء الذي بيت المقدس ونحو هذه البقاع فهذا ما يعلم كل من كان عالماً بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه من بعدهم أنهم لم يكونوا يقصدون شيئاً من هذه الامكنة فان جبل حراء الذي هو أطول جبل بمكة كانت قريش تنسب له قبل الاسلام وتتعبد هناك ولهذا قال أبو طالب في شعره * وراق ليرقى في حراء نازل * وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب اليه الخلاء فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه وهو التعمد الليالي ذوات العدد ثم يرجع فيتزود لذلك حتى تحفاه الوحي وهو بغار حراء فاتاه الملك فقال له اقرأ فقال لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ثم قال اقرأ فقلت لست بقارئ مرتين او ثلاثاً ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خالق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره الحديث بطوله فتحشبه وتعبه بغار حراء كان قبل المبعث ثم انه لما اكرمه الله بنبوته ورسالته وفرض على الخلق الايمان به وطاعته واتباعه أقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الاولين الذين هم افضل الخلق ولم يذهب هو ولا احد من أصحابه الى حراء ثم هاجر الى المدينة واعتمر اربع عمر عمره الحديبية التي صده فيها المشركون عن البيت الحرام والحديبية عن يمينك وانت قاصد مكة اذا مررت بالتنعيم عند المساجد التي يقال انها مساجد عائشة والجبل الذي عن يمينك يقال له جبل التنعيم والحديبية غريبه ثم انه اعتمر من العام القابل عمرة القضية ودخل مكة هو وكثير من أصحابه واقاموا بها ثلاثاً ثم لما فتح مكة وذهب الى ناحية حنين والطائف شرقي مكة فقاتل هوازن بوادي حنين ثم حاصر اهل الطائف وقسم غنائم حنين بالجعرانة فأتى بعمرته من الجعرانة الى مكة ثم انه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع وحج معه جماهير المسلمين لم يتخاف عن الحج معه الا من شاء الله وهو في ذلك كله لا هو ولا احد من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة ولم يكن هناك الا بالمسجد الحرام وبين الصفا والمروة وبمنى ومزدلفة وعرفات وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة وضربت له القبة يوم عرفة بخمر المجاورة لعرفة ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الاولين لم يكونوا يسيرون الى حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى ثانی اثنين اذ هما في الغار وهو غار بجبل ثور بماني مكة لم يشرع لامته السفر اليه وزيارته والصلاة فيه والدعاء ولا يني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة مسجداً غير المسجد الحرام بل تلك المساجد كلها محدثة مسجد المولد وغيره ولا شرع لامته زيارة موضع المولد ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى وقد بني هناك مسجد ومعلوم انه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بذلك ولكن يعلم أصحابه ذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم فلما لم يكونوا يلتفتون الى شيء من ذلك علم انه من البدع المحدثه التي لم يكونوا يعمدون بها عبادة وقرية وطاعة فمن جعلها عبادة وقرية

ما ذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد به الحض والمنع والثاني سؤال للمسؤول بما عنده من حجة المسؤول به وتعظيمه ورعاية حقه فان كان ذلك مما يقتضى حصول مقصود السائل حسن السؤال كسؤال الانسان بالرحم ومن هذا سؤال الله بالاعمال الصالحة وبدعاء انبيائه وشفاعتهم واما بمجرد الانبياء والصالحين ومحبة الله لهم وتعظيمهم لهم ورعايته لحقوقهم التي انعم بها عليهم فليس فيها ما يوجب حصول مقصود السائل الا بسبب بين السائل وبينهم اما محبتهم وطاعتهم فينبأ على ذلك واما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه فالتوسل بالانبياء والصالحين يكون بامرير اما طاعتهم واتباعهم واما دعاؤهم وشفاعتهم فمجرد دعائهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضع والمقصود هنا أنه اذا كان السلف والائمة قالوا في سؤاله بالخلق ما قد ذكرنا فكيف بسؤال المخلوق الميت سواء سئل ان يسأل الله او سأل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند قبر الميت واما مع غيبته وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة وسد الذريعة بلعنه من يتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد وان لا يصلى عندها لله ولا يسأل الا الله وحذر أمته ذلك فكيف اذا وقع نفس المحدث من الشرك واسباب الشرك وقد تقدم الكلام على الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد وقد تبين ان احداً من السلف لم يكن يفعل ذلك الا ما نقل عن ابن عمر انه كان يتحرى النزول في المواضع التي نزل فيها النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في المواضع التي صلى فيها حتى ان النبي صلى الله عليه وسلم توطأ وصب فضل وضوئه في أصل شجرة ففعل ابن عمر ذلك وهذا من ابن عمر تحرر لمثل فعله فانه قصد ان يفعل مثل فعله في نزوله وصلاته وصبه للماء وغير ذلك ولم يقصد ابن عمر الصلاة والدعاء في المواضع التي نزلها والكلام هنا في ثلاث مسائل * احداها ان التأسى به في صورة الفعل الذي فعله من غير ان يعلم قصده فيه او مع عدم السبب الذي فعله فهذا فيه نزاع مشهور وابن عمر مع طائفة يقولون باحد القولين وغيرهم يخالفهم في ذلك والغالب والمعروف عن المهاجرين والانصار انهم لم يكونوا يفعلون كفعل ابن عمر رضى الله عنهما وليس هذا مما نحن فيه الآن ومن هذا الباب انه لو تحرى رجل في سفره ان يصلى في مكان نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه اذا جاء وقت الصلاة فهذا من هذا القبيل * المسئلة الثانية ان يتحرى تلك البقعة للصلاة عندها من غير ان يكون ذلك وقتا لصلاته بل لو اراد أن ينشئ الصلاة والدعاء لاجل البقعة فهذا لم ينقل عن ابن عمر ولا غيره وان ادعى بغض الناس أن ابن عمر فعله فقد ثبت عن ابيه عمر انه نهى عن ذلك وتواتر عن المهاجرين والانصار انهم لم يكونوا يفعلون ذلك فيمتنع أن يكون فعل ابن عمر لو فعل ذلك حجة على ابيه وعلى المهاجرين والانصار * المسئلة الثالثة ان لا تكون تلك البقعة في طريقه بل يعدل عن طريقه اليها أو يسافر اليها سفرا طويلا أو قصيرا مثل من يذهب الى حراء ليصلى فيه ويدعو أو يسافر الى غار ثور ليصلى فيه ويدعو أو يذهب الى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلى فيه ويدعو ويسافر الى غير هذه الامكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الانبياء او غيرهم أو مشهد مبنى على أثر نبي من الانبياء مثل مكان مبنى على نعله ومثل

وسلم انه قال من كان حالفاً فليحلف بالله أولي صمت وفي لفظ الترمذى من حلف بغير الله فقد اشرك قال الترمذى حديث حسن ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله لان لفظ الغير قد يراد به المباين المنفصل ولهذا لم يطلق السلف وسائر الأئمة على القرآن وسائر صفات الله أنها غيره ولم يطلقوا عليها انها ليست غيره لان لفظا الغير فيه اجمال قد يراد به المباين المنفصل فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ الغير وقد يراد به ما يمكن تصوره دون تصور ما هو غير له فيكون غيرا بهذا الاصطلاح ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى الغير والنزاع في ذلك لفظي ولكن بسبب ذلك حصلت في مسائل الصفات من الشبهات مالا يتجلى الا بمعرفة ما وقع في الالفاظ من الاشتراك والابهامات كما قد بسط في غير هذا الموضع ولهذا يفرق بين قول القائل الصفات غير الذات وبين قوله صفات الله غير الله فان الثاني باطل لان مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات فانه لا يدخل فيه الصفات ولهذا لا يقال صفات الله زائدة عليه سبحانه وان قيل الصفات زائدة على الذات لان المراد هي زائدة على ما أثبتته المثبتون من الذات المجردة والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا ولا يمكن وجود ذلك ولهذا قال أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية لا نقول الله وعلمه والله وقدرته والله ونوره ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونوره هو الواحد وقد بسط في غير هذا الموضع واما قول الناس اسئلك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ تسألون به والارحام فهو من باب التسبب بها فان الرحم توجب الصلاة وتقتضى ان يصل الانسان قرابته فسؤال السائل بالرحم لغيره متوسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضى المطلوب بل هو توسل بما يقتضى المطلوب كالنوسل بدعاء الانبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر انه قال كنت اذا سألت عليا شيئا فلم يعطيني قات له بحق جعفر الا ما عطينته فيعطينيهِ أو كما قال فان بعض الناس ظن ان هذا من باب الاقسام عليه بجعفر أو من قولهم اسئلك بحق انبيائك ونحو ذلك وليس كذلك بل جعفر هو أخو علي وعبد الله هو ابنه وله عليه حق الصلاة فصلاة عبد الله صلاة لابنه جعفر كما في ثبت الحديث ان من البر ان يصل الرجل أهل ودابيه بعد ان يولى وقوله ان من برهما بعد موتهما الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعد موتهما وصلة رحمك التي لارحم لك الامن قبلهما ولو كان هذا من الباب الذى ظنوه لكان سؤاله لعلى بحق النبي و ابراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ولكان على الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة واجابة السائل به اسرع منه الى اجابة السائل بغيره لكن بين المعنيين فرق فان السائل بالنبي طالب به متسبب به فان لم يكن في ذلك السبب ما يقتضى حصول مطلوبه ولا كان مما يقسم به لكان باطلا واقسام الانسان على غيره بشئ يكون من باب تعظيم القسم بالمقسم به وهذا هو الذى جاء به الحديث من الامر بابرار المقسم وفي مثل هذا قيل ان من عباد الله من لو أقسم على الله لآبره وقد يكون من باب تعظيم المسؤل به فالاول يشبه

المستغنى عما سواه وكل ما سواه مفتقرون اليه لاغنى بهم عنه وهذا سبب لقضاء المطلوبات وقديتضمن معنى ذلك الاقسام عليه باسمائه وصفاته واما قوله فى حديث ابى سعيد أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فهذا الحديث رواه عطية العوفى وفيه ضعف لكن بتقدير ثبوته وهو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه انه يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته وثابته فهو من التوسل به والتوجه به ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته وثابته من أفعاله وأقواله فصار هذا كقوله له صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والاستعاذة لاتصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الأئمة وذلك مما استدلوا به على ان كلام الله غير مخلوق ولانه قد ثبت فى الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق قالوا والاستعاذة لا تكون بمخلوق فأورد بعض الناس لفظ المعافاة فقال جمهور أهل السنة المعافاة من الافعال وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم يقولون ان افعال الله قائمة به وان الخلق ليس هو المخلوق وهذا قول جمهور أصحاب الشافعى وأحمد ومالك وهو قول أصحاب أبى حنيفة وقول عامة أصحاب أهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام والفلسفة وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من الجهمية نقضا فان أهل الانبات من أهل الحديث وعامة المتكلمة الصفائية من الكلامية والاشعرية والكرامية وغيرهم استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره واتصف به ذلك المحل لا غيره فاذا خلق الله المحل علما أو قدرة أو حركة أو نحو ذلك كان هو العالم به القادر به المتحرك به ولم يجز ان يقال ان الرب المتحرك بتلك الحركة ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة المخلوقين بل بما قام به من العلم والقدرة قالوا فلو كان قد خلق كلاما فى غيره كالشجرة التي نادى منها موسى لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام فتكون الشجرة هي القائلة لموسى اننى أنا الله ولكن ما يخلقه الله من انطاق الجلود والايدي وتسبيح الحصى وتأويب الجبال وغير ذلك كلاما له كالقرآن والتوراة والانجيل بل كان كل كلام فى الوجود كلامه لانه خالق كل شئ وهذا قد التزمه مثل صاحب الفصوص وامثاله من هؤلاء الجهمية الحلولية والاتحادية فأوردت المعتزلة صفات الافعال كالعدل والاحسان فانه يقال انه عادل محسن بعدل خلقه فى غيره واحسان خلقه فى غيره فاشكل ذلك على من يقول ليس لله فعل قائم به بل فعله هو المفعول المنفصل عنه وليس خلقه الا مخلوقه وأما من طرد القاعدة وقال ايضا ان الافعال قائمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فاطرد دليله واسه تمام والمقصود هنا ان استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته مع انه لا يستعاذ بمخلوق كسؤال الله باجابته وثابته وان كان لايسأل بمخلوق ومن قال من العلماء لا يسأل الا به لاينافى السؤال بصفاته كما أن الحلف لايشعر الا بالله كما ثبت فى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه

يسمع الخطاب فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشترك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثالا او لكون الداعي مجيبا له مطيعا لامره مقتديا به فيكون التسبب اما بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لابشئ منه ولا بشئ من السائل بل بذاته او لمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه وانهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بشئ قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام ومن الاول حديث الثلاثة الذين اوتوا الى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرها فان الصخرة انطبقت عليهم فقالوا ليدع كل رجل منكم بافضل عمله فقال احدهم اللهم انه كانت لي ابنة عم فاحببتها كاشد ما يحب الرجال النساء وانها طلبت مني مائة دينار فلما اتيتها بها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تقض الخاتم الابحقة فتركت الذهب وانصرفت فان كنت انما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرجت لهم فرجة رأوا منها السماء وقال الآخر اللهم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناء بي طاب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن اغبق قباهما اهلا او مالا فابنت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت عنهم غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فتمرت اجرته حتى كثر منها الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الى اجري فقلت له كل ماترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت ابي لا تستهزئ بك فاحذنه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهؤلاء دعوا الله سبحانه بصالح الاعمال لان الاعمال الصالحة هي اعظم ما يتوسل به العبد الى الله تعالى ويتوجه به اليه ويساله به لانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقال ربكم ادعوني استجب لكم وهؤلاء دعوه بعبادته وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه ومن هذا ما يذكر عن الفضيل بن عياض انه اصابه عسر البول فقال بحبي اياك الاما فرجت عني ففرج عنه وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التي احيا الله ابنها لما قالت اللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك وسألت الله أن يحيي ولدها وأمثال ذلك وهذا كما قال المؤمنون ربنا اتنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا الى قوله انك لا تخف الميعاد فسؤال الله والتوسل اليه بامثال أمره واجتناب نهيه وفعل ما يحب من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء لرحمة الله وخوفا من عذابه وسؤال الله باسمائه وصفاته كقوله اسألك بان لك الحمد انت الله المنان بديع السموات والارض وبانك انت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ونحو ذلك يكون من باب التسبب فان كونه المحمود المنان يقتضى منته على عبادته واحسانه الذي يحمده عليه وكونه الاحد الصمد يقتضى توحيده في صمديته فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس اليه في حوائجهم

اما يطلب مالا يصلح أو بالدعاء الذى فيه معصية الله شرك أو غيره فاذا حصل بعض غرضه ظن ان ذلك دليل على ان عمله صالح بمنزلة من أمل له وأمد به بالمال والبنين فظن ان ذلك مسارعة له فى الخيرات قال تعالى أيمسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نأمنهم انما نأمنهم انما نأمنهم انما نأمنهم انما نأمنهم عذاب مهين والا ملاء اطالة العمر وما فى ضمنه من رزق ونصر وقال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث الى قوله تعالى ان كيدى متين وهذا باب واسع مبسوط فى غير هذا الموضع وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين والمقصود هنا أن دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله فيثاب العبد عليه فى الآخرة مع ما يحصل له فى الدنيا وقد يكون دعاء مسئلة يقضى به حاجته ثم قد يثاب عليه اذا كان مما يحبه الله وقد لا يحصل له الا تلك الحاجة وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله سبحانه وتعداه من حدوده فالوسيلة التى أمر الله بابتغائها اليه تعم الوسيلة فى عبادته وفى مسألته فالتوسل اليه بالاعمال الصالحة التى أمر بها وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته ومن هذا الباب استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فانهم يطلبون منه ان يشفع لهم الى الله كما كانوا فى الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم فى الاستسقاء وغيره وقول عمر رضى الله عنه انا كنا اذا جئنا توسلنا اليك بنبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا معناه نتوسل اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ليس المراد به انا نقسم عليك به أو ما يجرى هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفى مغيبه كما يقوله بعض الناس أسألك بجاه فلان عندك ويقولون انا نتوسل الى الله بانيائه وأوليائه ويروون حديثا موضوعا اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض فانه لو كان هذا هو التوسل الذى كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضى الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته ولم يفعلوا عنه الى العباس مع علمهم أن السؤال به والاقسام به أعظم من العباس فعلم ان ذلك التوسل الذى ذكروه هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحى يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شئ لا دعاء ولا غيره وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه ان يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه فهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه وأمره ان يسأل الله قبول شفاعته وان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد بنى الرحمة أى بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل فى الحديثين بمعنى واحد ثم قال يا محمد يا رسول الله انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتي ليقضيه الله فشفعه فى فطلب من الله ان يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا نبي الله هذا وامثال النداء يطلب به استحضر المنادى فى القاب فيخاطب الشهود بالقلب كما يقول المصلى السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره فى نفسه وان لم يكن فى الخارج من

صلى الله عليه وسلم في حديث النزول ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر فذكر اول اجابته الدعاء ثم ذكر اعطاء المغفرة للمستغفر فهذا جلب المنفعة وهذا دفع المضرة وكلاهما مقصود الداعي المحاب وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فاقى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون وقد روى ان بعض الصحابة قال يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله هذه الآية فاخبر سبحانه انه قريب يجب دعوة الداعى اذا دعاه ثم أمرهم بالاستجابة له والايان به كما قال بعضهم فليستجيبوا لى اذا دعوتهم وليؤمنوا بى اذا دعوتهم قالوا وبهذين الشئين تحصل اجابة الدعوة بكال الطاعة لالوهيته وبصحة الايمان برؤيته فمن استجاب لربه بامثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه كما قال تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله أى يستجيب لهم يقال استجابه واستجاب له فمن دعاه موقنا أنه يجب دعوة الداعى اذا دعاه أجابه وقد يكون مشركا وفاسقا فانه سبحانه هو القائل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كان لم يدعنا الى ضره مسه وهو القائل سبحانه واذا مسكم الضر فى البحر الى قوله وكان الانسان كفورا وهو القائل سبحانه قل ارايتكم ان انا كم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتسون ما تشركون ولكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لاقرارهم برؤيته وانه يجب دعاء المضطر اذا دعاه اذ لم يكونوا مخلصين له الدين فى عبادته ولا مطيعين له ولرسوله كان ما يعطيهم بدعائهم متاعا فى الحياة الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله وما كان عطاء ربك محظورا وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لاهل الايمان فقال وارزق اهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال الله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير فليس كل من منعه الله برزق ونصرا ما اجابة لدعائه واما بدون ذلك يكون ممن يحبه الله ويواليه بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر وقد يجب دعائهم ويعطيهم سؤلهم فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وقد ذكروا ان بعض الكفار من النصارى حاصروا مدينة للمسلمين فنقد ماؤهم العذب فطابوا من المسلمين ان يزودوهم بماء عذب ليرجعوا عنهم فاشتور ولادة أمر المسلمين وقالوا بل ندعهم حتى يضعفهم العطش فنأخذهم فقام اولئك فانسقوا ودعوا الله فسقامهم فاضطرب بعض العامة فقال الملك لبعض العارفين أدرك الناس قاصر بنصب منبر له وقال اللهم انا نعلم ان هؤلاء من الذين تكفلت بارراقهم كما قلت فى كتابك وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقد دعوك مضطرين وأنت نجيب المضطر اذا دعاك فاسقيتهم لما تكفلت به من رزاقهم ولما دعوك مضطرين لا لانيك تحبهم ولا تحب دينهم والآن فريد ان ترينا آية يثبت بها الايمان فى قلوب عبادك المؤمنين فارسل الله عليهم ريحا فاهلكتهم أو نحو هذا ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء اعتداء فيه

على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق فان الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل اليهم الرسل وهو الميسر لهم الايمان والعمل الصالح ومن توههم من القدرية والمعتزلة ونحوهم انهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الاجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك واذا كان كذلك لم تكن الوسيلة اليه الا بما من به من فضله واحسانه والحق الذي لعباده هو من فضله واحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما أوجبه غيره عليه فانه سبحانه يتعالى عن ذلك واذا سئل بما جعله سببا للمطلوب من الاعمال الصالحة التي وعد أصحابها بكرامته وانه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبوا فيستجيب دعاءهم ومن أدعية عباده الصالحين وشفاععة ذوى الوجاهة عنده فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سببا وأما اذا سئل بشيء ليس هو سببا للمطلوب فاما ان يكون اقساما به عليه فلا يقسم على الله بمخلوق واما ان يكون سؤالاً بما لا يقتضى المطلوب فيكون عديم الفائدة فالانبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته لهم أن ينعمهم ولا يعذبهم وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم ما لا يقبله من دعاء غيرهم فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبة وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب حينئذ فيقال امانفس التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالاعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين أوامى الغار بما لهم الصالحة وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا الما النزاع فيه بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقوله سبحانه أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايمهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب ما يتوسل به أى يتوصل ويتقرب به اليه سبحانه سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامثال الامر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا الدعاء بمعنى العبادة والدعاء بمعنى المسئلة وان كان كل منهما يستلزم الآخر لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كربات فيسمى في ذلك بالسؤال والتضرع وان كان ذلك من العبادة والطاعة ثم يكون في أول الامر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية مطلقاً ثم الدعاء والتضرع يفتح له من ابواب الايمان بالله عز وجل ومعونته ومحبته والتمتع بذكره ودعائه ما يكون هو أحب اليه واعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي اهمته وهذا من رحمة الله لعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية الى المقاصد العلية الدينية وقد يفعل العبد ابتداء مأمراً به لاجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والابانة اليه وخشيته وامثال امره وان كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية وقد قال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه أهل السنن ابو داود وغيره الدعاء هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين قيل ادعوني أى اعبدوني واطيعوا أمرى استجب دعاءكم وقيل سلوني اعطكم وكلا النوعين حق وفي الصحيحين في قول النبي

يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك وهو قول لابي يوسف قال ابو يوسف بمعقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا واكره بحق فلان او بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشرع الحرام بهذا الحق يكره قالوا جميعا فالسألة بخلقته لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقا ولكن معقد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بالخالق فيه نزاع بينهم فذلك تنازعوا فيه وأبو يوسف بلغه الأثر فيه أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكماتك التامة فجوزه لذلك وقد نازع في هذا بعض الناس وقالوا في حديث ابى سعيد الذى رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الدعاء الذى يقوله الخارج الى الصلاة اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى وقد قال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام على قراءة حمزة وغيره ممن خفض الارحام وقال تفسيرها أى تساءلون به وبالارحام كما يقال سألتك بالله وبالرحم ومن زعم من النحاة انه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فانما قاله لما رأى غالب الكلام باعادة الجار والا فقد سمع من الكلام العربى نثره ونظمه العطف بدون ذلك كما حكى سيبويه ما فيها غيره وفرسه ولا ضرورة هنا كما يدعى مثل ذلك فى الشعر ولانه قد ثبت فى الصحيح ان عمر قال اللهم انا كئنا اذا أجذبنا نتوسل اليك نبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وفى النسائى والترمذى وغيرهما حديث الاعمى الذى صححه الترمذى انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يدعو الله ان يرد بصره عليه فامر ان يتوضأ فيصلى ركعتين ويقول اللهم انى اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد يا نبي الله انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضيه اللهم فشفعه فى ودعا الله فرد الله عليه بصره والجواب عن هذا ان يقال أولا لا ريب ان الله جعل على نفسه حقا لعباده المؤمنين كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل وهو رديفه يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعدده الصادق وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعدده الصادق وتنازعوا هل يوجب بنفسه على نفسه على قولين ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه كتب ربكم على نفسه الرحمة وبقوله فى الحديث الصحيح انى حرمت الظلم على نفسى الخ والكلام على هذا مبسوط فى موضع آخر وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحرير بالقياس على خالقه فهذا قول القدريه وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول وأهل السنة متفقون على انه سبحانه خالق كل شئ وربهم ومليكهم وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وان العباد لا يوجبون عليه شيئا ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال انه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه لا ان العبد نفسه مستحق

بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذى بعثت الرسل بالنهى عنه ومخاطبة ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لقومه كانت فى نحو هذا الشرك وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الى قوله تعالى ان ربك عليم حكيم فان ابراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لان قومه كانوا يتخذون الكواكب ارباباً يدعونها ويسألونها ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاء يعتقد ان كوكبا من الكواكب خلق السموات والارض وانما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين ولهذا قال الخليل عليه السلام افرأيت ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الا قدمون فانهم عدوا لى الرب العالمين وقال الخليل اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين ولخليل صلوات الله عليه أنكر شركهم بالكواكب العلوية وشركهم بالاونان التى هى تماثيل وطلاسم لتلك أو هى تماثيل لمن مات من الانبياء والصالحين وغيرهم وكسر الاصنام كما قال تعالى عنه فجعلهم جذاذا الاكبراء لهم لعاهم اليه يرجعون والمقصود هنا ان الشرك وقع كثيرا وكذلك الشرك بأهل القبور من دعائهم والتضرع اليهم والرغبة اليهم ونحو ذلك فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة التى تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور لئلا يفضى ذلك الى نوع من الشرك برهيم فكيف اذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة اليهم سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفرج الكربات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الانبياء والملائكة وغيرهم لنهى عن ذلك ولو لم يكن عند قبره كما لا يقسم بمخلوق مطلقا وهذا القسم منهى عنه غير منعقد باتفاق الأئمة وهل هو نهى تحريم أو تنزيه على قولين أحدهما أنه نهى تحريم ولم يتنازع العلماء الا فى الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فان فيه قولين فى مذهب أحمد وبعض أصحابه كابن عقيل طرد الخلاف فى الحلف بسائر الانبياء لكن القول الذى عنيه جمهور الأئمة كمالك والشافعى وأبى حنيفة وغيرهم انه لا يتعقد اليمين بمخلوق ألبتة ولا يقسم بمخلوق ألبتة وهذا هو الصواب والاقسام على الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ينبغى على هذا الاصل ففيه هذا النزاع وقد نقل عن احمد فى التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى منسك المروزي مايناسب قوله بانعقاد اليمين به لكن الصحيح انه لا تتعقد اليمين به فكذلك هذا وأما غيره فما علمت بين الامة فيه نزاعا بل قد صرح العلماء بالنهى عن ذلك واتفقوا على ان الله تعالى يسأل ويقسم عليه باسمه وصفاته كما يقسم على غيره بذلك كالادعية المعروفة فى السنن اللهم انى أسألك بان لك الحمد انت الله الحنان المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وفى الحديث الآخر اللهم انى أسألك بانك انت الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفى الحديث الآخر أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك فهذه الادعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء وأما اذا قال أسألك بمعاقدة العز من عرشك فهذا فيه نزاع رخص فيه غير واحد لمحجى الأثر به ونقل عن أبى حنيفة كراهته قال ابو الحسين القدورى فى شرح الكرخى قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال قال أبو حنيفة رحمه الله لا ينبغى لاحد أن يدعو الله الا به واكره ان

وهي من مسائل الاستحالة وأكثر علماء المساميين يقولون أن النجاسة تطهر بالاستحالة وهو مذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر وأحد القولين في مذهب مالك وأحمد وقد ثبت في الصحيح أن مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان حائطا لبنى التجار وكان فيه قبور من قبور المشركين ونخل وخرب فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالنخيل فقطعت وبالخرب فسويت وبالقبور فنبشت وجعل النخل في صف القبلة فلو كان تراب قبور المشركين نجسا لامر بنقل ذلك التراب فإنه لا بد أن يختلط ذلك التراب بغيره والعلة الثانية ما في ذلك من مشابة الكفار بالصلاة عند القبور لما يفضى إليه ذلك من الشرك وهذه العلة صحيحة باتفاقهم والمعللون بالاولى كالشافعي وغيره عللوا بهذه أيضا وكرهوا ذلك لما فيه من الفتنة وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك كأبي بكر الأثرم صاحب أحد وغيره وعلله بهذه الثانية أيضا وإن كان منهم من قد يعلل بالاولى وقد قال تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن دولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدهم وقد ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره وأصحاب قصص الانبياء كوثيمة وغيره وبين صحة هذه العلة أنه صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ قبور الانبياء مساجد ومعلوم أن قبور الانبياء لا تبش ولا يكون ترابها نجسا وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا فلعن أن نبيه عن ذلك من جنس نبيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لأن الكفار يسجدون للشمس حينئذ فسد الذريعة وحسم المادة بأن لا يصلى في هذه الساعة وإن كان المصلى لا يصلى إلا لله ولا يدعو إلا لله وكذلك نهى عن اتخاذ القبور مساجد وإن كان المصلى عندها لا يصلى إلا لله لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة لها وكلا الأمرين قد وقع فأن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع الادعية والتسبيحات فيلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبتها لها ويتحرى الاوقات والامكنة والابحرة المناسبة لها في زعمه وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الاولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الاسلام وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه السر المكتون في السحر ومخاطبة النجوم على مذهب المشركين من الهند والصابئين والمشركين من العرب وغيرهم مثل طمطم الهندي وملكوشا البابلي وابن وحشية وأبي معشر الباكلي وثابت بن قرة وأمثالهم ممن دخل في الشرك وآمن بالجيب والطاغوت وهم ينتسبون إلى أهل الكتاب كما قال تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيда من الكتاب يؤمنون بالجيب والطاغوت إلى قوله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا وقد قال غير واحد من السلف الجبب السحر والطاغوت الاوثان وبعضهم قال الشيطان وكلاهما حق وهؤلاء يجمعون بين الجبب الذي هو السحر والشرك الذي هو عبادة الطاغوت كما يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل ودين جميع الرسل أنه شرك محرم

هذه الاحاديث كلها مكذوبة موضوعة لكن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في زيارة القبور مطلقا بعد ان كان قد نهى عنها كما ثبت عنه في الصحيح انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وفي الصحيح عنه انه قال استأذنت ربي في ان أستغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة فهذه زيارة لاجل تذكير الآخرة ولهذا يجوز زيارة قبر الكافر لاجل ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى البقيع فيسلم على موتى المسلمين ويدعو لهم فهذه زيارة مختصة بالمسلمين كما أن الصلاة على الجنازة تختص بالمؤمنين وقد استفاض عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وفي الصحيح انه ذكر له كنيسة بارض الحبشة وذكر حسنها وتصاوير فيها فقال اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وهذه في الصحيح وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول انى أبرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليله ولو كنت متخذ من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغنى وفي الموطأ وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي المسند وصحيح أبى حاتم عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد ومعنى هذه الاحاديث متواتر عنه صلى الله عليه وسلم بانى هو وأمى وكذلك عن أصحابه فهذا الذى نهى عنه من اتخاذ القبور مساجد مفارق لما امر به وشرعه من السلام على الموتى والدعاء لهم فالزيارة المشروعة من جنس الثاني والزيارة المبتدعة من جنس الاول فان نهيه عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن النهى عن بناء المساجد عليها وعن قصد الصلاة عندها وكلاهما منهى عنه باتفاق العلماء فانهم قد نهوا عن بناء المساجد على القبور بل صرحوا بتحريم ذلك كما دل عليه النص واتفقوا أيضا على انه لا يشرع قصد الصلاة والدعاء عند القبور ولم يقل أحد من أئمة المسلمين ان الصلاة عندها والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية عن القبور بل اتفق علماء المسلمين على ان الصلاة والدعاء في المساجد التى لم تبني على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التى بنيت على القبور بل الصلاة والدعاء في هذه منهى عنه مكروه باتفاقهم وقد صرح كثير منهم بتحريم ذلك بل وبإبطال الصلاة فيها وان كان في هذا نزاع والمقصود هنا ان هذا ليس بواجب ولا مستحب باتفاقهم بل هو مكروه باتفاقهم والفقهاء قد ذكروا في تعليل كراهة الصلاة في المقبرة علتين احدهما نجاسة التراب باختلاطه بمديد الموتى وهذه علة من يفرق بين القديمة والحديثة وهذه العلة في صحتها نزاع لاختلاف العلماء في نجاسة تراب القبور

فقالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بايت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء فالصلاة عليه بابي هو وأمي والسلام عليه مما أمر الله به ورسوله وقد ثبت في الصحيح انه قال من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا والمشروع لنا عند زيارة قبور الانبياء والصالحين وسائر المؤمنين هو من جنس المشروع عند جنائزهم فكما أن المقصود بالصلاة على الميت الدعاء له فالقصد بزيارة قبره الدعاء له كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح والسنن والمسند انه كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وأنا ان شاء الله بكم لا حقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم فهذا دعاء خاص للميت كما في دعاء الصلاة على الجنازة الدعاء العام والخاص اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرا ونثانا انك تعلم متقلبنا ومثوانا أي ثم يخص الميت بالدعاء قال الله تعالى في حق المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فلما نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم لاجل كفرهم دل ذلك بطريق التعليل والمنهوم على ان المؤمن يصلى عليه ويقام على قبره ولهذا في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الرجل من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل واما ان يقصد بالزيارة سؤال الميت او الاقسام على الله به او استجابة الدعاء عند تلك البقعة فهذا لم يكن من فعل أحد من سلف الامة لا الصحابة ولا التابعين لهم باحسان وانما حدث ذلك بعد ذلك بل قد كره مالك وغيره من العلماء أن يقول القائل زنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض كره مالك ان يقال زنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكرنا عن بعضهم انه علله باعنه زوارات القبور قال القاضي عياض وهذا برده قوله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وعن بعضهم ان ذلك لما قيل ان الزائر أفضل من المزور قال وهذا أيضا ليس بشئ اذ ليس كل زائر بهذه الضفة وقد ورد في حديث زيارة أهل الجنة لرهبهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه قال والاولى ان يقال في ذلك انما كراهة مالك له لاضافة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحتمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بولئك قطعاً للذريعة وحسماً للباب قلت غلب في عرف كثير من الناس استعمال لفظ زرنا في زيارة قبور الانبياء والصالحين على استعمال لفظ زيارة القبور في الزيارة البدعية الشريكة لا في الزيارة الشرعية ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى في ذلك شيئاً لا اهل الصحيح ولا السنن ولا الائمة المصنفون في المسند كالامام أحمد وغيره وانما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره وأجل حديث روى في ذلك مارواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم بل الاحاديث المروية في زيارة قبره كقوله من زارني وزار أبي ابراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن حج ولم يزرني فقد جفاني ونحو

وتلا هذه الآية وأنشد بيتين

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيهن القاع والاکم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الامر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم بل قضاء حاجة مثل هذا الاعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته لسبب يقتضى أن يكون السبب مشروعا مأمورا به فقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل في حياته المسئلة فيعطى ليرد سائلا وتكون المسئلة محرمة في حق السائل حتى قال انى لا عطى أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا ان يسألوني وبابى الله لى البخل وقد يفعل الرجل العمل الذى يعتقد صالحا ولا يكون عالما انه منهى عنه فيثاب على حسن قصده وبعنى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على انها مشروعة بل لو لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهى عنها ثم هذا الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئا مجتهدا أو مقلدا فيغفر له خطؤه ويثاب على ما فعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالجهتد المخطئ وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع والمقصود هنا انه قد علم ان مالكا من أعلم الناس بمثل هذه الامور فانه مقيم بالمدينة يرى ما يفعله التابعون وتابعوهم ويسمع ما ينقلونه عن الصحابة وأكابر التابعين وهو ينهى عن الوقوف عند القبر للدعاء ويذكر انه لم يفعله السلف وقد أجذب الناس على عهد عمر رضى الله عنه فاستسقى بالعباس ففى صحيح البخارى عن أنس أن عمر استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال اللهم انا كننا اذا جددنا نتوسل اليك بنينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نينا فاستسقى فاستسقى به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعوا لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ولما مات صلى الله عليه وسلم توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء باهل الخير والدين والافضل ان يكونوا من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد استسقى معاوية يزيد بن الاسود الجرشي وقال اللهم انا نستسقى يزيد بن الاسود يا يزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا وذهب الناس ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقى عنده ولا به والعماء استحبوا السلام على النبي صلى الله عليه وسلم للحديث الذى فى سنن أبى داود عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن رجل يسلم على الاراد الله على روحى حتى أرد عليه السلام هذا مع ما فى النسائي وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وكل بقبرى ملائكة يبلغونى عن أمتى السلام وفى سنن أبى داود وغيره عنه انه قل أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة فان سلاتكم معروضة على

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الآية وان حرمة ميتا كحرمة حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله أستقبل القبلة وادعوا أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية فهذه الحكاية على هذا الوجه اما أن تكون ضعيفة او مغيرة واما أن تفسر بما يوافق مذهبه اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من اصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقا وذكر طائفة من اصحابه انه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره فانفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء ويشبه والله اعلم أن يكون مالك رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام وهو يسمى ذلك دعاء فانه قد كان من فقهاء العراق من يرى انه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضا ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم وكما قال في رواية ابن وهب عنه اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده وقد تقدم قوله انه يصلي عليه ويدعو له ومعلوم ان الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون ذلك العبد فمن سال الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة فقول مالك في هذه الحكاية ان كان ثابتا عنه معناه انك اذا استقبلته وصليت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الامم يوم القيامة يتوسلون الى الله بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع له به يوم القيامة كسؤال الله له الوسيلة ونحو ذلك وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم يعني دعاءه للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فهذا الدعاء المشروع هناك كاللحضور عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانه أحق الناس أن يصلي عليه ويسلم ويدعى له بابي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وبهذا تنفق أقوال مالك ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر انه بدعة وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية فهو والله اعلم باطل فان هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلمه ولم يذكر أحد منهم انه استحباب أن يسأل بعد الموت لاستغفارها ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن أعرابي انه أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

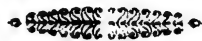
غير الله ولا يعمرها الا من فيه نوع من الشرك وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال الى قوله بغير حساب وقال تعالى ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ولم يقل وان المشاهد لله وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة بقوله في الحديث الصحيح من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ولم يقل مشهدا وقال ايضا في الحديث صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين صلاة وقال ايضا في الحديث الصحيح من تطهر في بيته فاحسن الطهور ثم خرج الى المسجد لا ينزله الا الصلاة كانت خطواته احداها ترفع درجة والاخرى تحط خطيئة فاذا جلس ينتظر الصلاة فالعبد في صلاة مادام ينتظر الصلاة والملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وهذا مما علم بالتواتر والضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وسلم فانه أمر بممارسة المساجد والصلاة فيها ولم يأمرنا ببناء مشهد لا على قبر نبي ولا على غير قبر نبي ولا على مقام نبي ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعهم في بلاد الاسلام لا الحجاز ولا الشام ولا اليمن والعراق ولا خراسان ولا مصر ولا المغرب مسجد مبني على قبر ولا مشهد يقصد للزيارة اصلا ولم يكن أحد من السلف ياتي الى قبر نبي أو غير نبي لاجل الدعاء عنده ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبر غيره من الانبياء وانما كانوا يصلون ويسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه واتفق الائمة على انه اذا دعا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك واحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي واطنه منصو صاعنه وقال أبو حنيفة بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتاب أصحابه وقال مالك فيما ذكره اسماعيل بن اسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهما لأرى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم ويمضي وقال ايضا في المبسوط لأبأس لمن قدم من سفرا وخرج أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو لأبي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه الا يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر عند القبر فيسامون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلاح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الامن جاء من سفرا واراده وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والائمة ما يوافق هذا ويؤيده من انهم كانوا انما يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء والتحية كالصلاة والسلام ويكرهون قصده للدعاء والوقوف عنده للدعاء ومن يرخص منهم في شيء من ذلك فانه انما يرخص فيما اذا سلم عليه ثم اراد الدعاء ان يدعو مستقبل القبلة اما مستدبر القبر أو منحرفا عنه وهو ان يستقبل القبلة ويدعو ولا يدعو مستقبل القبر وهكذا المنقول عن سائر الائمة ليس في ائمة المسلمين من استحباب للمار ان يستقبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو عنده وهذا الذي ذكرناه عن مالك والسلف يبين حقيقة الحكاية الماثورة عنه وهي الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد

إذا خالفه نظيره ليس بحجة فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة وأيضا فإن تحرى الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد والتشبه باهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه وذلك ذريعة إلى الشرك بالله والشارع قد حسم هذه المادة بالنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وبالنهي عن اتخاذ القبور مساجد فإذا كان قد نهى عن الصلاة المشروعة في هذا المكان وهذا الزمان سدا للذريعة فكيف يستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتفق قيامهم فيه أو صلاتهم فيه من غير أن يكون قصدوه للصلاة فيه والدعاء فيه ولو ساغ هذا لاستحب قصد جبل حراء والصلاة فيه وقصد جبل نور والصلاة فيه وقصد الاماكن التي يقال ان الانبياء قاموا فيها كالمقامين الذين يجبل قاسيون بدمشق الذين يقال انهما مقام ابراهيم وعيسى والمقام الذي يقال انه مغارة دم قابيل وأمثال ذلك من البقاع التي بالحجاز والشام وغيرها ثم ذلك يفضي إلى ما أفضت إليه مفسد القبور فانه يقال ان هذا مقام نبي أو قبر نبي أو ولي بخبر لا يعرف قائله أو بنما لا تعرف حقيقته ثم يترتب على ذلك اتخاذ مسجدا فيصير وثنا يعبد من دون الله تعالى شرك مبني على افك والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والاخلاص ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله مرتين ثم قرأ قول الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الرور حنفاء لله غير مشركين به وقال تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون إلى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون وقال تعالى عن الخليل اذ قال لآبيه وقومه ماذا تعبدون أفكأ آلهة دون الله تريدون وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة إلى قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إلى قوله أن الله لا يهدي من هو كاذب كفار وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اتم وشركاؤكم إلى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون وقال تعالى ألا ان الله من في السموات ومن في الارض إلى قوله وانهم الايخردون وقال تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين قال أبو قلابة هي لكل مبتدع من هذه الامة إلى يوم القيامة وهو كما قال فان أهل الكذب والفرية عاينهم من الغضب والذلة ما أوعدهم الله به والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء ولهذا كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم اكذب طوائف أهل الاهواء واعظمهم شركا فلا يوجد في أهل الاهواء اكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد حتى انهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطونها عن الجمعات والجماعات ويعمرون المشاهد التي على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها والله سبحانه في كتابه انما أمر بعارة المساجد لا المشاهد فقال تعالى ومن انظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ولم يقل مشاهد الله وقال تعالى قل أمر ربي بالقسط واقموا وجوهكم عند كل مسجد ولم يقل عند كل مشهد وقال تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله إلى قوله من المهتدين ولم يقل مشاهد الله بل المشاهد انما يعمرها من يخشى غير الله ويرجو

فصلت في بيتي مكانا حتى أتخذ مسجدا فقال أفعل ان شاء الله فعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه بعد ما اشتد النهار فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فاذنت له فلم يجلس حتى قال أين تحب أن أصلي من بيتك فاشرت له الى المكان الذي أحب ان يصلي فيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر وصفقنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم ففي هذا الحديث دلالة على ان من قصد ان يبنى مسجده في موضع صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بأس به وكذلك قصد الصلاة في موضع صلاته لكن هذا كان أصل قصده بناء مسجد فاحب ان يكون موضعاً يصلي له فيه النبي صلى الله عليه وسلم ليكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي رسم المسجد بخلاف مكان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم اتفاقاً فاتخذ مسجداً الحاجة الى المسجد لكن لا لاجل صلاته فيه فاما الامكنة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد الصلاة والدعاء عندها فقصد الصلاة أو الدعاء فيها سنة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه كما اذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الاوقات فان قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عبادته وسائر الافعال التي فعلها على وجه التقرب ومثل هذا ما أخرجه في الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد قال كان سلمة بن الاكوع يحرى الصلاة عند الاسطوانة التي عند المصحف فقلت له يا أبا مسلم أراك تحرى الصلاة عندهذه الاسطوانة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها وفي رواية لمسلم عن سلمة بن الاكوع انه كان يحرى الصلاة في موضع المصحف يسبح فيه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرى ذلك المكان وكان بين المنبر والقبلة قدر مرمى الشاة وقد ظن بعض المصنفين ان هذا مما اختلف فيه وجعله والقسم الاول سواء وليس بحيد فانه هنا اخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرى البقعة فكيف لا يكون هذا القصد مستحباً نعم ايطان بقعة في المسجد لا يصلي الا فيها منهي عنه كما جاءت به السنة والايطان ليس هو التحرى من غير ايطان فيجب الفرق بين اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاستئذان به فيما فعله وبين ابتداء بدعة لم يسنها لاجل تعلقها به وقد تنازع العلماء فيما اذا فعل فعلاً من المباحات لسبب وفعلناه نحن تشبهاً به مع انتفاء ذلك السبب فمنهم من يستحب ذلك ومنهم من لا يستحبه وعلى هذا يخرج فعل ابن عمر رضي الله عنهما فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في تلك البقاع التي في طريقه لانها كانت منزلة لم يحرك الصلاة فيها لمعنى في البقعة فنظير هذا أن يصلي المسافر في منزله وهذا سنة فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر السابقين الاولين من المهاجرين والانصار يذهبون من المدينة الى مكة حجاً أو مسافرين ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا اليه أسبق فانهم اعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وتحرى هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين بل هو مما ابتدع وقول الصحابي

الصحابة فانه قد روى البخارى في صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سالم بن عبد الله يتحرقى أما كن من الطريق ويصلى فيها ويحدث ان اياه كان يصلى فيها وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى في تلك الامكنة قال موسى وحدثني نافع ان ابن عمر كان يصلى في تلك الامكنة فهذا كما رخص فيه احمد رضى الله عنه واماما كرهه فروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن عمر رضى الله عنه قال خرجنا معه في حجة حبجها فقرأنا في الفجر بالمركب فعمل ربك باصحاب الفيل واليلاف قريش في الثانية فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا قالوا مسجد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقال هكذا هلك اهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار انبيائهم بيعة من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض فقد كره عمر رضى الله عنه اتخاذ صلى النبي صلى الله عليه وسلم عيدا وبين أن اهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا وفي رواية عنه انه رأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء فقيل يأمر المؤمنين مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار انبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا فمن ادركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر بن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي ببيع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم لأن الناس كانوا يذهبون تحتها تخاف عمر الفتنة عليهم وقد اختلف العلماء رضى الله عنهم في اتيان المشاهد فقال محمد بن وضاح كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون اتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قبا وأحدا ودخل سفيان الثوري بيت المقدس وصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها فهو لا كرهوها مطلقا لحديث عمر رضى الله عنه هذا ولان ذلك يشبه الصلاة عند المقابر اذ هو ذريعة الى اتخاذها عيدا والى التشبه باهل الكتاب ولان ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من المهاجرين والانصار انه كان يتحرقى قصد الامكنة التي نزلها النبي صلى الله عليه وسلم والصواب مع جمهور الصحابة لان متابعة النبي صلى الله عليه وسلم تكون بطاعة امره وتكون في فعله بان يفعل مثل ما فعل على الوجه الذى فعله فاذا قصد العبادة في مكان كأن قصد العبادة فيه متابعة له كقصد المشاعر والمساجد واما اذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك مما يعلم انه لم يتحر ذلك المكان فانا اذا تحررنا ذلك المكان لم نكن متبعين له فان الاعمال بالنيات واستحب آخرون من العلماء المتأخرين اتيانها وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم في المناسك استحباب زيارة هذه المشاهد وعدوا منها مواضع وسموها وأما أحمد فرخص منها فيما جاء به الأثر من ذلك الا اذا اتخذت عيدا مثل ان تتاب لذلك ويجتمع عندها في وقت معلوم كما يرخص في صلاة النساء في المساجد جماعات وان كانت بيوتهن خيرا هن الا اذا تبرجن وجمع بذلك بين الآثار واحتج بحديث ابن أم مكتوم ومثله ما أخرجه في الصحيحين عن عتب بن مالك قال كنت اصلى لقومى بنى سالم فأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت انى انكرت بصرى وان السيول تحول بينى وبين مسجد قومى فلوددت انك جئت

من العمل الصالح ليكثر اجرهم بكثرة اجور من تبعهم كما قال صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير أن ينقص من اجورهم شيء وانما اشتغلت قلوب طوائف من الناس بانواع من العبادات المبتدعة اما من الاديعة واما من الاسفار واما من الساعات ونحو ذلك لاعراضهم عن المشروع او بعضه اعنى لاعراض قلوبهم وان قاموا بصورة المشروع والافمن اقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقابه عاقلا لما اشتملت عليه من الكلم الطيب والعمل الصالح مهتما بها كل الاهتمام اغنته عن كل ما يتوهم فيه خير من جنسها ومن اصغى الى كلام الله وكلام رسوله بعقله وتدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منشوره ومن اعتاد الدعاء المشروع في اوقاته كالا سحر وأدبار الصلوات والسجود ونحو ذلك أغناه عن كل دعاء مبتدع في ذاته او بعض صفاته فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك ويعتاض عن كل ما يظن من البدع انه خير بنوعه من السنن فانه من يتجرى الخير يعطه ومن يتوقى الشر يوقه



فصل

فاما مقامات الانبياء والصالحين وهى الامكنة التى قاموا فيها واقاموا واعبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد
فالذى بلغنى فى ذلك قولان عن العلماء المشهورين احدهما النهى عن ذلك وكرهته وانه لا يستحب قصد بقعة
للعادة الا ان يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم قصدها للعبادة كما
قصد الصلاة فى مقام ابراهيم وكما كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة وكما يقصد المساجد للصلاة ويقصد الصلوة
الاول ونحو ذلك والقول الثانى انه لا بأس بالسير من ذلك كما نقل عن ابن عمر انه كان يتحرى قصد المواضع
التى سلكها النبى صلى الله عليه وسلم وان كان النبى سلكها اتفاقا لا قصدا قال سدى الخواتمى سالنا ابا عبد
الله عن الرجل يأتى هذه المشاهد يذهب اليها ترى ذلك قال اما على حديث ابن ام مكتوم انه سال النبى
صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع النبى
صلى الله عليه وسلم واثره فليس بذلك باس ان يأتى الرجل المشاهد الا ان الناس قد افرطوا فى هذا
جدا واكثروا فيه وكذلك نقل عنه أحمد بن القاسم انه سئل عن الرجل يأتى هذه المشاهد التى بالمدينة
وغيرها يذهب اليها فقال اما على حديث ابن ام مكتوم انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتىه فيصلى
فى بيته حتى يتخذ مسجدا أو على ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع سير النبى صلى الله عليه وسلم
حتى انه رأى يصب فى موضع ماء فسئل عن ذلك فقال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصبها هنا ماء
قال اما على هذا فلا بأس قال ورخص فيه ثم قال ولكن قد افرط الناس جدا واكثروا فى هذا المعنى
فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده رواها الخلال فى كتاب الادب فقد فصل ابو عبد الله فى الشاهد
وهى الامكنة التى فيها آثار الانبياء والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كمواضع بالمدينة بين القليل
الذى لا يتخذونه عيدا والكثير الذى يتخذونه عيدا كما تقدم وهذا التفصيل جمع فيه بين الآثار واقوال

القبر بقرة أو شاة قال أحمد في رواية المروزي قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عقر في الاسلام كانوا اذا مات لهم الميت نَحروا جزورا على قبره فهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكره أبو عبد الله أكل لحمه قال أصحابنا وفي معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصديق عند القبر بنخب أو نحوه فهذه انواع العبادات البدنية أو الدالية أو المركب منهما

﴿ فصل ﴾

ومن المحرمات العكوف عند القبر والمجاورة عنده وسداته وتعليق الستور عليه كانه بيت الله الكعبة فانا قد بينا ان نفس بناء المسجد عليه منهي عنه باتفاق الامة محرم بدلالة السنة فكيف اذا ضم الى ذلك المجاورة في ذلك المسجد والعكوف فيه كانه المسجد الحرام بل عند بعضهم العكوف فيه احب اليه من العكوف في المسجد الحرام اذ من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله بل حرمة ذلك المسجد المبني على القبر الذي حرمه الله ورسوله أعظم عند المقابر يبين من بيوت الله التي أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقد أسست على تقوى من الله ورضوان وقد بلغ الشيطان بهذه البدع الى الشرك العظيم في كثير من الناس حتى ان منهم من يعتقد ان زيارة المشاهد التي على القبور اما النبي أو شيخ أو بهض أهل البيت أفضل من حج البيت الحرام ويسمى زيارتها الحج الاكبر ومن هؤلاء من يرى ان السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من حج البيت وبعضهم اذا وصل الى المدينة رجع وظن انه حصل المقصود وهذا لانهم ظنوا ان زيارة القبور لاجل الدعاء عندها والتوسل بها وسؤال الميت ودعائه ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ولو علموا أن المقصود انما هو عبادة الله وحده لا شريك له وسؤاله ودعاؤه والمقصود بزيارة القبور الدعاء لها كما يقصد بالصلاة على الميت لزال عن قلوبهم ولهذا نجد كثيرا من هؤلاء يسأل الميت والغائب كما يسأل ربه فيقول اغفر لي وارحمني وتب علي ونحو ذلك وكثير من الناس تمثل له صورة الشيخ المستغاث به ويكون ذلك شيطانا قد خاطبه كما تفعل الشياطين بعدة الانان واعظم من ذلك قصد الدعاء عنده والنذر له والسندة العاكفين عاياه او المجاورين عنده من اقاربه او غيرهم واعتقاد أنه بالنذر له قضيت الحاجة او كشف البلاء فانا قد بينا بقول الصادق المصدوق أن نذر العمل الم شروع لا يأتي بخير وأن الله لم يجعله سبيلا لدرك حاجة كما جعل الدعاء سبيلا لذلك فكيف نذر المعصية الذي لا يجوز الوفاء به واعلم ان أهل القبور من الانبياء والصالحين المدفونين يكرهون ما يفعل عندهم كل الكراهة كما ان المسيح عليه السلام يكره ما يفعل النصارى به وكما كان انبياء بنى اسرائيل يكرهون ما يفعله الأتباع فلا يحسب المرء المسلم ان النهي عن اتخاذ القبور اعيادا او اوثانا فيه غضأحبابها بل هو من باب اكرامهم وذلك أن القلوب اذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقه مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا اليه ومن كرامة الانبياء والصالحين ان يتبع مادعوا اليه

الله وهذا لو صح لم يوجب استحباب القراءة عنده فان ذلك لو كان مشروعا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وذلك لان هذا وان كان نوع مصالحة ففيه مفسدة راجحة كما في الصلاة عنده وتعم الميت بالدعاء له والاستغفار والصدقة عنه وغير ذلك من العبادات يحصل له به من النفع أعظم من ذلك وهو مشروع ولا مفسدة فيه ولهذا لم يقل أحد من العلماء بأنه يستحب قصد القبر دائما للقراءة عنده اذ قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان ذلك ليس مما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته لكن اختلفوا في القراءة عند القبور هل هي مكروهة أم لا تكره والمسألة مشهورة وفيها ثلاث روايات عن أحمد * احدها ان ذلك لا بأس به وهي اختيار الخلال وصاحبه وأكبر المتأخرين من أصحابه وقالوا هي الرواية المتأخرة عن احمد وقول جماعة من أصحاب أبي حنيفة واعتمدوا على ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما انه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتيح سورة البقرة وخواتيمها ونقل أيضا عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة * والثانية ان ذلك مكروه حتى اختلف هؤلاء هل تقرأ فاتحة في صلاة الحنافة اذا صلى عليها في المقبرة وفيه عن أحمد روايتان وهذه الرواية هي التي رواها أكثر اصحابه عنه وعليها قدماء أصحابه الذين صحبوه كعبد الوهاب الوراق وأبي بكر المروزي ونحوهما وهي مذهب جمهور السلف كابن حنيفة ومالك وهشيم بن بشير وغيرهم ولا يحتفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام وذلك لان ذلك كان عنده بدعة وقال مالك ما علمت أحدا يفعل ذلك فعلم ان الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه والثالثة ان القراءة عنده وقت الدفن لا بأس بها كما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما وعن بعض المهاجرين وأما القراءة بعد ذلك مثل الذين يتأبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه فانه لم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلا وهذه الوصاية لعلها أقوى من غيرها لما فيها من التوفيق بين الدلائل والذين كرهوا القراءة عند القبر كرها بعضهم وان لم يقصد القراءة هناك كما تكره الصلاة فان احمد نهى عن القراءة في صلاة الجنائز هناك ومعلوم أن القراءة في الصلاة ليس المقصود بها القراءة عند القبر ومع هذا فالفرق بين ما يفعل ضمنا وتبعاً وما يفعل لاحل القبر بين كما تقدم والوقوف التي وقفها الناس على القراءة عند قبورهم فيها من الفائدة انها تعين على حفظ القرآن وانها رزق لحفاظ القرآن وباعة لهم على حفظه ودرسه وملازمته وان قدر ان القارئ لا يشأب على قراءته فهو مما يحتفظ به الدين كما يحتفظ بقراءة الكافر وجهاد الساجر وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبسط الكلام في الوقوف وشروطها قد ذكر في موضع آخر وليس هذا هو المقصود هنا فاما ذكر الله هناك فلا يكره لكن قصد البتة لذكر هناك بدعة مكروهة فانه نوع من اتخاذها عيدا وكذلك قصد الصيام عندها ومن رخص في القراءة فانه لا يرخص في اتخاذها عيدا مثل أن يجعل له وقت معلوم يعتاد فيه القراءة هناك أو يجتمع عنده للقراءة ونحو ذلك كما ان من يرخص في الذكر والدعاء هناك لا يرخص في اتخاذ عيدا لذلك كما تقدم واما الذبح هناك ففيه عنه مطابقا ذكره أصحابنا وغيرهم لما روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولما عقر في الاسلام رواه احمد وابو داود وزاد قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند

بحران عند قبر يسمى قبر الانصارى الى قبور كثيرة في أكثر بلاد الاسلام لا يمكن حصرها كما انهم بنوا على كثير منها مساجد وبعضها مغصوب كما بنوا على قبر أبى حنيفة والشافعى وغيرهما وهؤلاء الفضلاء من الامة انما ينبغي محبتهم واتباعهم واحياء ما أحيوه من الدين والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان ونحو ذلك فاما اتخاذ قبورهم أعيادا فهو مما حرمة الله ورسوله واعتياد قصد هذه القبور في وقت معين والاجتماع العام عندها في وقت معين هو اتخاذها عيدا كما تقدم ولا اعلم بين المسلمين اهل العلم في ذلك خلافا ولا يفتربكثرة العادات الفاسدة فان هذا من التشبه باهل الكهاتين الذى أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم انه كائن في هذه الامة واصل ذلك انما هو اعتقاد فضل الدعاء عندها والا فلو لم يقد هذا الاعتقاد بالقلوب لانجى ذلك كله فاذا كان قصدها للدعاء بجر هذه المناسك كان حراما كالصلاة عندها واولى وكان ذلك فتنة للخفاق وفتح باب الشرك واغلاق باب الايمان

فصل

قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذها مساجد وعن الصلاة عندها وعن اتخاذها عيدا وانه دعا الله أن لا يتخذ قبره وثنا يعبد وقد تقدم ان اتخاذ المكان عيدا هو اعتياد اتيانه للعبادة عنده أو غير ذلك وقد تقدم النهى الخاص عن الصلاة عندها والى الامر بالسلام عليها والدعاء لها وذكرنا ما في دعاء المرء لنفسه عندها من الفرق بين قصدها لاجل الدعاء أو الدعاء ضمتا وتبعنا وتام الكلام في ذلك بذكر سائر العبادات فالقول فيها جميعا كالقول في الدعاء فليس في ذكر الله هناك أو القراءة عند القبر أو الصيام عنده أو الذبح عنده فضل على غيره من البقاع ولا قصد ذلك عند القبور مستحبا وما علمت أحدا من علماء المسلمين يقول ان الذكر هناك أو الصيام والقراءة أفضل منه في غير تلك البقعة فاما ما يذكره بعض الناس من انه ينتفع الميت بسماع القرآن بخلاف ما اذا قرئ في مكان آخر فهذا اذا عني به انه يصل الثواب اليه اذا قرئ عند القبر خاصة فليس عليه أحد من اهل العلم المروفين بل الناس على قولين أحدهما ان ثواب العبادات البدنية من الصلاة والقراءة وغيرها يصل الى الميت كما يصل اليه ثواب العبادات المالية بالاجماع وهذا مذهب أبى حنيفة واحمد وغيرهما وقول طائفة من أصحاب الشافعى ومالك وهو الصواب لدلة كثيرة ذكرناها في غير هذا الموضع والثاني أن ثواب البدنية لا يصل اليه بحال وهو المشهور عند أصحاب الشافعى ومالك وما من أحد من هؤلاء ينحصر مكانا بالوصول أو عدمه فاما استماع الميت للصوت من القراءة وغيرها فحق لكن الميت ما بقى يثاب بعد الموت على عمل يعمل هو بعد الموت من استماع أو غيره وانما ينعم أو يذنب بما كان عمله هو أو بما يعمل عنده بعد الموت من أثره أو بما يعامل به كما قد اختلف في تعذيبه بالنياحة عليه وكما ينعم بما يهدى اليه وكما ينعم بالدعاء له واهداء العبادات المالية بالاجماع وكذلك قد ذكر طائفة من العلماء من أصحاب احمد وغيرهم ونقلوه عن أحمد وذكروا فيه آراء ان الميت يتألم بما يفعل عنده من المعاصى فقد يقال أيضا انه يتنعم بما يسمعه من القراءة وذكر

بأهلها بل لما يخاف عليهم من الفتنة وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها فلو لا أنه قد يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهى الناس عن ذلك وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الانبياء والصالحين مثل نزول الانوار والملائكة عندها وتوقى الشياطين والبهايم لها واندفاع النار عنها وعن جاورها وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى واستحباب الاندفاع عندهم وحصول الانس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهانها فحسن هذا حق ليس مما نحن فيه وما في قبور الانبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك وكل هذا لا يقتضى استحباب الصلاة أو قصد الدعاء والنسك عندها لما في قصد العبادات عندها من المفسد التي علمها الشارع كما تقدم فذكرت هذه الامور لانها مما يتوهم معارضته لما قدمنا وليس كذلك * الوجه الرابع ان اعتقاد استجابة الدعاء عندها وفضله قد أوجب أن تناب لذلك وتقصد وربما اجتمع عندها اجتماعات كثيرة في مواسم معينة وهذا بعينه هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تتخذوا قبوري عيدا وبقوله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا القبور مساجد فان كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد حتى ان بعض القبور يجتمع عندها في يوم من السنة ويسافر اليها اما في المحرم او رجب او شعبان او ذى الحجة او غيرها وبعضها يجتمع عنده في يوم عاشوراء وبعضها في يوم عرفة وبعضها في النصف من شعبان وبعضها في وقت آخر بحيث يكون لها يوم من السنة تقصد فيه ويجتمع عندها فيه كما تقصد عرفة ومزدلفة ومنى في أيام معلومة من السنة وكما يقصد مصلى المصر يوم العيدين بل ربما كان الاهتمام بهذه الاجتماعات في الدين والدنيا أهم وأشد ومنها ما يسافر اليه من الامصار في وقت معين أو وقت غير معين لقصد الدعاء عنده والعبادة هناك كما يقصد بيت الله الحرام لذلك وهذا السفر لا أعلم بين المسلمين خلافا في النهي عنه الا ان يكون خلافا فحادثا وإنما ذكرت الوجهين المتقدمين في السفر المجرد لزيارة القبور فاما اذا كان السفر للعبادة عندها بالدعاء أو الصلاة أو نحو ذلك فهذا لا ريب فيه حتى ان بعضهم يسميه الحج ويقول يزيد الحج الى قبر فلان وفلان ومنها ما يقصد الاجتماع عنده في يوم معين من الاسبوع وفي الجملة هذا الذي يفعل عند هذه القبور هو بعينه الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم بقوله لا تتخذوا قبوري عيدا فان اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الاسبوع هو بعينه معنى العيد ثم ينهى عن ذلك وجهه وهذا هو الذي تقدم عن الامام أحمد انكاره قال وقد أفرط الناس في هذا جدا وأكثروا وذكر ما يفعل عند قبر الحسين وقد ذكرت فيما تقدم انه يكره اعتياد عبادة في وقت اذا لم تنجى بها السنة فكيف اعتياد مكان معين في وقت معين ويدخل في هذا ما يفعل بمصر عند قبر نفيسة وغيرها وما يفعل بالعراق عند القبر الذي يقال انه قبر علي رضي الله عنه وقبر الحسين وحذيفة بن اليمان وسامان النارسي وقبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي الجواد ببغداد وعند قبر أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي وغيرها وما يفعل عند قبر أبي يزيد البسطامي وكان يفعل نحو ذلك

نظر ولا ريب ان العلماء قد يختلفون في مثل هذا كما اختلفوا في صحة الصلاة عند القبر ومن لم يبطلها
 قد لا ينهى عن فعل ذلك والعمدة على الكتاب والسنة وما كان عليه السابقون مع ان محمد بن الحسن
 هذا قد روى اخبارا عن السلف تؤيد ما ذكره فقال حدثني عمر بن هرون عن سلمة بن وروان قال
 رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو فهذا
 ان كان ثابتا عن أنس فهو مؤيد بما ذكرناه فان أنسا لم يكن ساكنا بالمدينة وانما كان يقدم من البصرة
 اما مع الحجيج أو نحوهم فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اذا أراد الدعاء في حق مثله انما
 يكون ضمنا وتبعاً استدبر القبر وذكر محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد ومحمد بن اسماعيل وغيرهما
 عن محمد بن هلال وعن غير واحد من أهل العلم ان بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه قبره
 هو بيت عائشة الذي كانت تسكنه وانه مربع مبنى بحجارة سود وقصه الذي يلي القبلة منه اطوله
 والشرقي والغربي سواء والشامى انقصها وباب البيت مما يلي الشام وهو مسدود بحجارة سود وقصه ثم
 بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك هذا البناء الظاهر وعمر بن عبد العزيز رواه ثلثا يتخذونه الناس قبلة
 تخص فيه الصلاة من بين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 كما حدثني عبد العزيز بن محمد عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قاتل
 الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وحدثني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
 قبور انبيائهم مساجد فهذه الآثار اذا ضمت الى ما قدمنا من الآثار علم كيف كان حال السلف في هذا
 الباب وانما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم ولا يدخل في هذا الباب ما يروى من ان
 قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى الله عليه وسلم او قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب
 كان يسمع الاذان من القبر ليالى الحرة ونحو ذلك فهذا كله حق ليس مما نحن فيه والامر اجل من
 ذلك واعظم وكذلك ايضا ما يروى ان رجلا جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الجذب
 عام الرمادة فراه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقى بالناس فان هذا ليس من هذا
 الباب ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال
 بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره من أمته حاجته فتقضى له فان هذا قد وقع كثيرا وليس هو مما
 نحن فيه وعليك أن تعلم ان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم او غيره لهؤلاء السائلين ليس مما يدل على استحباب
 السؤال فانه هو القائل صلى الله عليه وسلم ان احدمكم ليسألني المسئلة فأعطيها اياها فيخرج بها يتأبطها
 ناراقالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا ان يسألوني وبأني الله الى البخل واكثر هؤلاء السائلين
 الملحجين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطرب ايمانهم كما ان السائلين له في الحياة كانوا كذلك وفيهم من
 اجيب وامر بالخروج من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن
 حال السائل فلا فرق بين هذا وهذا فان الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة

عليه ملك من الملائكة وأحاديثه المتقدمة تبين ان الصلاة والسلام عليه تباهه من البعيد والقريب * الثاني
ان هذا انما يقتضى استجباب الدعاء للزائر في ضمن الزيارة كما ذكر ذلك العلماء في مناسك الحج وليس هذا
مسألتنا فانا قد منا ان من زاره زيارة مشروعة ودعا في ضمنها لم يكره هذا كما ذكره بعض العلماء مع
ما في ذلك من النزاع مع أن المذوق عن السلف كراهة الوقوف عنده للدعاء وهو اصح وانما المكروه الذى
ذكرناه قصد الدعاء عنده ابتداء كما ان من دخل المسجد ف صلى تحية المسجد ودعا في ضمنها لم يكره ذلك
أو توطأ في مكان وصلى هناك ودعا في ضمن صلاته لم يكره ذلك ولو تحرى الدعاء في تلك البقعة او في
مسجد لا خصيصة له في الشرع دون غيره من المساجد نهى عن هذا التخصيص * الثالث ان الاستجابة
هنا لعالم لكثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم فان الصلاة عليه قبل الدعاء وفي وسطه وآخره من
أقوى الاسباب التى يرجى بها اجابة سائر الدعاء كما جاءت به الآثار مثل قول عمر بن الخطاب رضى الله
عنه الذى يروى موقوفا ومرفوعا الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى تضلي على نبيك رواه الترمذى
وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في كتاب اخبار المدينة فيما رواه عنه الزبير بن بكار وروى عنه عن عبد
العزیز بن محمد الدراوردي قال رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان يأتي اذا صلى العصر
من يوم الجمعة ونحن جلوس مع ربيعة بن أبي عبد الرحمن فيقوم عند القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ويدعو حتى يمسى فيقول جلساء ربيعة انظروا الى ما يصنع هذا فيقول دعوه فانما للمرء مانوى
ومحمد بن الحسن هذا صاحب أخبار وهو مضعف عند أهل الحديث كالواقدي ونحوه لكن يستأنس
بما يرويه ويعتبر به وهذه الحكاية قد يتمسك بها على الطرفين فانها تتضمن ان الذى فعله هذا الرجل
أمر مبتدع عندهم لم يكره من فعل الصحابة وغيرهم من علماء أهل المدينة والا لو كان هذا امرا معروفا من
عمل أهل المدينة لما استغربه جلساء ربيعة وانكروه بل ذكر محمد بن الحسن لها في كتابه مع رواية الزبير
ابن بكار ذلك عنه يدل على أنهم على عهد مالك وذويه ما كانوا يعرفون هذا العمل والا لو كان هذا شائعا
بينهم لما ذكروا في كتاب مصنف ما يتضمن استغراب ذلك ثم ان جلساء ربيعة وهم قوم فقهاء علماء
أنكروا ذلك وربيعة أقره فغايبته ان يكون في ذلك خلاف ولكن تعليل ربيعة له بان لكل امرئ مانوى
لا يقتضى الاقرار على ما يكره فانه لو أراد الصلاة هناك لنهى وكذلك لو أراد الصلاة في وقت نهى
وانما الذى اراده والله اعلم ان من كانت له نية صالحة ائيب على نيته وان كان الفعل الذى فعله ليس
بمشروع اذا لم يتمم مخالفة الشرع يعنى فهذا الدعاء وان لم يكن مشروعا لكن لصاحبه نية صالحة فيثاب
على نيته فيستفاد من ذلك أنهم مجمعون على انه غير مستحب ولا خصيصة في تلك البقعة وانما الخبر يحصل
من جهة نية الداعي ثم ان ربيعة لم يكره عليه متابعة جلسائه اما لانه لم يبلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن اتخاذ قبره عيدا وعن الصلاة عنده فان ربيعة كما قال أحمد كان قايلا العلم بالآثار أو بلغه ذلك
لكن لم ير مثل هذا داخلا في معنى النهى أولانه لم ير هذا محرما وانما غايته أن يكون مكروها وانكار
المكروه ليس بفرض أو انه رأى ان ذلك الرجل انما قصده السلام والدعاء جاء ضمنا وتبعيا وفي هذا

العتي عن مالك عن عبد الله بن دينار قال رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه وعلى أبي بكر وعمر الوجه الثالث في كراهة قصدها للدعاء ان السلف رضي الله عنهم كرهوا ذلك متاولين في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لاتخذوا قبري عيداً كما ذكرنا ذلك عن علي بن الحسين والحسن ابن الحسن ابن عمه وهما افضل أهل البيت من التابعين وأعلم بهذا الشأن من غيرهما مجاورتهما بالحجرة النبوية نسباً ومكاناً وقد ذكرنا عن أحمد وغيره انه امر من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم اراد ان يدعو ان ينصرف فيستقبل القبلة وكذلك أنكر ذلك غير واحد من العلماء المتقدمين كمالك وغيره ومن المتأخرين مثل أبي الوفاء بن عقيل وأبي الفرج بن الجوزي وما حفظ لا عن صحابي ولا عن تابعي ولا عن امام معروف انه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده ولا روى أحد في ذلك شيئاً إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعروفين وقد صنف الناس في الدعاء أوقاته وأمكنته وذكروا فيه الآثار فاذا ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفاً واحداً فيما أعلم فكيف يجوز والحالة هذه ان يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل والسلف تنكروا ولا تعرفه وتنهى عنه ولا تأمر به نعم صار من نحو المائة الثالثة يوجد متفرقا في كلام بعض الناس فلان ترجى الاجابة عند قبره وفلان يدعى عند قبره ونحو ذلك والانكار على من يقول ذلك ويأمر به كائناً من كان فان احسن أحواله ان يكون مجتهداً في هذه المسألة أو مقلداً فيعفو الله عنه اما ان هذا الذي قاله يقتضى استحباب ذلك فلا بل قد يقال هذا من جنس قول بعض الناس المكان الفلاني يقبل النذر والموضع الفلاني ينذرله ويعينون عيناً أو برّاً أو شجرة أو مغارة أو حجرة أو غير ذلك من الاوثان فكما لا يكون مثل هذا القول عمدة في الدين كذلك الاول ولم يباغنا الى الساعة عن أحد من السلف رخصة في ذلك الا ما روى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور باسناده عن محمد بن اسماعيل بن أبي فديك قال أخبرني سليمان بن يزيد الكعي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة قال ابن أبي فديك وأخبرني عمر بن حفص ان ابن أبي مليكة كان يقول من أحب أن يقوم وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند رأس القبر على رأسه قال ابن أبي فديك وسمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصاؤون على النبي فقال صلى الله عليك يا محمد حتي يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة فهذا الاثر من ابن أبي فديك قد يقال فيه استحباب قصد الدعاء عند القبر ولا حاجة فيه لوجوه أحدها ان ابن أبي فديك روى هذا عن مجبول وذكر ذلك المجبول انه بلاغ عن لا يعرف ومثل هذا لا يثبت به شيء أصلاً وابن أبي فديك متأخر في حدود المائة الثانية ليس هو من التابعين ولا تابعيهم المشهورين حتي يقال قد كان هذا معروفاً في القرون الثلاثة وحسبك أن أهل العلم بالمدينة المعتمدين لم ينقلوا شيئاً من ذلك وما يضعفه انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً فكيف يكون من صلى عليه سبعين مرة جزأه ان يصلي

فيه لأن ذلك نوع من اتخاذ عيداً مع أن قد شرع لنا إذا دخلنا المسجد أن نقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما نقول ذلك في آخر صلاتنا بل قد استحب ذلك لكل من دخل مكاناً ليس فيه أحد أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم لما تقدم من أن السلام عليه يبلغه من كل موضع تخاف مالك وغيره أن يكون فعل ذلك عند القبر كل ساعة نوعاً من اتخاذ القبر عيداً وأيضاً فإن ذلك بدعة فقد كان المهاجرون والانصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه لعلمهم رضي الله عنهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه وانهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفي التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك قال سعيد في سنته حدثنا عبد الرحمن بن زيد حدثني أبي عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم وصلى عليه وقال السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا بقاء وعبد الرحمن بن زيد وإن كان يضعف لكن الحديث المتقدم عن نافع الصحيح يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائماً ولا غالباً وما أحسن ما قال مالك لن يصاح آخر هذه الأمة إلا ما أصاح أولها ولكن كما ضعف تمسك الامم بعبود أنبيائهم ونقص إيمانهم عوضوا ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه وكانت حجرة عائشة التي دفنوه فيها ملاصقة لمسجده وكان ما بين منبره وبينه هو الروضة ومضى الأمر على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم وزيد في المسجد زيادات وغيره والحجرة عن حالها هي وغيرها من الحجر المطيعة بالمسجد من شرقيه وقبليه حتى بناء الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة فابتاع هذه الحجر وغيرها وهدمهن وادخلهن في المسجد فن أهل العلم من كره ذلك كسعيد بن المسيب ومنهم من لم يكرهه قال أبو بكر الأثرم قلت لأبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم يمس ويتمسح به فقال ما عرف هذا قلت له فالمنبر فقال أما المنبر فنعيم قد جاء فيه قال أبو عبد الله شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر أنه مسح على المنبر قال ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة قلت ويروونه عن يحيى بن سعيد أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا فرايته استحسنه ثم قال لعله عند الضرورة والشئ قيل لأبي عبد الله أنهم يصبقون بطونهم بجدار القبر وقلت له رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون فقال أبو عبد الله نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ثم قال أبو عبد الله بابي هو وأمي صلى الله عليه وسلم فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ويده ولم يرخصوا في التمسح بقبره وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره لأن أحمد شيع بعض الموتى فوضع يده على قبره يدعو له والفرق بين الموضعين ظاهر وكره مالك التمسح بالمنبر كما كرهوا التمسح بالقبر فاما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة فقد زال ما رخص فيه لأن الآثار المنقول عن ابن عمر وغيره إنما هو التمسح بمقعده وروى الأثرم بإسناده عن

في أهل الظلمات من الكفار والمنافقين أو ذوى الكبرائر الذين أظلمت قلوبهم بالمعاصى حتى لا يعززون بين الحق والباطل واماما ذكر في المناسك انه بعد تحية النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه والصلاة والسلام يدعو فقد ذكر الامام احمد وغيره انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته عليه الصلاة والسلام ثم يدعو لنفسه وذكر انه اذا حياه وصلى عليه يستقبله بوجهه بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فاذا اراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا وهذا مراعاة منهم لذلك فان الدعاء عند القبر لا يكره مطا مقابل يؤمر به كما جاءت به السنة فيما تقدم ضمنا وتبعنا وانما المكروه ان يتجرى المجرى الى القبر للدعاء عنده وكذلك ذكر أصحاب مالك قالوا يدنو من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة بوليته ظهره وقيل لا بوليته ظهره وانما اختلفوا لما فيه من استدباره فاما اذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بالاخلاف وصار في الروضة وامامها ولعل هذا الذى ذكره الائمة اخذوه من كراهة الصلاة الى القبر فان ذلك قد ثبت النهى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما نهى أن يتخذ القبر مسجدا أو قبلة أمروا بان لا يتجرى الدعاء اليه كما لا يصلى اليه قال مالك في المبسوط لا يرى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثالث لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالى على سمت القبلة ولا جعل سطحها وكذلك قصدوا قبل ان تدخل الحجرة فى المسجد فروى ابن بطه باسناد معروف عن هشام بن عروة حدثني ابي قال كان الناس يصلون الى القبر فامر عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلى اليه الناس فلما هدم بدت قدم بساق وركبة قال ففرع من ذلك عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذه ساق عمر وركبته فسرى عن عمر بن عبد العزيز وهذا أصل مستمر فانه لا يستحب للداعى ان يستقبل الاما يستحب ان يصلى اليه ألا ترى أن الرجل لما نهى عن الصلاة الى جهة المشرق وغيرها فانه ينهى ان يتجرى استقبالها وقت الدعاء ومن الناس من يتجرى وقت دعائه استقبال الجهة التي يكون فيها الرجل الصالح سواء كانت في المشرق او غيره وهذا ضلال بين وشر واضح كما أن بعض الناس يمتنع من استدبار الجهة التي فيها بعض الصالحين وهو يستدبر الجهة التي فيها بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاشياء من البدع التي تضارع دين النصارى * ومما يبين لك ذلك * ان نفس السلام على النبي صلى الله عليه وسلم قد راعوا فيه السنة حتى لا يخرج الى الوجه المكروه الذى قد يجبر الى اطراء النصارى عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبورى عيدا وبقوله لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقول عبد الله ورسوله فكان بعضهم يسأل عن السلام على القبر خشية ان يكون من هذا الباب حتى قيل له ان ابن عمر كان يفعل ذلك ولهذا كره مالك رضى الله عنه وغيره من أهل العلم لاهل المدينة كما دخل أحدهم المسجد أن يحجى فيسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه قال وانما يكون ذلك لاحدهم اذا قدم من سفر او اراد سفرا ونحو ذلك ورخص بعضهم في السلام عليه اذا دخل المسجد للصلاة ونحوها واما قصده دائما للصلاة والسلام فما علمت احدا رخص

تارة لتأييد دينه بذلك وتارة تعجيلا لبعض ثوابهم في الدنيا وتارة انعاما عليهم بحجب نعمة أو دفع نقمة أو لغير ذلك ويؤمنون بان الله يرد ما أمرهم به من الاعمال الصالحة والدعوات المشروعة ما جعلته في قوى الاجسام والانفس ولا يفتنون الى الاوهام التي دلت الادلة العقلية أو الشرعية على فسادها ولا يعلمون بما حرمة الشريعة وان ظن ان له تأثيرا وبالجملة فالعلم بان هذا كان هو السبب أو بعض السبب أو شرط السبب في هذا الامر الحادث قد يعلم كثير او قد يظن كثيرا وقد يتوهم كثيرا وهما ليس له مستند صحيح الاضعف العقل ويكفيك أن كل ما يظن انه سبب لحصول المطالب مما حرمة الشريعة من دعاء أو غيره لا بد فيه من أحد أمرين اما أن لا يكون سببا صحيحا كدعاء مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا واما أن يكون ضرره أكثر من نفعه فاما ما كان سببا صحيحا منفعته أكثر من مضرته فلا ينهى عنه الشرع بحال وكل ما لم يشرع من العادات مع قيام المقتضى لفعله من غير مانع فانه من باب النهي عنه كما تقدم وأما العلم بغلبة السبب فله طرق في الامور الشرعية كما له طرق في الامور الطبيعية منها الاضطراب فان الناس لما عطشوا وجاعوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ غير مرة ماء قليلا فوضع يده الكريمة فيه حتى فار الماء من بين أصابعه ووضع يده الكريمة في الطعام وبرك فيه حتى كثر كثرة خارجة عن العادة فان العلم بهذا الاقتران المعين يوجب العلم بان كثرة الماء والطعام كانت بسببه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا كما يعلم ان الرجل اذا ضرب بالسيف ضربة شديدة صرعه فمات ان الموت كان منها بل أوكد فان العلم بأن كثرة الماء والطعام ليس له سبب معتاد في مثل ذلك أصلا مع العلم بهذه المقارنة يوجب علما ضروريا بذلك وكذلك لما دعا لانس بن مالك أن يكثر الله ماله وولده فكان نخله يحمل في السنة مرتين خلافا عادة بلده ورأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة فان مثل هذا الحادث يعلم انه كان بسبب ذلك الدعاء ومن رأى ط لا يبكي بكاء شديدا فالقمة أمه الثدي فسكن علم يقينا ان سكونه كان لاجل اللبن والاحتمالات وان تطرقت الى النوع فانها قد لا تطرق الى الشخص المعين وكذلك الادعية فان المؤمن يدعو بدعاء فيرى المدعو بعينه مع عدم الاسباب المقتضية له أو يفعل فعلا كذلك فيجده كذلك كالعلاء بن الحضرمي رضى الله عنه لما قال يا علم يا حليم يا علي يا عظيم اسقنا فطروا في يوم شديد الحر مطرا لم يجاوز عسكرهم وقال احمانا فشوا على النهر الكبير مشيا لم يبل أسافل أقدام دوابهم وأيوب السخيتاني لما ركض الجبل لصاحبه ركضة فنبعت له عين ماء فشرب ثم غارت فدعا الله وحده لا شريك له دل الوحي المنزل والعقول الصحيحة على فائدته ومنفعته ثم التجارب التي لا يحصى عددها الا الله فوجد أكثر المؤمنين قد دعوا الله وسألوه أشياء أسبابها منتفية في حقهم فاحدث لهم تلك المطالب على الوجه الذي طلبوه على وجه يوجب العلم تارة والظن الغالب أخرى ان الدعاء كان هو السبب في هذا وتجد هذا ثابتا عند ذوى العقول والبصائر الذين يعرفون جنس الادلة وشروطها واطرادها وأما اعتقاد تأثير الادعية المحرمة فعامة انما تجد اعتقاده عند أهل الجهل الذين لا يميزون بين الدليل وغيره ولا يفهمون ما يشترط للدليل من الاطراد وانما يتفق

مطلوبهم ودفع مرهوبهم وقد أخبر الصادق المصدوق أن نذر طاعة الله فضلا عن معصيته ليس سببا لحصول الخير وإنما الخير الذي يحصل للنادر يوافقه موافقة كما يوافق سائر الأسباب فما هذه الادعية غير المشروعة في حصول المطلوب بل أكثر من هذه النذور في حصول المطلوب بل تجدد كثيرا من الناس يقول أن المكان الفلاني أو المشهد الفلاني أو القبر الفلاني يقبل النذر بمعنى أنهم نذروا له نذرا أن قضيت حاجتهم وقضيت كما يقول القائلون الدعاء عند المشهد الفلاني أو القبر الفلاني مستجاب بمعنى أنهم دعوا هناك مرة فرأوا أثر الإجابة بل إذا كان المبطون يضيفون قضاء حوائجهم إلى خصوص نذر المعصية مع أن جنس النذر لا أثر له في ذلك لم يبعد منهم إذا أضافوا حصول غرضهم إلى خصوص الدعاء بمكان لا خصوص له في الشرع لأن جنس الدعاء هنا مؤثر فالإضافة إليه ممكنة بخلاف جنس النذر فإنه لا يؤثر والغرض بأن يعرف أن الشيطان إذا زين لهم نسبة الأثر إلى ما لا يؤثر نوعا ولا وصفا فنسبته إلى وصف قد ثبت تأثير نوعه أولى أن يزينه لهم ثم كما لم يكن ذلك الاعتقاد منهم صحيحا فكذلك هذا إذا كلاهما مخالف لشرع وما يوضح ذلك أن اعتقاد المعتقدان هذا الدعاء أو هذا النذر هو السبب أو بعض السبب في حصول المطلوب لا بد له من دلالة ولا دليل على ذلك في الغالب إلا الاقتران أحيانا أعنى وجودهما جميعا وإن تراخى أحدهما عن الآخر مكانا أو زمانا مع الانتقاض أضعاف أضعاف الاقتران وبمجرد اقتران الشيء بالشيء بعض الأوقات مع انتقاضه ليس دليلا على العلة باتفاق العقلاء إذا كان هنالك سبب آخر صالح إذ تخلف الأثر عنه يدل على عدم العلية فإن قيل إن التخلف لفوات شرط أو لوجود مانع قيل بل الاقتران لوجود سبب آخر وهذا هو الراجح فإنما نرى الله في كل وقت يقضى الحاجات ويفرج الكربات بأنواع من الأسباب لا يخصصها إلا هو وما رأيناه يحدث المطلوب مع وجود هذا الدعاء المبتدع إلا نادرا فإذا رأيناه قد أحدث شيئا وكان الدعاء المبتدع قد وجد كان إحالة حدوث الحادث على ما علم من الأسباب التي لا يخصصها إلا الله أولى من إحالته على ما لم يثبت كونه سببا ثم الاقتران إن كان دليلا على العلة فالانتقاض دليل على عدمها وهنا افترق الناس على ثلاث فرق مفضوب عليهم وضالون والذين أنعم الله عليهم فالمغضوب عليهم يطعنون في عامة الأسباب المشروعة وغير المشروعة ويقولون الدعاء المشروع قد برئ وقد لا يؤثر ويتصل بذلك الكلام في دلالة الآيات على تصديق الأنبياء عليهم السلام والضالون يتوهمون في كل ما يتخيل سببا وإن كان يدخل في دين اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم والمتكاسبون من المتفلسفة يحيلون ذلك على أمور فلكية وقوى نفسانية وأسباب طبيعية يدورون حولها لا يعدلون عنها فاما المهتدون فهم لا ينكرون ما خلقه الله من القوى والطبائع في جميع الأجسام والأرواح إذ الجميع خلق الله لكنهم يؤمنون بما وراء ذلك من قدرة الله التي هو بها على كل شيء قدير ومن أنه كل يوم هو في شأن ومن اجابته لعبده المؤمن خارقة عن قوة نفسه وتصرف جسمه وروحه وبأن الله يخرق العادات لأنبيائه لإظهار صدقهم ولا كرامهم بذلك ونحو ذلك من حكمه وكذلك يخرقها لأوليائه

المطلوب وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل بالمطلوب لا ارتباط السبب بالسبب بمنزلة الخبر الصادق
والعام السابق والصواب ما عليه الجمهور من أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب أو غيره كسائر الأسباب
المقدرة والمشروعة وسواء سمي سبباً أو شرطاً أو جزءاً من السبب فالقصد هنا واحد فإذا أراد الله بعبد
خيراً ألهمه دعاء والاستعانة به وجعل استعانته ودعائه سبباً للخير الذي قضاء له كما قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني لا أحمل هم الاجابة وانما أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الاجابة معه كما أن الله
تعالى إذا أراد أن يشيع عبداً أو يرويه ألهمه أن يأكل أو يشرب وإذا أراد الله أن يتوب على عبد ألهمه أن
يتوب فيتوب عليه وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة يسره لعمل أهل الجنة والمشيئة الالهية اقتضت
وجود هذه الخيرات بأسبابها المتعددة لها كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح ووجود الولد بالوطء
والعلم بالتعلم فبدأ الأمور من الله وتامها على الله لأن العبد نفسه هو المؤثر في الرب أو في ملكوت الرب
بل الرب سبحانه هو المؤثر في ملكوته وجاعل دعاء عبده سبباً لما يريد سبحانه من القضاء كما قال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت ادوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى ننتقيها هل ترد من
قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتاجان
بين السماء والارض فهذا في الدعاء الذي يكون سبباً في حصول المطلوب وأعلى من هذا ما جاء به الكتاب
والسنة من رضا الله وفرحه وضحكه بسبب أعمال عباده الصالحة كما جاءت به النصوص وكذلك غضبه
ومقته وقد بسطنا الكلام في هذا الباب وما للناس فيه من المقالات والاضطراب فما فرض من الادعية
المنهى عنها سبباً فقد تقدم الكلام عليه فاما غالب هذه الادعية التي ليست مشروعة فلا تكون هي السبب
في حصول المطلوب ولا جزءاً منه ولا يعلم ذلك بل لا يتوهم وهما كاذبا كالنذر سواء كان في الصحيح عن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج
به من البخيل وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً
لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان
يخرجه فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان النذر لا يأتي بخير وانه ليس من الاسباب الجالبة لخير
أو الدافعة لشر أصلاً وانما يوافق القدر موافقة كما توافقه سائر الاسباب فيخرج من البخيل حينئذ ما لم
يكن يخرجه قبل ذلك ومع هذا فانت ترى الذين يحكون انهم وقعوا في شدة فندروا نذرا لكشف
شدائهم أكثر أو قريباً من الذين يزعمون انهم دعوا عند القبور أو غيرها فقضيت حوائجهم بل من
كثرة اغترار المضلين بذلك صارت النذور المحرمة في الشرع مما كل لكثير من السدنة والمجاورين الماكفين
على القبور أو غيرها يأخذون من الاموال شيئاً كثيراً وأولئك الناذرون يقول أحدهم مرضت فنذرت
ويقول الآخر خرج على المحاربون فنذرت ويقول الآخر ركبت البحر فنذرت ويقول الآخر حبست
فنذرت ويقول الآخر أصابني فاقة فنذرت وقد قام بنفوسهم ان هذه النذور هي السبب في حصول

من الاجابات انما فعلها هو وحده لاشريك له وان كانت تجري باسباب محرمة او مباحة كما ان خلقه للسموات والارض والرياح والسحاب وغير ذلك من الاجسام العظيمة دل على وحدانيته وانه خالق كل شيء وان مادون هذا بان يكون خالقا له اولى اذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة فخالق السبب التام خالق للمسبب لا محالة وجماع الامر ان الشريك نوعان شرك في ربوبيته بان يجعل لغيره معه تدبير اما كما قال سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير فبين انهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت علاقته وشرك في الألوهية بان يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسئلة كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فكما أن اثبات المخلوقات أسباب لا تقدح في توحيد الربوبية ولا تمتنع ان الله خالق كل شيء ولا توجب ان يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك اثبات بعض الافعال المحرمة من شرك أو غيره اسبابا لا تقدح في توحيد الالهية ولا يمتنع ان يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب ان تستعمل الكلمات والافعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب العبد عليه ويكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته اذ قد جعل الخير كله في انا لا نعبد الاياه ولا نستعين الاياه وعامة آيات القرآن تثبت هذا الاصل الاصيل حتي انه سبحانه قطع اثر الشفاعة بدون اذنه كقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكقوله سبحانه وأنبأ به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقوله تعالى وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وكقوله تعالى قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا الآية وكقوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الى قوله تعالى وضل عنكم ما كنتم ترعومون وسورة الانعام سورة عظيمة مشتملة على اصول الايمان وكذلك قوله تعالى ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع وقوله سبحانه والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وسورة الزمر أصل عظيم في هذا ومن هذا قوله سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف الى قوله عز وجل ولبئس العشير وكذلك قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت الى قوله تعالى لو كانوا يعلمون القرآن عامته انما هو في تقرير هذا الاصل العظيم الذي هو أصل الاصول وهذا الذي ذكرناه كله من تحريم هذا الدعاء مع كونه قد يؤثر اذا قدر ان هذا الدعاء كان سببا أو جزأ من السبب في حصول طلبته والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب لقضاء الحاجات فزعم قوم من المبطلين متفلسفة ومتصوفة انه لا فائدة فيه أصلا فان المشيئة الالهية والاسباب العلوية اما ان تكون قد اقتضت وجود المطلوب حينئذ فلا حاجة الى الدعاء أو لا تكون اقتضته حينئذ فلا ينفع الدعاء وقال قوم ممن تكلم في العلم بل الدعاء علامة ودلالة على حصول

الكفر والنفاق مالا تنفذ في دار الاسلام وزمانه ومن هذا انى اعرف رجالا يستغيثون ببعض الاحياء في شدائد تنزل بهم فيفرج عنهم وربما يعاينون امورا وذلك الحى المستغاث به لم يشعر بذلك ولا علم له به البتة وفيهم من يدعو على اقوام او يتوجه في ايذائهم فيرى بعض الاحياء او بعض الاموات يحول بينه وبين ايذاء اولئك وربما رآه ضاربا له بسيف وان كان الحى لا شعور له بذلك وانما ذلك من فعل الله سبحانه بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع من اتباع له وطاعة فيما يامر به طاعة الله ونحو ذلك فهذا قريب وقد يجرى لعباد الاصنام أحيانا من الجنس المحرم محبة من الله بما تفعله الشياطين لاعوانهم فاذا كان الاثر قد يحصل عقب دعاء من يتيقن انه لم يسمع الدعاء فكيف يتوهم انه هو الذى تسبب في ذلك أو أن له فيه فعلا واذا قيل ان الله يفعله بذلك السبب فاذا كان السبب محرما لم يحز كالا مراض التى بمحدثها الله عقب أكل السموم وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله وان يدعو الله كما تقول النصرارى يا والدة الاله اشفى لنا الى الاله وقد يكون دعا الله لكنه توسل اليه بما لا يجب ان يتوسل به المشركون الذين يتوسلون الى الله باوثانهم وقد يكون دعا الله بكلمات لا يصح ان يناجى بها الله او يدعى بها لما في ذلك من الاعتداء فهذه الادعية ونحوها وإن كان قد يحصل لصاحبها احيانا غرضه لكنها محرمة لما فيها من الفساد الذى يربو على منفعتها كما تقدم ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله وينور قلبه ويفرق بين أمر التكوين وأمر التشريع ويفرق بين أمر القدر والشرع ويعلم ان الاقسام ثلاثة أمور قدورها الله وهو لا يجبرها ويرضاها فان الاسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه وأمور شرعها فهو يجبرها من العبد ويرضاها ولكن لم يعنه على حصولها فهذه محبودة عنده مرضية وان لم توجد والقسم الثالث ان يعين الله العبد على ما يحبه منه فالاول إعانة الله والثانى عبادة الله والثالث جمع له بين العبادة والاعانة كما قال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين فما كان من الدعاء غير المباح اذا أثر فهو من باب الاعانة لا العبادة كسائر الكمار والمنافتين والفاسق ولهذا قال تعالى في مريم وصدقت بكلمات ربها وكتبه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ومن رحمة الله تعالى ان الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره ان يفعل أو دعائه ان يدعو الله ونحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض شبهة الا في الامور الحقيرة فاما الامور العظيمة كازال الغيث عند القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك كما قال تعالى قل أرأيتم ان أنا كم عذاب الله أو أتتكم الساعة غير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتسبون ما تشركون وقال تعالى اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه الى قوله كفورا وقال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقال تعالى قل ادعوا الذى زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الى قوله محذورا وقال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها الا هو سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به وعلم بذلك ان مادون هذا ايضا

جهة المستعاضة واما من جهة نفس الاستعاذة فينجون من ذلك الشر ويقعون فيما هو اعظم منه اما المطلوب المحرم فذل ان يسأل الله ما يضره في دنياه أو آخرته وان كان لا يعلم انه يضره فيستجاب له كالرجل الذي عاده النبي صلى الله عليه وسلم فوجده مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء قال كنت اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا قال سبحانه الله انك لا تستطيعه اولاً تطيقه هلا قلت ربنا آتاني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقذا عذاب النار وكاهل جابر بن عتيك لما مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على انفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون وقد عاب الله على من يقتصر على طلب الدنيا بقوله فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق فاخبران من لم يطلب الا الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومثل ان يدعو على غيره دعاء منهياً عنه كدعاء بلعام بن باعوراء على قوم موسى عليه السلام وهذا قد يتلى به كثير من العباد ارباب القلوب فانه قديراً على أحدهم ما يجده من حب او بغض لاشخاص فيدعو لاقوام وعلى اقوام بما لا يصلح فيستجاب له ويستحق العقوبة على ذلك الدعاء كما يستحقها على سائر الذنوب فان لم يحصل له ما يمحوه من توبة او حسنات ماحية او شفاعة غيره او غير ذلك والافتقار يعاقب اما بان يسلب ما عنده من ذوق طعم الايمان ووجود حلاوته فينزل عن درجته واما ان يسلب عمل الايمان فيصير فاسقاً واما ان يسلب أصل الايمان فيكون كافراً منافقاً أو غير منافق وما اكثر ما يتلى بهذا المتأخرون من ارباب الاحوال القابضة بسبب عدم فقههم في احوال قلوبهم وعدم معرفة شريعة الله في اعمال القلوب وربما غلب على احدهم حال قبله حتى لا يمكنه صرفه عما توجه اليه فيبقى ما يخرج منه مثل السهم الخارج من القوس وهذه الغلبة انما تقع غالباً بسبب التقصير في الاعمال المشروعة التي تحفظ حال القلب فيؤخذ على ذلك وقد تقع بسبب اجتهاد يخطئ صاحبه فتقع معفو عنها ثم من غرور هؤلاء واشباههم اعتقادهم ان استجابة مثل هذا الدعاء كرامة من الله تعالى لعبده وليس في الحقيقة كرامة وانما يشبه الكرامة من جهة كونها دعوة نافذة وسلطاناً قاهراً وانما الكرامة في الحقيقة ما نفع في الآخرة أو نفع في الدنيا ولم تضر في الآخرة وانما هذا بمنزلة ما ينعم به الكفار والفاسق من الرياسات والاموال في الدنيا فانها انما تصير نعمة حقيقية اذا لم تضر صاحبها في الآخرة ولهذا اختلف اصحابنا وغيرهم من العلماء هل ما ينعم به الكافر نعمة أم ليس بنعمة وان كان الخلاف لفظياً قال الله تعالى يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الى قوله مباسون وفي الحديث اذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامة على معصيته فانما هو استدراج يستدرجه ومثال هذا في الاستعاذة قول المرأة التي جاءت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليخطبها فقالت أعوذ بالله منك فقال لقد عدت بما ذم انصرف عنها فقيل لها ان هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنا كنت أشقى من ذلك وأما التحريم من جهة الطلب فيكون تارة لانه دعاء لغير الله مثل ما يفعله السحرة من مخاطبة الكواكب وعبادتها ونحو ذلك فانه قد يقضى عقب ذلك أنواع من القضاء اذا لم يمارضه معارض من دعاء أهل الايمان وعبادتهم أو غير ذلك ولهذا تنفذ هذه الامور في زمان فترة الرسل وفي بلاد

العبادة المشتمة على وصف مكروه قد تغفر تلك الكراهة لصاحبها لاجتهاده أو تقليده أو حسنه أو غير ذلك ثم ذلك لا يمنع أن يعلم أن ذلك مكروه ينهى عنه وإن كان هذا إلا على المعين قد زال موجب الكراهة في حقه ومن هذا يغلط كثير من الناس فأنهم يباينون بعض الأعيان من الصالحين عبدوا عبادة أو دعوا دعاء وجدوا أثر تلك العبادة وذلك الدعاء فيجعلون ذلك دليلاً على استحسان تلك العبادة والدعاء ويجعلون ذلك العمل سنة كأنه قد فعله نبي وهذا غلط لما ذكرناه خصوصاً إذا كان ذلك العمل إنما كان أثره بصدق قام بقب فاعله حين الفعل ثم تفعله الاتباع صورة لصدقاً فيضرون به لأنه ليس العمل مشروعاً فيكون لهم ثواب المتبعين ولا قام بهم صدق ذلك الفاعل لعله بصدق الطلب وصحة القصد يكفر عن الفاعل * ومن هذا الباب ما يحكى من آثار لبعض الشيوخ حصلت في السماع المبتدع فإن تلك الآثار إنما كانت عن أحوال قامت بقلوب أولئك الرجال حركها محرك كانوا في سماعه مامجتهدين واما مقصرين تقصيرا غمره حسنات قصدهم في اخذ الاتباع حضور صورة السماع وليس حضور أولئك الرجال سنة تتبع ولا مع المقتدين من الصدق والقصد مالا جله عذروا وغفر لهم فيها يكون بذلك وكما يحكى عن بعض الشيوخ أنه رأى بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال أو قفى بين يديه وقال لى يا شيخ السوء أنت الذى كنت تتمثل بسعدى ولبنى لولا أعلم أنك صادق لعذبتك فإذا سمعت دعاء أو مناجاة مكروهة في الشرع قد قضيت حاجة صاحبها فكثيراً ما يكون من هذا الباب ولهذا كان الأئمة العلماء بشريعة الله يكرهون هذا من أصحابهم وإن وجد أصحابهم أثره كما يحكى عن سحنون المحب قال وقع في قاي شيء من هذه الآيات فجئت الى جنة فقلت وعزتك لا اذهب حتى يخرج لى حوت فخرج حوت عظيم أو كما قال قال فبلغ ذلك الجنيد فقال كنت أحب أن تخرج اليه حية فتقتله وكذلك حكى لنا بعض المجاورين بالمدينة جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاشتبه عليه نوعاً من الاطعمة فجاء بعض الهاشميين اليه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليك هذا وقال لك اخرج من عندنا فإن من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا وآخرون قضيت حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم فانه يغفر للجاهل مالا يغفر لغيره كما يحكى عن برخ العابد الذى استسقى في بنى اسرائيل ولهذا عامة ما يحكى في هذا الباب إنما هو عن قاصر المعرفة ولو كان هذا شرعاً أو ديناً لكان أهل المعرفة أولى به ولا يتأهل هؤلاء لما نقصت معرفتهم سوى لهم ذلك فإن الله لم يسوغ هذا لاحد لكن قصور المعرفة قد يرجى معه العفو والمغفرة اما استحباب المنكروهات أو اباحة المحرمات فلا ففرق بين العفو عن الفاعل والمغفرة له وبين اباحة فعله أو المحبة له سواء كان ذلك متعلقاً بنفس الفعل أو ببعض صفاته وقد علمت جماعة ممن سأل حاجة من بعض المقبورين من الانبياء أو الصالحين فتقضيت حاجته وهو لا يخرج عما ذكرته وليس ذلك بشرع فيتبع ولا سنة وإنما ثبت استحباب الافعال واتخاذها ديناً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السابقون الاولون وما سوى ذلك من الامور المحدثه فلا يستحب وإن اشتملت أحياناً على فوائد لانا نعلم ان مفسادها راجحة على فوائدها ثم هذا التحريم والكراهة المقترنة بالادعية المنكروهة امامن جهة المطلوب واما من جهة نفس الطلب وكذلك الاستعاذة المحرمة أو المنكروهة فكراهتها امامن

عليهم السلام أنهم يأمرون الخلق بما فيه صلاحهم وينهونهم عما فيه فسادهم ولا يشغلونهم بالكلام في اسباب الكائنات كما تفعل المتفلسفة فان ذلك كثير التعب قايل الفائدة او موجب للضرر ومثال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل طبيب دخل على مريض فرأى مرضه فعلمه فقال له اشرب كذا واجتنب كذا ففعل ذلك فحصل غرضه من الشفاء والمتفلسف قد يطول معه الكلام في سبب ذلك المرض وصفته وزمه وذم ما أوجبه ولو قال له مريض فما الذي يشفيني منه لم يكن له بذلك علم تام الكلام في بيان تأثير بعض هذه الاسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه بحيث يختلط عقله فيتأله اذا لم يرزق من العلم والايمان ما يوجب له الهدى واليقين ويكفي العاقل ان يعلم ان ماسوى المشروع لا يؤثر بحال فلا منفعة فيه أو انه وان اثر فضرره اكثر من نفعه ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الادعية المحرمة ان الرجل منهم قد يكون مضطرا اضطرارا لودعا الله بها مشرك عندوثن لاستجيب له لصدق توجهه الى الله وان كان تجرى الدعاء عند الوثن شركا ولو قد استجيب على يد المتوسل به صاحب القبر أو غيره لاستغاثته فانه يعاقب على ذلك ويهوى في النار اذا لم يغف الله عنه كالمطلب من الله ما يكون فتنه له كما ان ثعلبة لما سال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو له بكثرة المال ونهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له وكان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليسألني المسألة فاعطيه اياها فيخرج بها يتأبطها نارا فقالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يا بون الا أن يسئلوني ويأبى الله الى البخل فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة تارة بان يسأل مالا تصاح له مسألته كما فعل بلعام وثعلبة وكذا خلق كثير دعوا باشياء فحصل لهم وكان فيها هلاكهم وتارة بان يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله كما قال سبحانه ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فهو سبحانه لا يحب المعتدين في صفة الدعاء ولا في المسؤل وان كانت حاجتهم قد تقضى كاقوام ناجوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة على الله واعتداء لحدوده واعطوا طلبتهم فتنه ولما يشاء الله سبحانه بل أشد من ذلك ألتست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات في العالم باذن الله قد يقضى الله بها كثيرا من أغراض النفوس ومع هذا فقد قال سبحانه ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لثوبت من عند الله خير لو كانوا يعلمون فانهم معترفون بانه لا ينفع في الآخرة وان صاحبه خاسر في الآخرة وانما يتشبثون بمنفعته في الدنيا وقد قال تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم كذلك انواع من الداعين والسائلين قد يدعون دعاء محرما يحصل معه ذلك الغرض ويورثهم ضررا اعظم منه وقد يكون الدعاء مكروها ويستجاب له أيضا ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي وقد لا يعلمه على وجه لا يعذر فيه لتقصيره في طلب العلم أو تركه للحق وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه بان يكون فيه مجتهدا او مقلدا كالقائد والمجتهد الذين يعذر ان في سائر الاعمال وغير المعذور قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته من صدق قصده والحض رحمة الله به أو نحو ذلك من الاسباب فالخلاص ان ما يقع من الدعاء المشتمل على كراهة شرعية بمنزلة سائر انواع العبادات وقد علم ان

ويستصرون فينصرون وأما الجواب المنفصل فنقول مدار هذه الشبهة على أصلين منقول وهو ما يحكى من نقل هذا الدعاء عن بعض الاعيان ومقول وهو ما يعتقد من منفعة بالتجارب والاقيسة فاما النقل في ذلك فاما كذب أو غلط وليس بحجة بل قد ذكرنا النقل عن مقتدى به بخلاف ذلك وأما المعقول فنقول عامة المذكور من المنافع كذب فان هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور وأمثالهم انما يستجاب لهم في النادر ويدعو الرجل منهم ماشاء الله من دعوات فيستجاب له في واحدة ويدعو خلق كثير منهم فيستجاب للواحد بعد الواحد أين هذا من الذين يتحرون الدعاء في أوقات الاسحار ويدعون الله في سجودهم وادبار صلواتهم وفي بيوت الله فان هؤلاء اذا ابتهلوا من جنس ابتهال المقابر لم تكذب تسقط لهم دعوة الامانع بل الواقع ان الابتهال الذي يفعله المقاريون اذا فعله المخلصون لم يرد المخلصون الا نادرا ولم يستجب للمقابر بين الانادرا والمخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها ثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث امان ان يجعل الله له دعوته أو يدخر له من الخير مثالا أو يصرف عنه من الشر مثالا قالوا يا رسول الله اذ انكسر قال الله أكثر ففهم في دعائهم لا يزالون بخير واما المقاريون فانهم اذا استجيب لهم نادرا فان أحدهم يضعف توحيده ويقل نصيبه من ربه ولا يجحد في قلبه من ذوق الايمان وحالاته ما كان يجده السابقون الاولون ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته اللهم الا ان يعفو الله عنهم لعدم عاههم بان ذلك بدعة فان المجتهد اذا اخطأ أثابه الله على اجتهاده وغفر له خطأه وجميع الامور التي يظن ان لها تأثيرا في العالم وهي محرمة في الشرع كالترجيحات الملكية والتوجهات النفسانية كالعين والدعاء المحرم والرقى المحرمة والترجيحات الطبيعية ونحو ذلك فان مضرتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب فان هذه الامور لا يطلب بها غالبا الامور دنيوية فقل ان حصل لاحد بسببها امر دنيوي الا كانت غايته فيه في الدنيا عاقبة خيثة دع الآخرة والمجمل من اهل هذه الاسباب اضعاف اضعاف المنجح ثم ان فيها من النكد والضرر ما الله به عايم فهي في نفسها مضرة لا يكاد يحصل الغرض بها الا نادرا واذا حصل فضرره أكثر من منفعته والاسباب المشروعة في حصول هذه المطالب المباحة او المستحبة سواء كانت طبيعية كالتيجارة والحراثة أو كانت دينية كالتيوكل على الله والثقة به وكداء الله سبحانه على الوجه المشروع في الامكنة والازمنة التي فضلها الله ورسوله بالكلمات الماثورة عن امام المتقين صلى الله عليه وسلم كالصدقة وفعل المعروف يحصل بها الخير المحض او الغالب وما يحصل من ضرر بفعل مشروع او ترك غير مشروع مما نهى عنه فان ذلك الضرر مكنوز في جانب ما يحصل من المنفعة وهذا الامر كما انه قد دل عليه الكتاب والسنة والاجماع فهو ايضا معقول بالتجارب المشهورة والاقيسة الصحيحة فان الصلاة والزكاة يحصل بهما خير الدنيا والآخرة ويجلبان كل خير ويدفعان كل شر فهذا الكلام في بيان انه لا يحصل بتلك الاسباب المحرمة لا خير محض ولا غالب ومن كان له خبرة باحوال العالم وعقل يتقن ذلك يقينا لاشك فيه واذا ثبت ذلك فليس علينا من سبب التأثير أحيانا فان الاسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الارض والسماء لا يحصى على الحقيقة الا هو اما اعيانها فلا ريب وكذلك انواعها ايضا لا يضبطها الخلق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى ولهذا كانت طريقة الانبياء

صاحبه مثل ما حكى بعضهم عن الشافعى رحمه الله انه قال اذا نزلت بى شدة أجيء فادعوا عند قبر أبى حنيفة رحمه الله فأجاب أو كلاما هذا معناه وهذا كذب معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل فان الشافعى لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة بل ولم يكن هذا على عهد الشافعى معروفا وقد رأى الشافعى بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الانبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسادين أفضل من أبى حنيفة وأمثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء الا عنده ثم أصحاب أبى حنيفة الذين أدركوه مثل أبى يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقته لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبى حنيفة ولا غيره ثم قد تقدم عن الشافعى ما هو ثابت فى كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها وانما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه واما ان يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روى لنا مثل هذه الحكايات المسببة لأحداث عن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك حتى تثبت فكيف بالمنقول عن غيره ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطئ ويصيب أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه كما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أذن فى زيارة القبور بعد النهى فهم المبطلون بان ذلك هو الزيارة التى يفعلونها من حجبها للصلاة عندها والاستغانة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز اثبات الشرع به أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بان الرسول لم يشرعها وتركه مع قيام المقتضى للفعل بمنزلة فعله وانما يثبت للعبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن أبناء النصارى وأمثالهم وانما المتبع فى مثل اثبات أحكام الله كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل السابقين الاولين لا يجوز اثبات حكم شرعى بدون هذه الاصول الثلاثة نصا أو استنباطا بحال والجواب عنها من وجهين محمل ومفصل أما المحمل فالتقص فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والفتايات من هذا النمط كثير بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون عند أو أنهم فيستجاب لهم أحيانا كما قد يستجاب لهؤلاء أحيانا وفى وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة فان كان هذا وحده دليلا على أن الله يرضى ذلك ويحببه فليطرد الدليل وذلك كفر متناقض ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن وأساء الظن بآخر وكل منهم يزعم ان وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره فنالحال اصابتهم جميعا وموافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح والتدين بدينهم جميعا جمع بين الاضداد فان أكبر هؤلاء انما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه دون ما ينونونه بضعف التأثير على زعمهم فان الواحد اذا أحسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثيره مثل تأثير حسن الظن بواحد دون آخر وهذا كله من خصائص الاوثان ثم قد استجيب لبلعم بن باعوراء فى قوم موسى المؤمنين وسلبه الله الايمان والمشركون قد يستسقون فيسقون

ذلك من دين الله فقد قال على الله مالا يعلم وما أحسن قول الله مالم ينزل به سلطانا لئلا يحتج بالمقاييس والحكايات ومثل هذا قوله تعالى في حكايته عن الخليل وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هذان الى قوله ان ربك حكيم عليم فان هؤلاء المشركين الشرك الاكبر والاصغر يخوفون المخلصين بشفعائهم فيقال لهم نحن لانخاف هؤلاء الشفعاء الذين انكم فانهم خالق من خلق الله لا يضررون الا بعد مشيئة الله فمن مسه بضر فلا كاشف له الا هو ومن أصابه برحة فلا راد لنضله وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم لاتخافون الله وأنتم قد أحدثتم في دينه من الشرك ما لم ينزل به وحيا من السماء فاي الفريقين أحق بالامن من كان لا يخاف الا الله ولم يتدع في دينه شركا ام من ابتدع في دينه شركا بغير اذنه بل من آمن ولم يخلط ايمانه بشرك فهو لاء من المهتدين وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وامثالها اهل العلم * فان قيل قد نقل عن بعضهم انه قال قبر معروف الترياق المحرب وروى عن معروف انه أوصى ابن اخيه أن يدعو عند قبره وذكر أبو على الخرقى في قصص من هجره احمد ان بعض هؤلاء المهجورين كان يحجى الى عند قبر أحمد ويتوخي الدعاء عنده وأظنه ذكر ذلك المروذى ونقل عن جماعات بانهم دوا عند قبور جماعات من الانبياء والصالحين من اهل البيت وغيرهم فاستجيب لهم الدعاء وعلى هذا عمل كثير من الناس وقد ذكر العلماء المصنفون في مناسك الحج اذا زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه يدعو عنده وذكر بعضهم ان من صلى عليه سبعين مرة عند قبره ودعا استجيب له وذكر بعض الفقهاء في حجة من يجوز القراءة على القبر انها بقعة يجوز السلام والذكر والدعاء عندها فجازت القراءة عندها كغيرها وقد رأى بعضهم منامات في الدعاء عند قبر بعض الاشياخ وجرب أقوام استجابة الدعاء عند قبور معروفة كقبر الشيخ أبي الفرج الشيرازى المقدسى وغيره وقد أدر كتنا في أزماننا وما قاربها من ذوى الفضل علما وعملا من كان تحرى الدعاء عندها والعكوف عليها وفيهم من كان بارعا في العلم وفيهم من له كرامات فكيف يخالف هؤلاء وانما ذكرت هذا السؤال مع بعده عن طريق اهل العلم والدين لانه غاية ما يتسك به القبوريون * قلنا الذى ذكرنا كراهته لا ينقل في استجابته فيما علمناه شئ ثابت عن القرون الثلاثة التي أنشأ عليها صلى الله عليه وسلم حيث قال خير امتى القرن الذى بمنت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم مع شدة المقتضى فيهم لذلك ولو كان فيه فضيلة فعدم أمرهم وفعلهم لذلك مع قوة المقتضى لو كان فيه فضل يوجب القطع بان لا فضل فيه وأما من بعده هؤلاء فأكثر ما يفرض ان الامة اختلفت فصار كثير من العلماء والصدقيين الى فعل ذلك وصار بعضهم الى النهى عن ذلك فانه لا يمكن ان يقال اجتمعت الامة على استحسان ذلك لوجهين أحدهما ان كثير من الامة كره ذلك وأنكره قديما وحديثا الثانى انه من الممتنع أن تتفق الامة على استحسان فعل لو كان حسنا لفعله المتقدمون ولم يفعلوه فان هذا من باب تناقض الاجتماعات وهى لاتناقض واذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم هو الكتاب والسنة واجماع المتقدمين نصا واستنباطا فكيف والحمد لله لا ينقل هذا عن امام معروف ولا عالم متبع بل المنقول في ذلك اما ان يكون كذب على

كما كان واحداً حول الحجرة الحائط الخشب ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة على السقف وانكره من كرهه على أنا قد رويناه في مغازي محمد بن اسحق من زيادات يونس بن بكير عن ابن خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر رضى الله عنه فدعا له كعباً فنسخه بالعربية فأننا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثل ما قرأ القرآن هذا فقلت لأبي العالية ما كان فيه فقال سب تركم وأمرركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لتعميه على الناس لا ينبشونه فقات ما ترجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون فقات من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الاشعيرات من قفاه ان لحوم الانبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتن به الناس وهو انكار منهم لذلك ويذكر أن قبر ابى أيوب الانصارى عند أهل القسطنطينية كذلك ولا قدوة بهم فقد كان من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامصار عدد كثير وعندهم التابعون ومن بعدهم من الامة وما استغاثوا عند قبر صحابى قط ولا استسقوا عنده ولا به ولا استنصروا عنده ولا به ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله بل على نقل ما هو دونه ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف يتقن قطعاً ان القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً بل كانوا ينيهون عن ذلك من يفعله من جهالهم كما قد ذكرنا بعضه فلا يخلوا ما ان يكون الدعاء عندها افضل منه في غير تلك البقعة اولا يكون فان كان افضل لم يجوز ان يخفى علم هذا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم ويعلمه من بعدهم ولم يجوز ان يعلموا ما فيه من الفضل ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب وان كان فيه نوع كراهة فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً وان لم يكن الدعاء عندها افضل كان قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية كالموتى تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها من شطوط الانها ومغارس الاشجار وحوائيت الاسواق وجوانب الطرقات وما لا يحصى عدده الا الله وهذا الدليل قد دل عليه كتاب الله في غير موضع مثل قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فإذا لم يشرع الله استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه فمن شرعه فقد شرعه الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذه العبادة عند المقابر نوع من ان يشرك بالله ما لم ينزل به سلطاناً لان الله لم ينزل حجة تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره ومن جعل

الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لباس به * الثاني ان يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر ان الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا النوع منى عنه اما منى تحريم أو تنزيه وهو الى التحريم أقرب والفرق بين البابين ظاهر فان الرجل لو كان يدعو الله واجتاز في عمره بضم أو صليب أو كنيسة أو كان يدعو في بقعة وكان هناك بقعة فيها صليب وهو عنه ذاهل أو دخل الى كنيسة ليبيت فيها مبيتاً جائزاً ودعا الله في الليل أو بات في بيت بعض أصدقائه ودعا الله لم يكن بهذا لباس ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة يرجو الاجابة بالدعاء في تلك البقعة لكان هذا من العظام بل لو قصد بيتاً أو حانوتاً في السوق أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها يرجو الاجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة اذ ليس للدعاء عندها فضل فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو أشد من بعضه لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذها مساجد واتخاذها عيداً وعن الصلاة عندها بخلاف كثير من هذه المواضع وما يرويه بعض الناس من انه قال اذا تحرمت في الامور فاستعينوا باهل القبور أو نحو هذا فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء والذي يبين ذلك امور أحدها انه قد تبين ان العلة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم لاجلها عن الصلاة عندها انما هو لئلا يتخذ ذريعة الى نوع الشرك بالعكوف عليها وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة ومن المعلوم ان المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء أو لدفع شر كالاستنصار في حالة افتتانه بالقبور اذا رجا الاجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية فان أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد تفتن قلوبهم بذلك الا قليلاً اما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جداً فاذا كانت المفسدة والفتنة التي لاجلها نهى عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء كان نهيمهم عن ذلك اوكد واوكد وهذا واضح لمن فقه في دين الله فتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله وعلم كمال سنة امام المتقين في تجريد التوحيد ونفي الشرك بكل طريق * الثاني ان قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الاجابة بالدعاء هناك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله احد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين ولا ذكره احد من العلماء والصالحين المتقدمين بل أكثر ما ينقل ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية واحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجذبوا مرات ودهتهم نوابغ غير ذلك فهلا جاؤا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسقى عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل قد روى عن عائشة رضى الله عنها انها كشفت عن قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لينزل المطر فانه رحمة تنزل على قبره ولم تستسقى عنده ولا استغاثت هناك ولهذا لما بنيت حجرته على عهد التابعين باني هو وأمي صلى الله عليه وسلم تركوا في أعلاها كوة الى السماء وهي الى الآن باقية فيها موضوع عليها شمع على أطرافه حجارة تمسكه وكان السقف بارزاً الى السماء وبني ذلك لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة وظهرت النار بارض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الابل ببصرى وجرت بعدها فتنة الترك بيغداد وغيرها ثم عمر المسجد والسقف

فهذه المفسدة التي هي مفسدة الشرك كبيرة وصغيرة هي التي حرم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها حتى
 نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وان لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاة بركة المساجد
 الثلاثة ونحو ذلك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها لانها الاوقات التي يقصد
 المشركون بركة الصلاة للشمس فيها فهي المسلم عن الصلاة حينئذ وان لم يقصد ذلك سدا للذريعة فاما
 اذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الانبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا
 عين الحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به فان المسلمين قد أجمعوا على ما علموه
 بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان الصلاة عند القبر أى قبر كان لافضل فيها لذلك ولا
 للصلاة في تلك البقعة مزية خيرا صلاب مزية شر * واعلم ان تلك البقعة وان كانت قد تنزل عندها الملائكة
 والرحمة لها فضل وشرف ولكن دين الله تعالى بين الغالى فيه والجافى عنه فان النصارى عظموا الانبياء حتى
 عبدوهم وعبدوا تماثيلهم واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم والامة الوسط عرفوا مقاديرهم فلم يغفلوا فيهم
 غلو النصارى ولم يجنوا عنهم جفاء اليهود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه لا تطرونى كما اطرت
 النصارى عيسى بن مريم وانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله فاذا قدر ان الصلاة هناك توجب من
 الرحمة أكثر من الصلاة في غير تلك البقعة كانت المفسدة الناشئة من الصلاة هناك تربو على هذه المصلحة
 حتى تغمرها أو تريد عليها بحيث تصير الصلاة هناك مذهبة لتلك الرحمة ومثبته لما يوجب العذاب ومن لم تكن
 له بصيرة يدرك بها الفساد الناشئ من الصلاة عندها فيكفيه ان يقلد الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لولا ان
 الصلاة عندها مما غلبت مفسدته على مصلحته لما نهى عنه كما نهى عن الصلاة في الاوقات الثلاثة وعن
 صوم يومى العيدين بل كما حرم الخمر فانه لو لا ان فسادها غالب على ما فيها من المنفعة لما حرمها وكذلك
 تحريم القطرة منها لولا غلبة الفساد فيها على الصلاح لما حرمها وليس على المؤمن ولا له ان يطالب الرسل
 بتبيين وجوه المصالح والمفاسد وانما عليه طاعتهم قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع. ذن الله
 من يطع الرسول فقد أطاع الله وانما حقوق الانبياء في تعزيرهم وتوقيرهم ومحبتهم محبة مقدمة على
 النفس والمال والاهل وابثار طاعتهم ومتابعة سنهم ونحو ذلك من الحقوق التي من قام بها لم يقم بعبادتهم
 والاشراك بهم كما أن عامة من يشرك بهم شركاً أكبر أو أصغر بترك ما يجب عليه من طاعتهم بقدر
 ما ابتدعه من الاشراك بهم وكذلك حقوق الصديقين المحبة والاجلال ونحو ذلك من الحقوق التي جاءها الكتاب
 والسنة وكان عليها سلف الامة وقد اختلف الفقهاء في الصلاة في المقبرة هل هي محرمة أو مكروهة
 واذا قيل محرمة فهل تصح مع التحريم أم لا المشهور عندنا أنها محرمة لا تصح ومن تأمل النصوص
 المتقدمة تبين له انها محرمة بلا شك وان صلاته لا تصح وليس الغرض هنا تقرير المسائل المشهورة فلها
 معروفة انما الغرض التنبيه على ما يخفى من غيرها فما يدخل في هذا قصد القبور للدعاء عند أولها فان
 الدعاء عند القبور وغيرها من الاماكن ينقسم الى نوعين * أحدهما ان يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق
 لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ويتفق ان يمر بالقبور أو من يزورها فيسلم عليها ويسئل

وسلم قال الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام رواه أحمد وابوداود والترمذى وابن ماجه والبخارى وغيرهم
 باسناد جيدة ومن تكلم فيه فما استوفى طريقه واعلم ان من الفقهاء من اعتقد ان سبب كراهة الصلاة
 في المقبرة لبس الالكوتها مظنة النجاسة المختلطة بالتراب من صديد الموتى وبني على هذا الاعتقاد الفرق
 بين المقبرة الجديدة والعتيقة وبين ان يكون بينه وبين التراب حائل او لا يكون ونجاسة الارض مانعة من
 الصلاة عليها سواء كانت مقبرة او لم تكن لكن المقصود الاكبر بالنهي عن الصلاة عند القبور ليس هو هذا
 فانه قد بين ان اليهود والنصارى كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وقال لعن الله
 اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وروى عنه انه قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
 اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قالت عائشة ولو لاذك لا برز قبره ولكن كره ان يتخذ
 مسجدا وقال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهي عن
 ذلك فهذا كله يبين لك ان السبب ليس هو مظنة النجاسة وانما هو مظنة اتخاذها أو ثنائيا كما قال الشافعي
 رضى الله عنه وأكره ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس
 وقد ذكر هذا المعنى أبو بكر الأثرم في ناسخ الحديث ومنسوخه وغيره من أصحاب أحمد وسائر العلماء فان
 قبر النبي صلى الله عليه وسلم او الرجل الصالح لم يكن ينشئ والقبر الواحد لالنجاسة عليه وقد نبه هو صلى
 الله عليه وسلم على العادة بقوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وبقوله ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور
 مساجد فلا تتخذوها مساجد وأولئك انما كانوا يتخذون قبور الانجاسة عندها ولانه قد روى مسلم في
 صحيحه عن أبي مرثد الغنوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها ولانه
 صلى الله عليه وسلم قال كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير
 أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فجمع بين التماثيل والقبور وايضا فان اللات كان سبب عبادتها
 تعظيم قبر رجل صالح كان هناك وقد ذكروا ان ودا وسواعا ويعوق ونسرا أسماء قوم صالحين
 كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فروى محمد بن جرير باسناده الى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس
 ويعوق ونسرا قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا
 قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم وهم فلما
 ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم قال قتادة
 وغيره كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ثم اتخذها العرب بعد ذلك وهذه العلة التي لاجلها نهى الشارع
 هي أوقعت كثيرا من الامم اما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك فان النفوس قد اشركت بما نيل
 القوم الصالحين وبما نيل يزعمون انها طلائع الكواكب ونحو ذلك فان يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد
 نبوته أو صلاحه أعظم من ان يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله ولهذا تجد أقواما كثيرين يتضرعون
 عندها ويتخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها في المسجد بل ولا في السحر ومنهم من يسجد
 لها واكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد التي تشد اليها الرحال

ابن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد رواه الامام احمد وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثار القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه الامام احمد وابوداود والترمذى والنسائى وفى الباب احاديث كثيرة وآثار ليس هذا موضع استقصائها فهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين ازالتها بهدم او بغيره هذا مما لا علم فيه خلافا بين العلماء المعروفين وتكره الصلاة فيها من غير خلاف اعلامه ولا تصح عندنا فى ظاهر المذهب لاجل النهى واللعن الوارد فى ذلك ولا حديث آخر وليس فى هذه المسألة خلاف لكون المدفون فيها واحدا وانما اختلف اصحابنا فى المقبرة المجردة عن مسجد هل حدها ثلاثة اقبور او ينهى عن الصلاة عند القبر القذ وان لم يكن عنده قبر آخر على وجهين ثم تغلظ النهى ان كانت البقعة مغسوبة مثل ما بنى على بعض العلماء او الصالحين او غيرهم ممن كان مدفونا فى مقبرة مسبة فبنى على قبره مسجدا او مدرسة او رباطا او مشهدا وجعل فيها مطهرة او لم يجعل فان هذا مشتمل على انواع من المحرمات * احدها ان المقبرة المسبلة لا يجوز الانتفاع بها فى غير الدفن من غير تعويض بالاتفق فبنا المسجد او المدرسة او الرباط فيها كدفن الميت فى المسجد او كبناء الخانات ونحوها فى المقبرة او كبناء المسجد فى الطريق الذى يحتاج الناس الى المشى فيه * الثانى اشتغال غالب ذلك على نبش قبور المسلمين واخراج عظام موتاهم كما قد علم ذلك فى كثير من هذه المواضع * الثالث انه قد روى مسلم فى صحيحه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يبنى على القبور * الرابع ان بناء المطاهر التى هى محل النجاسات بين مقابر المسلمين من اقباح ما تجاور به القبور لاسيما ان كان محل المطهرة قبر رجل مسلم * الخامس اتخاذ القبور مساجد وقد تقدم بعض النصوص المحرمة لذلك * السادس الاسراج على القبور وقد لعن صلى الله عليه وسلم من يفعل ذلك * السابع مشابهة أهل الكتابين فى كثير من الاقوال والافعال والسنن بهذا السبب كما هو الواقع الى غير ذلك من الوجوه وقد كانت البنية التى على قبر ابراهيم عليه السلام مسدودة لا يدخل اليها الى حدود المائة الرابعة فقل ان بعض النسوة المتصلات بالخلفاء رأت فى ذلك مناما فنقبت لذلك وقيل ان النصارى لما استولوا على هذه النواحي نقبوا ذلك ثم ترك ذلك مسجدا بعد الفتوح المتأخرة وكان أهل الفضل من شيوخنا لا يصلون فى مجموع تلك البنية وينهون اصحابهم عن الصلاة فيها اتباعا لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتقاء لمعصيته كما تقدم وكذلك ايقاد المصابيح فى هذه المشاهد مطلقا لا يجوز بلا خلاف اعلامه للنهى الوارد ولا يجوز الوفاء بما ينذر لها من دهن وغيره بل موجه موجب نذر المعصية ومن ذلك الصلاة عندها وان لم يكن هناك مسجد فان ذلك ايضا اتخاذها مسجدا كما قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن خشى ان يتخذ مسجدا ولم تقصد عائشة رضى الله عنها مجرد بناء مسجد فان الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجدا وانما قصدت انهم خشوا ان الناس يصلون عند قبره وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه فانه يسمى مسجدا وان لم يكن هناك بناء كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدا وظهورا وقد روى ابو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه

وهو مشتمل على ما سياتى من معاني النهى ولان في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وهذا النهى يعم السفر الى المساجد والمشاهد وكل مكان يقصد السفر الى عينه للتقرب بدليل ان بصرة بن ابى بصرة الغنارى لما رأى ابا هريرة راجعا من الطور الذى كلم الله عليه موسى قال لورابتك قبل ان تأتية لم تأتة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فقد فهم الصحابي الذى روى الحديث ان الطور وأمثاله من مقامات الانبياء مندرجة في العموم وانه لا يجوز السفر اليها كالايجوز السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة وأيضا فاذا كان السفر الى بيت من بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز مع ان قصده لاهل مصره يجب تارة ويستحب اخرى وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يمحصى فالسفر الى بيوت عباده اولى ان لا يجوز والوجه الثانى انه يجوز السفر اليها قاله طائفة من المتأخرين منهم ابو حامد الغزالي وابو الحسن بن عبدوس الحراني والشيخ ابو محمد المقدسى وما علمته منقولا عن احد من المتقدمين بناء على ان هذا الحديث لم يتناول النهى عن ذلك كما يتناول النهى عن السفر الى الامكنة التي فيها الودان والعلماء والمشايخ والاخوان أو بعض المقاصد من الامور الدنيوية المباحة فاما ما سوى ذلك من المحدثات فامور منها الصلاة عند القبور مطلقا واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها فقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهى عن ذلك والتغليظ فيه فامبناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهى عنه متابعة للاحاديث وصرح اصحابنا وغيرهم من اصحاب مالكا والشافعي وغيرهما بتحريمه ومن العلماء من أطلق فيه لفظ الكراهة فما ادرى عني به التنزيه او التحريم ولا ريب في القطع بتحريمه لما روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول انى ابرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورا نبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهما كم عن ذلك وعن عائشة رضى الله عنها وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خيصة له على وجهه فاذا اغتم بها كنفها فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا اخرجه البخارى ومسلم واخرجه جميعا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا نبيائهم مساجد وفى رواية لمسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فقد نهى عن اتخاذ القبور مساجد فى آخر حياته ثم انه لعن وهو فى السياق من فعل ذلك من اهل الكتاب ليحذر امته ان يفعلوا ذلك قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ولولا ذلك ابرز قبره غير انه خشى ان يتخذ مسجدا رواه البخارى ومسلم وروى الامام احمد فى مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والدين يتخذون القبور مساجد رواه ابو حاتم فى صحيحه وعن زيد

بعد أحد بنان سنين خرج الى الشهداء فصلى عليهم كصلاته على الميت وروى أبو داود عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل وقد روى حديث صححه ابن عبد البر انه قال ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وروى في تلقين الميت بعد الدفن حديث فيه نظر لكن عمل به رجال من أهل الشام الاولين مع روايتهم له فلذلك استحبه أكثر أصحابنا وغيرهم فهذا ونحوه كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ويأمر به أمته عند قبور المسلمين عقب الدفن وعند زيارتهم أو المرور بهم انما هو تحية للميت كما يحيا الحي ويدعى له كما يدعى له اذا صلى عليه قبل الدفن أو بعده وفي ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه ولسائر المسلمين كما ان الصلاة على الجنائز فيها الدعاء للمصلى ولسائر المسلمين وتخصيص الميت بالدعاء له فهذا كله وما كان مثله من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السابقون الاولون هو المشروع للمسلمين في ذلك وهو الذي كانوا يفعلونه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره وروى ابن بطيعة في الابانة باسناد صحيح عن معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال سألت رجلاً نافعاً فقال هل كان ابن عمر يسلم على القبر فقال نعم لقد رأيته مائة أو أكثر من مائة مرة كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على عمر أبي وفي رواية أخرى ذكرها الامام احمد محتجاً بها ثم ينصرف وهذا الاثر رواه مالك في الموطأ وزيارة القبور جائزة في الجملة حتى قبور الكفار فان في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنت ربي أن أستغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي وفيه ايضاً عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وفي صحيح مسلم عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وفي رواية لاحد والنسائي فمن أراد أن يزور فليرز ولا تقولوا هجراً وروى احمد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة فقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارتها بعد النهي وعلى ذلك بلها تذكر الموت والدار الآخرة وأذن لنا اذا عاما في زيارة قبر المسلم والكافر والسبب الذي ورد عليه هذا اللفظ يوجب دخول المكافر والعاله وهي تذكر الموت والآخرة موجودة في ذلك كله وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتي قبور أهل البقيع والشهداء للدعاء لهم والاستغفار فهذا المعنى يختص بالمسلمين دون الكافرين فهذه الزيارة وهي زيارة القبور لتذكر الآخرة أو لتعجيتهم والدعاء لهم هو الذي جاءت به السنة كما تقدم وقد اختلف أصحابنا وغيرهم هل يجوز السفر لزيارتها على قولين أحدهما لا يجوز والمسافرة لزيارتها معصية لا يجوز قصر الصلاة فيها وهذا قول ابن بطيعة وابن عقيل وغيرهما لان هذا السفر بدعة لم يكن في عصر السلف

مسند ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا بلغته رواه الدارقطني بمعناه وفي النسائي وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يباغونني عن أمتي السلام الى أحاديث أخر في هذا الباب متعددة ثم ان أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل ان يتحرى الدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم واستدلال بالحديث وهو راوى الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي وهو أعلم بمعناه من غيره فبين ان قصده للدعاء ونحوه اتخاذ له عيدا وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته كره ان يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد ورأى ان ذلك من اتخاذ عيدا فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط والعيد اذا جعل اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وآتيانه للعبادة عنده أو لغير العبادة كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيدا مثابة للناس يجتمعون فيها وينتابونها للدعاء والذكر والنسك وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها فلما جاء الاسلام محيا الله ذلك كله وهذا النوع من الامكنة يدخل فيه قبور الانبياء والصالحين والقبور التي يجوز أن تكون قبورا لهم بتقدير كونها قبورا لهم بل وسائر القبور أيضا داخلة في هذا فان قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة اذ هو بيت المسلم الميت فلا يترك عليه شئ من النجاسات بالاتفاق ولا يوطأ ولا يداس ولا يتكأ عليه عندنا وعند جمهور العلماء ولا يجاور بما يؤذى الاموات من الاقوال والافعال الخبيثة ويستحب عند آتيانه السلام على صاحبه والدعاء له وكلما كان الميت أفضل كان حقه أوكد قال بريدة بن الحصيب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم السلام على أهل الديار وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية رواه مسلم وروى أيضا عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وروى أيضا عن عائشة في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جبريل أتاني فقال ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول يا رسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وروى ابن ماجه عن عائشة قالت فتدته فاذا هو بالبقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط ونحن بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سافنا ونحن بالأثر رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب وقد ثبت عنه انه

من ولد ذى الجناحين حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين انه رأى رجلا يحيى الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فيها فقال ألا أحدنكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبوري عيدا ولا بيوتكم قبورا فإن تسليمكم بياغني إنما كنتم رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ فيما اختارده من الأحاديث الجياد الزائدة عن الصحيحين وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم في صحيحه وروى سعيد في سننه حدثنا حبان بن علي حدثني محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيوتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تباغني وقال سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريد فقام الى رأيتك عند القبر فقامت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيوتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تباغني حيث ما كنتم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ما أتم ومن بالاندلس الاسواء فهذان المرسلان من هذين الوجهين المتخالفين يدلان على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من أرسله وذلك يقتضى ثبوته عنده لو لم يكن روى من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندا ووجه الدلالة ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذ عيدا فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان ثم قرن ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ولا تتخذوا بيوتكم قبورا اي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فامر بتحرى العبادة في البيوت ونهى عن تحريرها عند القبور عكس ما يفعلها المشركون من النصارى ومن تشبه بهم وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم اعقب النهى عن اتخاذها عيدا بقوله وصلوا على فان صلاتكم تباغني حيث ما كنتم وفي الحديث الآخر فان تسليمكم بياغني إنما كنتم يشير بذلك صلى الله عليه وسلم الى ان ما ينال منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبوري وبعدهم منه فلا حاجة بكم الى اتخاذ عيدا والأحاديث عنه بأن صلاتنا وسلامنا يعرض عليه كثيرة مثل ما روى أبو داود في سننه من حديث أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم على الاراد الله على روجي حتى أرد عليه السلام صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث على شرط مسلم ومثل ما روى أبو داود أيضا عن أوس بن أوس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء وفي

الله حاجته ففضيت حاجته ونحو ذلك ويمثل هذه الامور كانت تعبد الاصنام فان الذوم كانوا احيانا يخاطبون من الاوثان وربما تقضى حوائجهم اذا قصدوها ولذلك يجري لاهل الانداد من اهل الهند وغيرهم وربما قيست على ماشرع الله تعظيمه من بيته المحجوج والحجر الاسود الذي شرع الله استلامه وتقبيله كأنه يمينه والمساجد التي هي بيوتهم وانما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس ويمثل هذه الشبهات حدث الشرك في اهل الارض وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النذر ^{وقال} انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل فاذا كان نذر الطاعات المعلقة بشرط لا فائدة فيه ولا يأتي بخير فما المظن بالنذر لما لا يضر ولا ينفع واما اجابة الدعاء فقد يكون سببه اضطرار الداعي وصدقه وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له وقد يكون أمرا قضاء الله لا لاجل دعائه وقد يكون له أسباب أخرى وان كانت فتنة في حق الداعي فانا نعلم ان الكفار قد يستجاب لهم فيسقون وينصرون ويعافون ويرزقون مع دعائهم عند أوثانهم وتوسلهم بها وقد قال الله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وقال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وأسباب المقدورات فيها أمر يطول تمداها ليس هذا موضع تفصيلها وانما على الخلق اتباع ما بعث الله به المرسلين والعلم بان فيه خير الدنيا والآخرة ولعلنا ان شاء الله ابين بعض أسباب هذه التأثيرات في موضع آخر

فصل

النوع الثاني من الامكنة ماله خصيصة لكن لا يقتضى اتخاذها عيدا ولا الصلاة ونحوها من العبادات عنده فن هذه الامكنة قبور الانبياء والصالحين وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف النهى عن اتخاذها عيدا عموما وخصوصا وبينوا معنى العيد فاما العموم فقال أبو داود في سننه حدثنا أحمد بن صالح قال قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم وهذا اسناده حسن فان رواه كلهم ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدنى صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه قال يحيى بن معين هو ثقة وحسبك بابن معين موثقا وقال أبو زرعة لا بأس به وقال أبو حاتم الرازى ليس بالحافظ هو لين يعرف حفظه وينكر فان هذه العبارات منهم تنزل حديثه من مرتبة الصحيح الى مرتبة الحسن اذ لا خلاف في عدالته وفقهه وان الغلب عليه الضبط لكن قد يغلط احيانا ثم ان هذا الحديث مما يعرف من حفظه ليس مما ينكر لانه سنة مدنية وهو محتاج اليها في فقهه ومثل هذا يضبطه الفقيه وللحديث شواهد من غير طريقه فان هذا الحديث يروى من جهات أخرى فما بقي منكرا وكل جملة من هذا الحديث زويت عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد معروف وانما الغرض هنا النهى عن اتخاذ عيدا فمن ذلك ما رواه أبو يعلى الموصلى في مسنده حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من

أو الرجل الصالح أو بعض أعضائه مضاهاة لاهل الكتاب كما كان في بعض مساجد دمشق مسجد يسمى مسجد الكف فيه تمثال كف يقال انه كف على بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى هدم الله ذلك الوثن وهذه الامكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد وفي الحجاز منها مواضع كغار عن بيمين الطريق وأنت ذاهب من بدر الى مكة يقال انه الغار الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر وانه الغار الذي ذكره الله في قوله ثانی اثنين اذ هما في الغار ولا خلاف بين اهل العلم أن هذا الغار المذكور في القرآن انما هو غار بجبل ثور قريب من مكة معروف عند أهل مكة الى اليوم فهذه البقاع التي يعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت فان تعظيم مكان لم يعظمه الشرع شر من تعظيم زمان لم يعظمه فان تعظيم الاجسام بالعبادة عندها أقرب الى عبادة الاوثان من تعظيم الزمان حتى ان الذي ينبغي تجنب الصلاة فيها وان كان المصلي لا يقصد تعظيمها لثلا يكون ذلك ذريعة الى تخصصها بالصلاة فيها كما ينهى عن الصلاة عند القبور المحققة وان لم يكن المصلي يقصد الصلاة لاجلها وكما ينهى عن افراد الجمعة وسرر شعبان بالصوم وان كان الصائم لا يقصد التخصيص بذلك الصوم فان ما كان مقصودا بالتخصيص مع النهي عن ذلك ينهى عن تخصيصه أيضا بالفعل وما أشبه هذه الامكنة بمسجد الضرار الذي أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم فان ذلك المسجد لما بنى ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيه وأمر بهدمه وهذه المشاهد الباطلة انما وضعت مضاهاة لبيوت الله وتعظيمها لما لم يعظمه الله وعكوبا على اشياء لاتنفع ولا تضر وصدا للخلق عن سبيل الله وهي عبادة وحده لا شريك له بما شرعه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم واتخاذها عيدا والاجتماع عندها واعتياد قصدتها فان العيد من المعاودة ولتتحقق بهذا الضرب ولكنه ليس منه مواضع تدعى لها خصائص لا تثبت مثل كثير من القبور التي يقال انها قبر نبي أو قبر صالح أو مقام نبي أو صالح ونحو ذلك وقد يكون ذلك صدقا وقد يكون كذبا وأكثر المشاهد التي على وجه الارض من هذا الضرب فان القبور الصحيحة والمقامات الصحيحة قليلة جدا وكان غير واحد من أهل العلم يقول لا يثبت من قبور الانبياء الا قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره قد يثبت غير هذا أيضا مثل قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وقد يكون عام ان القبر في تلك الناحية لكن يقع الشك في عينه ككثير من قبور الصحابة التي بباب الصغير من دمشق فان الارض غيرت مرات فتعين قبر انه قبر بلال أو غيره لا يكاد يثبت الا من طريق خاصة وان كان لو ثبت لم يتعلق به حكم شرعي مما قد أحدث عندها ولكن الغرض ان نبين هذا القسم الاول وهو تعظيم الامكنة التي لا خصيصة لها اما مع العلم بانه لا خصيصة لها أو مع عدم العلم بان لها خصيصة اذ العبادة والعمل بغير علم منهى عنه كما ان العبادة والعمل بما يخالف العلم منهى عنه ولو كان ضبط هذه الامور من الدين لما أهمل ولما ضاع عن الامة المحفوظ دينها المعصومة عن الخطأ وأكثر ماتجد الحكايات المتعلقة بهذا عند السادة والمجاورين لها الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وقد يحكي من الحكايات التي فيها تأثير مثل ان رجلا دعا عندها فاستجيب له أو نذر لها ان قضى

هود عليه السلام وماعلمت احدا من اهل العلم ذكر ان هودا النبي مات بدمشق بل قد قيل انه مات باليمن
وقيل بمكة فان مبعثه كان باليمن ومهاجره بعد هلاك قومه كان الى مكة فاما الشام فلا داره ولا مهاجره فموت به
والحال هذه مع ان اهل العلم لم يذكره بل ذكروا خلافه في غاية البعد وكذلك مشهد خارج الباب الغربي
من دمشق يقال انه قبر اويس القرني وماعلمت ان احدا ذكر ان اويسا مات بدمشق ولا هو متوجه
ايضا فان اويسا قدم من اليمن الى ارض العراق وقد قيل انه قتل بصفين وقيل انه مات بنواحي ارض
فارس وقيل غير ذلك وأما الشام فما ذكر انه قدم اليها فضلا عن المات بها ومن ذلك أيضا قبر يقال له
قبر أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلاف انها رضى الله عنها ماتت بالمدينة لا بالشام ولم تقدم
الشام أيضا فان أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن تسافر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
لعلها ام سلمة بنت يزيد بن السكن الانصارية فان أهل الشام كشهر بن حوشب ونحوه كانوا اذا
حدثوا عنها قالوا أم سلمة وهي بنت عم معاذ بن جبل وهي من أعيان الصحابييات ومن ذوات الفقه
والدين منهم أو لعلها أم سلمة امرأة يزيد بن معاوية وهو بعيد فان هذه ليست مشهورة بعلم ولا دين
وما أكثر الغلط في هذه الاشياء وأمثالها ومن جهة الاسماء المشتركة أو المغيرة ومن ذلك مشهد بقاهرة
مصر يقال ان فيه رأس الحسين بن علي رضى الله عنهما اصله انه كان بعسقلان مشهد يقال ان فيه رأس
الحسين فحمل فيما قيل لرأس من هناك الى مصر وهو باطل باتفاق أهل العلم لم يقل أحد من أهل العلم
ان رأس الحسين كان بعسقلان بل فيه أقوال ليس هذا منها فانه حمل رأسه الى قدام عبيد الله بن زياد
بالكوفة حتى روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يغيظه وبعض الناس يذكر ان الرواية كانت أمام
يزيد بن معاوية بالشام ولا يثبت ذلك فان الصحابة المسلمين في الحديث انما كانوا بالعراق وكذلك مقابر
كثيرة لاسماء رجال معروفين قد علم انها ليست بمقابرهم فهذه المواضع ليس فيها فضيلة أصلا وان
اعتقد الجاهلون ان لها فضيلة اللهم الا ان يكون قبرا لرجل مسلم فيكون كسائر قبور المسلمين ليس لها
من الخصوصية ما يحسبه الجاهل وان كانت القبور الصحيحة لا يجوز انخاذها أعيادا ولا أن يفعل فيها ما
يفعل عند هذه القبور المكذوبة أو تكون قبرا لرجل صالح غير المسمى فيكون من القسم الثاني ومن
هذا الباب أيضا مواضع يقال ان فيها أثر النبي صلى الله عليه وسلم أو غيرها وبضاهي بها مقام ابراهيم
الذي بمكة كما يقول الجاهل في الصخرة التي ببيت المقدس من أن فيها أثرا من وطء النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغني أن بعض الجاهل يزعم انها من وطء الرب سبحانه وتعالى فيزعمون ان ذلك الاثر موضع القدم
وفي مسجد قبلي دمشق يسمى مسجد القدم به أيضا أثر يقال ان ذاك أثر قدم موسى عليه السلام وهذا باطل
لا أصل له ولم يقدم موسى دمشق ولا من حولها وكذلك مشاهد تضاف الى بعض الانبياء أو الصالحين
بناء على انه رؤى في المنام هناك ورؤية النبي أو الرجل الصالح في المنام ببقعة لا يوجب لها فضيلة تقصد البقعة
لاجلها وتتخذ مصلى باجماع المسلمين وانما يفعل هذا وأمثاله أهل الكتاب وربما صور وافيها صورة النبي

بين مكة والمدينة من ناحية الساحل ومن اراد ان يعلم كيف كانت احوال المشركين في عبادة اوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وانواعه حتى يتبين له تاويل القرآن ويعرف ما كرهه الله ورسوله فينظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واحوال العرب في زمانه وما ذكره الازرق في أخبار مكة وغيرهم من العلماء ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمون بها ذات انواط فقال بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال الله اكبر قلتم كما قال قوم موسى اجعل لنا الهة كما لهم آلهة انها السنن لتركن سنن من كان قبلكم فانكر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو اطم من ذلك من مشابهتهم المشركين او هو الشرك بيمينه فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه اشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة او غيرها او قناة جارية او جبلا او مغارة وسواء قصدها ليصلي عندها او ليدعو عندها او ليقرا عندها او ليدكر الله سبحانه عندها او لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لاعتنا ولا نوعا واقبح من ذلك ان ينذر لتلك البقعة دهنًا لتتوربه ويقال انها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين فان هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به بل عليه كفارة عند كثير من اهل العلم منهم احمد في المشهور عنه وعنه رواية هي قول ابى حنيفة والشافعي وغيرهما انه يستغفر الله من هذا النذر ولا شيء عليه والمسئلة معروفة وكذلك اذا نذر طعاما من الخبز او غيره للحيثان التي في تلك العين او البئر وكذلك اذا نذر مالا من النقد او غيره للسنة او المجاورين العاكفين بتلك البقعة فان هؤلاء السنة فيهم شبهة من السنة التي كانت لللات والعزى ومناة ياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هناك فيهم شبهة من العاكفين الذين قال لهم الخليل ابراهيم امام الخلفاء صلى الله عليه وآله وسلم ماهذه التماثيل التي اتم لها عاكفون وقال افرأيتم ما كنتم تعبدون اتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدوا لي الارب العالمين والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه كما قال تعالى وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم فالنذر لاوئك السنة والمجاورين في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة للمجاورين بها نذر معصية وفيه شبهة من النذر لسنة الصلبنان والمجاورين عندها او لسنة الانداد التي بالهند والمجاورين عندها ثم هذا المال المنذور اذا صرفه في جنس تلك العبادة من المشروع مثل ان يصرفه في عمارة المساجد والصالحين من فقراء المساكين الذين يستعملون بالمال على عبادة الله وحده لا شريك له كان حسنا فمن هذه الامكنة ما يظن انه قبر نبي او رجل صالح وليس كذلك أو يظن انه مقام له وليس كذلك فاما ما كان قبرا له او مقاما فهذه من النوع الثاني وهذا باب واسع اذكر بعض اعيانه فمن ذلك عدة امكنة بدمشق مثل مشهد لابي بن كعب خارج الباب الشرقي ولا خلاف بين اهل العلم ان ابي بن كعب اتما توفي بالمدينة ولم يمت بدمشق والله اعلم قبر من هو ولكنه ليس بقبر ابي بن كعب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك وكذلك مكان بالحائط القبلي بجامع دمشق يقال ان فيه قبر

البوقات والطبول فان هذا مكره في العيد وغيره لا اختصاص للعيد به وكذلك لبس الحرير أو غير ذلك من المنهى عنه في الشرع وترك السنن من جنس فعل البدع فينبغي إقامة المواسم على ما كان السابقون الاولون يقيمونها من الصلاة والخطبة المشروعة والتكبير والصدقة في الفطر والذبح في الاضحى فان من الناس من يتصرف في التكبير المشروع ومن الائمة من يترك ان يخطب للرجال ثم النساء كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الرجال ثم النساء ومنهم من لا يذكر في خطبته ما ينبغي ذكره بل يعدل الى ما قبل فائدته ومنهم من لا يخر بعد الصلاة بالمصلى وهو ترك السنة الى امور اخر من السنة فان الدين هو فعل المعروف والامر به وترك المنكر والنهي عنه

فصل

واما الاعياد المكانية فتقسم ايضا كالزمانية الى ثلاثة اقسام احدها مالا خصوص له في الشريعة والثاني ماله خصيص لا يقتضى قصده للعبادة فيه والثالث ما يشرع للعبادة فيه لكن لا يتخذ عيداً والاقسام الثلاثة جاءت الآثار بها مثل قوله صلى الله عليه وسلم للذي نذر ان يخر ببوانة أبها وثن من اوثان المشركين او عيد من اعيادهم قال لا قال فاوف بنذرك ومثل قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبرى عيداً ومثل نهى عمر عن اتخاذ آثار الانبياء اعياداً كما سنده ان شاء الله فهذه الأقسام الثلاثة احدها مكان لا فضل له في الشريعة اصلاً ولا فيه ما يوجب تفضيله بل هو كسائر الامكنة اودونها فقصده ذلك المكان او قصد الاجتماع فيه لصلاة اودعاء او ذكر او غير ذلك ضلال بين ثم ان كان به بعض آثار الكفار من اليهود والنصارى او غيرهم كان اقبح واقبح ودخل في هذا الباب وفي الباب قبله في مشابهة الكفار وهذه انواع لا يمكن ضبطها بخلاف الزمان فانه محصور وهذا الضرب اقبح من الذى قبله فان هذا يشبه عبادة الاوثان او هو ذريعة اليها او نوع من عبادة الاوثان اذ عباد الاوثان كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك او غير تمثال يعتقدون ان ذلك يقر بهم الى الله تعالى وكانت الطواغيت الكبار التى تشد اليها الرجال ثلاثة اللات والعزى ومنات الثلاثة الاخرى كما ذكر الله ذلك في كتابه حيث يقول (أفرايم اللات والعزى ومنات الثلاثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) بل كل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب والامصار التى كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة مكة والمدينة والطائف فكانت اللات لاهل الطائف ذكروا انه كان في الاصل رجلاً صالحاً يات السوق للحاج فلما مات تكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله ثم بنوا عليه بنية سموها بيت الربة وقصتها معروفة لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم لهدمها لما افتتحت الطائف بعد فتح مكة سنة تسع من الهجرة واما العزى فكانت لاهل مكة قريباً من عرفات وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها خالد بن الوليد عقب فتح مكة فازالها وقسم النبي صلى الله عليه وسلم ما لها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها فيئست العزى أن تعبد وامانات فكانت لاهل المدينة يهلون لها شركاً بالله تعالى وكانت حذوق قديد الجبل الذى

بجبل الرحمة بمرفات كما يطاف بالكعبة فاما الاجتماع في هذا الموسم لانشاد الغناء والضرب بالدف بالمسجد الاقصى ونحوه فمن أقبح المنكرات من جهات اخرى منها فعل ذلك في المسجد الاقصى ونحوه فان ذلك مما ينهى عنه خارج المساجد فكيف بالمسجد الاقصى ومنها اتخاذ الباطل ديناً ومنها فعله في الموسم فاما قصد الرجل المسلم مسجد بلده يوم عرفة للدعاء والذكر فهذا هو التعريف في الامصار الذي اختلف العلماء فيه ففعله ابن عباس وعمر بن حريث من الصحابة وطائفة من البصريين والمدنيين ورخص فيه أحمد وان كان مع ذلك لا يستحبه هذا هو المشهور عنه وكرهه طائفة من الكوفيين والمدنيين كابراهيم النخعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم ومن كرهه قال هو من البدع فيندرج في العموم لفظاً ومعنى ومن رخص فيه قال فعله ابن عباس بالبصرة حين كان خليفة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه عليها ولم ينكر عليه وما يفعل في عهد الخلفاء الراشدين من غير انكار لا يكون بدعة لكن مايزاد على ذلك من رفع الاصوات الرفع الشديد في المساجد بالدعاء وأنواع من الخطب والاشعار الباطلة ففكره في هذا اليوم وغيره قال المروزي سمعت أبا عبد الله يقول ينبغي ان يسرد عاء لقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً قال هذا في الدعاء قال وسمعت أبا عبد الله يقول وكانوا يكرهون ان يرفعوا أصواتهم بالدعاء وروى الخليل بن اسناد صحيح عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال أحدث الناس الصوت عند الدعاء وعن سعيد بن أبي عروبة ان مجالد بن سعيد سمع قوماً يعجبون في دعائهم فثنى اليهم فقال أيها القوم ان كنتم أصبتم فضلاً على من كان قبلكم لئلا ضلتم قال فجعلوا يتسللون رجلاً رجلاً حتى تركوا بغيتهم التي كانوا فيها وروى ايضا اسناده عن ابن شاذب عن أبي التياح قال قلت للحسن اما منا يقص فيجتمع الرجال والنساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء فقال الحسن ان رفع الصوت بالدعاء لبدعة وان مد الايدي بالدعاء لبدعة وان اجتماع الرجال والنساء لبدعة فرفع الايدي فيه خلاف وأحاديث ليس هذا موضعها والفرق بين هذا التعريف المختلف فيه وتلك التعريفات التي لم يختلف فيها ان في تلك قصد بقعة بعينها للتعريف فيها ككبر الصالح أو المسجد الاقصى وهذا تشبيه بعرفات بخلاف مسجد المصرفة انه قصد له بنوعه لا بعينه ونوع المساجد مما شرع قصدها فان الآتي الى المسجد ليس قصده مكاناً معيناً لا يتبدل اسمه وحكمه وانما الغرض يت من بيوت الله بحيث لو حول ذلك المسجد لتحول حكمه ولهذا لا تتعلق القلوب الا بنوع المسجد لا بخصوصه وأيضاً فان شد الرحال الى مكان للتعريف فيه مثل الحج بخلاف المصرفة ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا هذا مما لا أعلم فيه خلافاً فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السفر الى غير المساجد الثلاثة ومعلوم أن آتيان الرجل مسجد مصرفة اما واجب كالجمعة واما مستحب كالاعتكاف فيه وأيضاً فان التعريف عند القبر اتخاذ له عيداً وهذا بنفسه محرم سواء كان فيه شدا للرحل او لم يكن وسواء كان في يوم عرفة أو في غيره وهو من الاعياد المكانية مع الزمانية واما ما أحدث في الاعياد من ضرب

في ذلك وقد يعتمدون على العمومات التي تدرج فيها هذه الصلاة على ما جاء في فضل هذه الليلة بخصوصها وما جاء من الأثر بأحيائها وعلى الاعتياد حيث فيها من المنافع والفوائد ما يقتضي الاستحباب لحنسها من العبادات فالما الحديث المرفوع في هذه الصلاة الالفية فكذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث وأما العمومات الدالة على استحباب الصلاة فحق لكن العمل المعين اما أن يستحب بخصوصه أو يستحب لما فيه من المعنى العام فالما المعنى العام فلا يجب جعله خصوصاً مستحباً ومن استحبها ذكرها في النفل المقيد كصلاة الضحى والتراويح وهذا خطأ ولهذا لم يذكر هذا أحد من الأئمة المعدودين لا الأولين ولا الآخرين وإنما كره التخصيص لما صار يخص ما لا خصوص له بالاعتقاد والاقتصاد كما كره النبي صلى الله عليه وسلم أفراد يوم الجمعة وسرد شعبان بالصيام وأفراد ليلة الجمعة بالقيام فصار نظير هذا لو أحدث صلاة مقيدة ليالي العشر أو بين العشاءين ونحو ذلك فالعبادات ثلاثة منها ماهو مستحب بخصوصه كالنفل المقيد من ركعتي الفجر وقيام رمضان ونحو ذلك وهذا منه المؤقت كقيام الليل ومنه المقيد بسبب كصلاة الاستسقاء وصلاة الآيات ثم قد يكون مقدراً في الشريعة بعدد كالوتر وقد يكون مطلقاً مع فضل الوقت كالصلاة يوم الجمعة قبل الصلاة فصارت اقسام المقيد أربعة ومن العبادات ماهو مستحب بعموم معناه كالنفل المطلق فان الشمس اذا طلعت فالصلاة مشهودة محصورة حتي تصلي العصر ومنها ما هو مكروه تخصيصه الامع غيره كقيام ليلة الجمعة وقد يكره مطلقاً الا في احوال مخصوصة كالصلاة في اوقات النهي ولهذا اختلف العلماء في كراهة الصلاة بعد الفجر والعصر هل هو لثلاثي يفضي الى تحريم الصلاة في هذا الوقت فيرخص في ذوات الاسباب العارضة أو هو نهى مطلق لا يستثنى منه الا قدر الحاجة على قولين هما روايتان عن أحمد وفيها أقوال أخر للعلماء والله أعلم

فصل

وقد يحدث في اليوم الفاضل مع العيد العمل المحدث العيد المكناني فيغايظ قبح هذا ويصير خروجاً عن الشريعة فن ذلك ما يفعل يوم عرفة مما لا علم بين المسلمين خلافاً في النهي عنه وهو قصد قبر بعض من يحسن به الظن يوم عرفة والاجتماع العظيم عند قبره كما يفعل في بعض أرض المشرق والمغرب والتعريف هناك كما يفعل بعرفات فان هذا نوع من الحج المبتدع الذي لم يشرعه الله ومضاهاة للحج الذي شرعه الله واتخاذ القبور أعياداً وكذلك السفر الى بيت المقدس للتعريف فيه فان هذا أيضاً ضلال بين فان زيارة بيت المقدس مستحبة مشروعة للصلاة فيه والاعتكاف وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال لكن قصد اتيانه في أيام الحج هو المكروه فان ذلك تخصيص وقت معين بزيارة بيت المقدس ولا خصوص لزيارته في هذا الوقت على غيره ثم فيه أيضاً مضاهاة للحج الى المسجد الحرام وتشبيه له بالكعبة ولهذا قد افضى الى ما لا يشك مسلم في انه شريعة أخرى غير شريعة الاسلام وهو ما قد يفعله بعض الضلال من الطواف بالصخرة أو من حلق الرأس هناك أو من قصد الذسك هناك وكذلك ما يفعله بعض الضلال من الطواف بالقبة التي

النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فيصلي في بيته حتى يتخذ مسجداً وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع سير النبي صلى الله عليه وسلم وفعله حتى رؤى يصب في موضع ماء فسئل عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب ههنا ماء قال أما على هذا فلا بأس قال ورخص فيه ثم قال ولكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده وهذا الذي كرهه أحمد وغيره من اعتياد ذلك ماثور عن ابن مسعود وغيره لما اتخذ أصحابه مكاناً يجتمعون فيه للذكر فخرج اليهم فقال يا قوم لأنتم أهدى من أصحاب محمد أو لأنتم على شعبة ضلالة وأصل هذا ان العبادات المشروعة التي تتكرر بتكرار الاوقات حتى تصير سنناً ومواسم قد شرع الله منها ما فيه كفاية العباد فإذا أحدث اجتماع زائد على هذه الاجتماعات معتاد كان ذلك مضاهة لما شرعه الله وسنه وفيه من الفساد ما تقدم التنبيه على بعضه بخلاف ما يفعله الرجل وحده أو الجماعة المخصوصة أحياناً ولهذا كره الصحابة افراد صوم رجب لما يشبهه رمضان وأمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي توهيها الشجرة التي يبيع الصحابة تحتها بيعة الرضوان لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها كأنها المسجد الحرام أو مسجد المدينة وكذلك لما رآهم قد عكفوا على مكان قد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عكفوا عما نهاهم عن ذلك وقال أريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد أو كما قال رضي الله عنه فكما أن تطوع الصلاة فرادى وجماعة مشروع من غير أن يتخذ جماعة عامة متكررة تشبه المشروع من الجمعة والعيد والصلوات الخمس فكذلك تطوع القراءة والذكر والدعاء جماعة وفرادى وتطوع قصد بعض المشاهد ونحو ذلك كله من نوع واحد يفرق بين الكثير الظاهر منه والقليل الخفي والمعتاد وغير المعتاد وكذلك كل ما كان مشروع الجنس لكن البدعة اتخاذه عادة لازمة حتى يصير كانه واجب ويترتب على استحبابه وكرهه حكم نذره واشترط فطره في الوقف والوصية ونحو ذلك حيث كان النذر لا يلزم الا في القرب وكذلك العمل المشروط في الوقف لا يجوز أن يكون الا راو معروفاً على ظاهر المذهب وقول جمهور أهل العلم وسنومى الى ذلك ان شاء الله وهذه المسائل تفتقر الى بسط أكثر من هذا لا يحتمله هذا الموضع وإنما الغرض التنبيه على المواسم المحدثه وأما ما يفعل في هذه المواسم مما جنسه منهى عنه في الشرع فهذا لا يحتاج الى ذكره لان ذلك لا يحتاج ان يدخل في هذا الباب مثل رفع الاصوات في المسجد أو اختلاط الرجال والنساء أو كثرة إيقاد المصابيح زيادة على الحاجة أو إيذاء المصلين أو غيرهم بقول أو فعل فإن قبح هذا ظاهر لكل مسلم وإنما هذا من جنس سائر الاقوال المحرمة في المساجد سواء حرمت في المسجد وغيره كالنفواحش والفحش أو صين عنها المسجد كالبيع والشراء وانشاد الضالة واقامة الحدود ونحو ذلك وقد ذكر بعض المتأخرين من أصحابنا وغيرهم انه يستحب قيام هذه الليلة بالصلاة التي يسمونها الالفية لان فيها قراءة قل هو الله أحد ألف مرة وربما استحبوا الصوم أيضاً وعمدتهم في خصوص ذلك الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه صلى التطوع في جماعة أحيانا وخرج على أصحابه وفيهم من يقرأ وهم يستمعون مجلس معهم يستمع وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امرؤا واحدا يقرأ وهم يستمعون وقد ورد في القوم الذين يجلسون يتدارسون كتاب الله ويتلون وفي القوم الذين يذكرون الله من الآثار ما هو معروف مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وورد أيضا في الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم الحديث فاما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرار الاسابيع والشهور والاعوام غير الاجتماعات المشروعة فان ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس وللجمعة والعيد والحج وذلك هو المبتدع الحديث ففرق بين ما يتخذ سنة وعادة فان ذلك يضاهي المشروع وهذا الفرق هو المنصوص عن الامام أحمد وغيره من الأئمة فروى أبو بكر الخلال في كتاب الادب عن اسحاق بن منصور الكوسج انه قال لابي عبد الله يكره أن يجتمع القوم يدعون الله ويرفعون أيديهم قال ما أكره للاخوان اذا لم يجتمعوا على عمد الا أن يكثرؤا وقال اسحاق بن راهويه كما قال وانما معنى أن لا يكثرؤا أن لا يتخذوها عادة حتى يكثرؤا هذا كلام اسحق قال المروزي سألت أبا عبد الله عن القوم يبيتون فيقرأ قارئ ويدعون حتى يصبحوا قال أرجو أن لا يكون به بأس قال أبو السري الحرابي قال أبو عبد الله وأي شيء أحسن من أن يجتمع الناس يصلون ويذكرون ما أنعم الله عليهم كما قالت الانصار وهذه اشارة الى ما رواه احمد حدثنا اسماعيل أنبأنا أيوب عن محمد بن سيرين قال نبئت أن الانصار قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالوا لو نظرنا يوما فاجتمعنا فيه فذكرنا هذا الامر الذي أنعم الله به علينا فقالوا يوم السبت ثم قالوا لا نجتمع اليهود في يومهم قالوا في يوم الاحد قالوا لا نجتمع النصارى في يومهم قالوا في يوم العروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة فاجتمعوا في بيت أبي امامة أسعد بن زرارة فذبحت لهم شاة فكففتهم وقال أبو أمية الطرطوسي سألت أحمد بن حنبل عن القوم يجتمعون ويقرأ لهم القارئ قراءة حزينة فيكون وربما أطفؤا السراج فقال لي احمد ان كان يقرأ قراءة أبي موسى فلا بأس وروى الخلال عن الازاعي انه سئل عن القوم يجتمعون فيأمرون رجلا يقص عليهم قال اذا كان ذلك يوما بعد الايام فليس به بأس فقيد أحمد الاجتماع على الدعاء بما اذا لم يتخذ عادة وكذلك قيد آيات الامكنة التي فيها آثار الانبياء وقال سندی الخواتمي سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتي هذه المشاهد ويذهب اليها ترى ذلك قال اما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يصل في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى ما كان يفعل ابن عمر رضى الله عنهما يتبع مواضع النبي صلى الله عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد الا ان الناس قد أفرطوا في هذا جدا وأكثروا فيه وكذلك نقل عنه أحمد بن القاسم ولفظه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة وغيرها يذهب اليها قال أما على حديث ابن أم مكتوم انه سأل

النبي صلى الله عليه وسلم في فضل رجب حديث آخر بل عامة الاحاديث الماثورة فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها كذب والحديث اذا لم يعلم انه كذب فروايته في الفضائل أمر قريب أما اذا علم انه كذب فلا يجوز روايته الا مع بيان حاله لقوله صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثا وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين نعم روى عن بعض السلف في تفضيل العشر الاول من رجب بعض الاثر وروى غير ذلك فاتخاذ موسى بحيث يفرد بالصوم مكروه عند الامام أحمد وغيره كما روى عن عمر بن الخطاب وأبي بلر وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم وروى ابن ماجه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم رجب رواه عن ابراهيم ابن المنذر الخزاعي حدثنا داود بن عطاء حدثني زيد بن عبد الحميد عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن سليمان بن علي عن أبيه عن ابن عباس وليس بقوى وهل الافراد المكروه أن يصومه كله أو لا يقرن به شهرا آخر فيه للاصحاب وجهان ولولا ان هذا موضع الاشارة الى رؤس المسائل لاطلنا الكلام في ذلك ومن هذا الباب ليلة النصف من شعبان فقد روى في فضلها من الاحاديث المرفوعة والآثار ما يقتضى انها ليلة منفضة وان من السلف من كان يخصها بالصلاة فيها وصوم شهر شعبان قد جاءت فيه أحاديث صحيحة ومن العلماء من السلف من أهل المدينة وغيرهم من الخلف من أنكروا فضلها وطعن في الاحاديث الواردة فيها كحديث ان الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم كلب وقال لا فرق بينها وبين غيرها لكن الذى عليه كثير من أهل العلم أو أكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها وعليه يدل نص أحمد لتعدد الاحاديث الواردة فيها وما يصدق ذلك من الآثار السلفية وقد روى بعض فضائلها في المساند والسنن وان كان قد وضع فيها أشياء اخر فاما صوم يوم النصف مفردا فلا أصل له بل افراده مكروه وكذلك اتخاذ موسى تصنع فيه الاطعمة وتظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثه المبتدعة التي لا أصل لها وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع العام للصلاة الالفية في المساجد الجامعة ومساجد الاحياء والدور والاسواق فان هذا الاجتماع لصلاة نافذة مقيدة بزمان وعدد وقدر من القراءة مكروه لم يشرع فان الحديث الوارد في الصلاة الالفية موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاة بناء اليه واذا لم يستحب فالعمل المقتضى لاستحبابها مكروه ولو سوغ ان كل ليلة لها نوع فضل تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها لكان يفعل مثل هذه الصلاة أو أزيد أو أنقص ليلتي العيدين وليلة عرفة كما ان بعض أهل البلاد يقيمون مثلها أول ليلة من رجب وكما بلغنى انه كان في بعض القرى يصلون بعد المغرب صلاة مثل المغرب في جماعة يسمونها صلاة بر الوالدين وكما كان بعض الناس يصلى كل ليلة في جماعة صلاة الجنائز على من مات من المسلمين في جميع الارض ونحو ذلك من الصلوات الجماعية التي لم تشرع وعليك أن تعلم انه اذا استحب التطوع المطلق في وقت معين وجوز التطوع في جماعة لم يلزم من ذلك تسوية جماعة راتبه غير مشروعة فرق بين البابين وذلك ان الاجتماع لصلاة تطوع أو استماع قرآن أو ذكر الله ونحو ذلك اذا كان يفعل أحيانا فهذا أحسن فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم

منكرأ ينهى عنه مثل ما أحدث بعض أهل الاهواء في يوم عاشوراء من التعطش والتحرز والتجمع وغير ذلك من الامور المحدثه التي لم يشرعها الله ولا رسوله ولا أحد من السلف لا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من غيرهم لكن لما أكرم الله فيه سبط نبيه أحد سيدى شباب أهل الجنة وطائفة من أهل بيته بإيدى الفجرة الذين أهانهم الله وكانت هذه مصيبة عند المسلمين يجب أن تتلقى بما يتلقى به المصائب من الاسترجاع المشروع فحدث بعض أهل البدع في مثل هذا اليوم خلاف ما أمر الله به عند المصائب وضموا الى ذلك من الكذب والوقيعه فى الصحابة البراء من فتنه الحسين وغيرها أموراً أخرى مما يكرهها الله ورسوله وقد روى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فحدث لها استرجاعاً وان تقدم عهداً كتب الله له من الاجر مثلاً يوم أصيب رواء الامام أحمد وابن ماجه فتدبر كيف روى مثل هذا الحديث الحسين رضى الله عنه وعنه بنته التي شهدت مصابه وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مأتما فليس هذا من دين المسلمين بل هو الى دين الجاهلية أقرب ثم فوتوا بذلك ما فى صوم هذا اليوم من الفضل وأحدث بعض الناس فيه أشياء مستندة الى أحاديث موضوعة لا أصل لها مثل فضل الاغتسال فيه أو التسكحل أو المصاحفة وهذه الاشياء ونحوها من الامور المبتدعة كلها مكروهة وانما المستحب صومه وقد روى فى التوسع فيه على العيال آثار معروفة اعلى ما فيها حديث ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال بلغنا انه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته رواء عنه ابن عيينة وهذا بلاغ منقطع لا يعرف قائله والاشبه ان هذا وضع لما ظهرت العصبية بين الناصبة والروافضة فان هؤلاء اعدوا يوم عاشوراء مأتما فوضع أولئك فيه آثاراً تقتضى التوسع فيه واتخاذ عيداً وكلاهما باطل وقد ثبت فى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون فى ثقيف كذاب ومبير فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد وكان يتشيع وينتصر للحسين ثم أظهر الكذب والافتراء على الله وكان فيها الحجاج ابن يوسف وكان فيه انحراف على على وشيعته وكان مبيراً وهؤلاء فيهم بدع وضلال وأولئك فيهم بدع وضلال وان كانت الشيعة أكثر كذباً وأسوأ حالاً لكن لا يجوز لاحد أن يغير شيئاً من الشريعة لاجل أحد واطهار الفرح والسرور يوم عاشوراء وتوسيع النفقات فيه هو من البدع المحدثه المقابلة للرافضة وقد وضعت فى ذلك أحاديث مكذوبة فى فضائل ما يصنع فيه من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك وصححها بعض الناس كابن ناصر وغيره ليس فيها ما يصح لكن رويت لأناس اعتقدوا صحتها فعملوا بها ولم يعلموا انها كذب فهذا مثل هذا وقد يكون سبب الغلو فى تعظيمه من بعض المنتسبة لمقابلة الروافض فان الشيطان قصده ان يحرف الخلق عن الصراط المستقيم ولا يبالى الى أى الشقين صاروا فينبغى أن تجنب جميع هذه المحدثات ومن هذا الباب شهر رجب فانه أحد الاشهر الحرم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا فى شهرى رجب وشعبان وبلغنا رمضان ولم يثبت عن

أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك فقال دعه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب أو كما قال مع إن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط وليس مقصود أحد هذا وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة وفيه أيضا مفسدة كره لأجابه فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا ولا اعتاضوا الفساد لاصلاح فيه مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور ككتب الأبرار أو الأشعار أو حكمة فارس والروم فتفطن لحقيقة الدين وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد بحيث تعرف مراتب المعروف ومراتب المنكر حتي تقدم أهمها عند الازدحام فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل فإن التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر وجنس الدليل وغير الدليل يتيسر كثيرا فاما مراتب المعروف والمنكر ومراتب الدليل بحيث تقدم عند التزاحم اعرف المعروفين وتشكر انكر المنكرين وترجح أقوى الدليلين فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين فالمراتب ثلاث احداها العمل الصالح المشروع انذى لا كراهة فيه الثانية العمل الصالح من بعض وجوهه أو أكثرها اما لحسن القصد أو لاشتراكه مع ذلك على أنواع من المشروع الثالث ما ليس فيه صلاح أصلا اما لكونه تركا للعمل الصالح مطلقا أو لكونه عملا فاسدا محضاً فاما الاول فهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنها وظاهرها قولها وعمالها في الأمور العلمية والعملية مطلقا فهذا هو الذي يجب تعلمه وتعليمه والامر به وفعله على حسب مقتضى الشريعة من إيجاب واستحباب والغالب على هذا الضرب هو أعمال السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان وأما المرتبة الثانية فهي كثيرة جدا في طرق المتأخرين من المنتسبين الى علم أو عبادة ومن العامة أيضا وهؤلاء خير ممن لا يعمل عملا صالحا مشروعا ولا غير مشروع أو ممن يكون عمله من جنس المحرم كالكفر والكذب والخيانة والجهل ويندرج في هذا أنواع كثيرة فمن تعبد ببعض هذه العبادات المشتملة على نوع من الكراهة كالوصال في الصيام وترك جنس الشهوات ونحو ذلك أو قصدا حياء ليال لا خصوص لها كاول ليلة من رجب ونحو ذلك قد يكون حاله خيرا من حال الباطل الذي ليس فيه حرص على عبادة الله وطاعته بل كثير من هؤلاء الذين ينكرون هذه الأشياء زاهدون في جنس عبادة الله من العلم النافع والعمل الصالح أو في أحدهما لا يحبونها ولا يرغبون فيها لكن لا يمكنهم ذلك في المشروع فيصرفون قوتهم الى هذه الأشياء فهم باحوالهم منكرون للمشروع وغير المشروع وبقوا لهم لا يمكنهم الا انكار غير المشروع ومع هذا فالمرء يعرف المعروف وينكر المنكر ولا يمنع من ذلك موافقة بعض المتأففين له ظاهرا في الامر بذلك المعروف والنهي عن ذلك المنكر ولا تخلط بعض علماء المؤمنين بهذه الأمور وأمثالها مما ينبغي معرفتها والعمل بها النوع الثالث ما هو معظم في الشريعة كيوم عاشوراء ويوم عرفة ويوم العيد والعشر الاواخر من شهر رمضان والعشر الاول من ذي الحجة وليلة الجمعة ويومها والعشر الاول من المحرم ونحو ذلك من الاوقات الفاضلة فهذا الضرب قد يحدث فيه ما يعتقد أن له فضيلة وتوابع ذلك ما يصير

متابعته وطاعته واتباع امره واحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فان هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان واكثر هؤلاء الذين تجددونهم حراصا على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجددونهم فآثرين في امر الرسول عما امروا بالنشاط فيه وانما هم بمنزلة من يحل المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلا وبمنزلة من يتخذ المصباح والسجادات المزخرفة وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها كإجاء في الحيات ماساء عمل أمة قط الأزخر فوا مساجدهم واعلم ان من الاعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على انواع من المشروع وفيه ايضا شر من بدعة وغيرها فيكون ذلك العمل خيرا بالنسبة الى الاعراض عن الدين بالكلية لحال المنافقين والفاستين وهذا قد ابتلى به اكثر الامة في الازمان المتأخرة فعليك هنا باديين احدهما ان يكون حرصك على التمسك بالسنة باطنا وظاهرا في خاصتك وخاصة من يطعمك واعرف المعروف وانكر المنكر الثاني ان تدعو الناس الى السنة بحسب الامكان فاذا رايت من يعمل هذا ولا يتركه الا الى شر منه فلا تدعوا الى ترك منه ففعل ما هو انكر منه او بترك واجب او مندوب تركه اضر من فعل ذلك المكروه وان كان اذا كان في البدعة نوع من الخير فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الامكان اذا لنفوس لا تترك شيئا الا بشئ ولا ينبغي لاحد ان يترك خيرا الا الى مثله او الى خير منه فانه كما ان الفاعلين لهذه البدع مصيبون قد اتوا مكروها فالتاركون ايضا للسنن مذمومون فان منها ما يكون واجبا على الاطلاق ومنها ما يكون واجبا على التقييد كما ان الصلاة النافلة لا تجب ولكن من اراد ان يصلها يجب عليه ان ياتي بآثارها وكما يجب على من اتى الذنوب من الكفارات والقضاء والتوبة والحسنات الماحية وما يجب على من كان اماما او قاضيا او متزيا او واليا من الحقوق وما يجب على طالب العلم او نوافل العبادة من الحقوق ومنها ما يكره المداومة على تركه كراهة شديدة ومنها ما يكره تركه او يجب فعله على الائمة دون غيرهم وعامتها يجب تعليمها والحض عليها والدعاء اليها وكثير من المنكرين لبدع العبادات تجددهم مقصرين في فعل السنن من ذلك او الامر به ولعل حال كثير منهم يكون اسوأ من حال من ياتي بتلك العادات المستعملة على نوع من الكراهة بل الدين هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا قوام لاحدهما الا بصاحبه فلا ينهى عن منكر ولا يؤمر بمعروف يغني عنه كما يؤمر بعبادة الله وينهى عن عبادة ما واه اذ رأس الامر شهادة ان لا اله الا الله والنفوس قد خالقت للعمل لا للترك وانما رأوا الترك مقصودا لغيره فان لم يشتغل بعمل صالح والا لم يترك العمل السيئ أو الناقص لكن لما كان من الاعمال السنية ما يفسد عليها العمل الصالح نهيت عنه حفظا للعمل الصالح فتعظيم المولد واتخاذ موسى قد يفعل به من الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمته لك انه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الامراء انه

فصل

قد تقدم ان العيد يكون اسما لنفس المكان ولنفس الزمان ولنفس الاجتماع وهذه الثلاثة قد احدث منها اشياء أما الزمان فتلاثة انواع ويدخل فيها بعض بدع اعياد المكان والافعال احدها يوم لم تعظمه الشريعة اصلا ولم يكن له ذكر في السلف ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه مثل اول خيس من رجب وليلة تلك الجمعة التي تسمى الرغائب فان تعظيم هذا اليوم والليلة انما حدث في الاسلام بعد المائة الرابعة وروى فيه حديث موضوع باتفاق العامة مضمونه فضيلة صيام ذلك اليوم وفعل هذه الصلاة المسماة عند الجاهلين بصلاة الرغائب وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين من العلماء من الاصحاب وغيرهم والصواب الذي عليه المحققون من اهل العلم النهي عن افراد هذا اليوم بالصوم وعن هذه الصلاة المحدثه وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنعة الاطعمة واظهار الزينة ونحو ذلك حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من الايام وحتى لا يكون له مزية اصلا وكذلك يوم آخر في وسط رجب تصلى فيه صلاة تسمى صلاة ام داود فان تعظيم هذا اليوم لأصل له في الشريعة اصلا النوع الثاني ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره من غير ان يوجب ذلك جعله موسما ولا كان السلف يعظمونه كئنا من عشرى ذى الحجة الذي خطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم بمدير خم مرجعه من حجة الوداع فانه صلى الله عليه وسلم خطب فيه خطبة وصى فيها باتباع كتاب الله ووصى فيها باهل بيته كما روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فزاد بعض اهل الاعواء في ذلك حتى زعموا انه عهد الى على رضى الله عنه بالخلافة بالنص الجلى بعد ان فرش له وأقعدته على فرش عالية وذكروا كلاما وعملا قد علم بالاضطرار انه لم يكن من ذلك شئ وزعموا ان الصحابة تمازوا على كتابان هذا النص وغضبوا الوصى حقه وفتوا وكفروا الانفرا قليلا والعادة التي جبل الله عليها بنى آدم ثم ما كان عليها القوم من الديانة وما وجبته شريعتهم من بيان الحق يوجب العلم اليقيني بان مثل هذا يمتنع كتمانها وليس الغرض الكلام في مسئلة الامامة وانما الغرض ان اتخاذ هذا اليوم عيدا محدث لأصل له فلم يكن في السلف لامن اهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ ذلك عيدا حتى يحدث فيه اعمالا اذا لاعياد شريعة من الشرائع فيجب فيها الاتباع لا الابتداع ولله صلى الله عليه وسلم خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة مثل يوم بدر وحنين والخذق وفتح مكة ووقت هجرته ودخوله المدينة وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين ثم لم يوجب ذلك ان يتخذ مثال تلك الايام أعيادا وانما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال ايام حو'دث عيسى عليه السلام اعيادا أو اليهود وانما العيد شريعة فاشعره الله اتباع والالم يحدث في الدين ما ليس منه وكذلك ما يحدثه بعض الناس امامضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وامحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهما له والله يشبههم على هذه المحبة والاجتهاد لاعلى البدع من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدامع اختلاف الناس في مولده فان هذا لم يفعله لسلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه لو كان خيرا ولو كان هذا خيرا محضا اوراجعنا لكان السلف رضى الله عنهم احق به منا فانهم كانوا اشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه له منا وهم على الخير احرص وانما كمال محبته وتعظيمه في

فوائد وذلك لانه لا بد أن تشتمل عباداتهم على نوع ما مشروع في جنسه كما ان قولهم لا بد ان يشتمل على صدق ما ماثور عن الانبياء ثم مع ذلك لا يوجب ذلك ان تفعل عباداتهم أو تروى كلماتهم لان جميع المبتدعات لا بد ان تشتمل على شر راجح على مافيه من الخير اذ لو كان خيرا راجحا لما أهملتها الشريعة فنحن نستدل بكونها بدعة على ان انما أكبر من نفعها وذلك هو الموجب للنهي وأقول ان انما قد يزول عن بعض الاشخاص لمعارض الاجتهاد أو غيره كما يزول اسم الربا والنبذ المختلف فيها عن المجتهدين من السلف ثم مع ذلك يجب بيان حالها وان لا يقتدى بمن استحلتها وأن لا يقصر في طاب العلم المبين لحقيقتها وهذا الدليل كاف في بيان أن هذه البدع مشتملة على مفاسد اعتقادية أو حالية مناقضة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وان مافيه من المنفعة مزجوح لا يصلح للمعارضة ثم يقال على سبيل التفصيل اذا فعلها قوم ذو فضل فقد تركها في زمان هؤلاء معتقدا لكرهاتها وانكرها قوم ان لم يكونوا أفضل ممن فعلها فليسوا دونهم ولو كانوا دونهم في الفضل فقد تنزع فيها أولو الامر فتد الى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لا مع من رخص فيها ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء واما مافيه من المنفعة فيعارضه مافيه من مناسد البدعة الراجعة منها مع ما تقدم من الفسدة الاعتقادية والحالية ان القلوب تستعد لها وتستغنى بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها مالا يحافظه على التراخي والصلوات الخمس ومنها ان الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن ورغبتهم فيها فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها مالا يفعله في الفرائض والسنن حتي كأنه يفعل هذه عبادة ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة وهذا عكس الدين فيقوته بذلك مافي الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والارقة والطهارة والخشوع واجابة الدعوة وحلاوة المناجاة الى غير ذلك من الفوائد وان لم ينته هذا كله فلا بد ان يفوته كاله ومنها مافي ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وجهالة اكثر الناس بدين المرسلين وانتشار زرع الجاهلية ومنها اشتغالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل تأخير النطور وأداء العشاء الآخرة بالاقلوب حاضرة والمبادرة الى تعجيلها والسجود بعد السلام لغير سهو وانواع من الاذكار ومقاديرها لا اصل له الى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها الامن استنارت بصيرته وسامت سريره ومنها مسارقة الطبع الى الانحلال من ربة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم وذلك ان النفس فيها نوع من الكبر فتحب ان تخرج من العبودية والاتباع بحسب الامكان كما قال ابو عثمان اليسا بوري رحمه الله ماترك احد شيئا من السنة الا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره فينساخ القاب عن حقيقة الاتباع للرسول وبصير فيه من الكبر وضعف الايمان ما يفسد عليه دينه ويكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومنها ما تقدم التنبيه عليه في أعياد اهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين النوع الذي فيه مشابهة والنوع الذي لا مشابهة فيه والكلام في ذم البدع لما كان مقررافي غير هذا الموضع لم نطل النفس في تقريره بل نذكر بعض اعيان هذه المواسم

هذا العمل المبتدع مستلزم اما لاعتقاد هو ضلال في الدين أو عمل دين لغير الله والتدين بالاعتقادات الفاسدة أو التدين لغير الله لا يجوز فهذه البدع وأمثالها مستلزمة قطعاً أو ظاهرة لفعل ما لا يجوز فاقول احوال المستلزم ان لم يكن محرماً أن يكون مكروهاً وهذا المعنى سار في سائر البدع المحدثه ثم هذا الاعتقاد يتبعه أحوال في القلب من التعظيم والاجلال وتلك الاحوال ايضا باطلة ليست من دين الله ولو فرض ان الرجل قد يقول أنا لأعتقد الفضل فلا يمكنه مع التعبد ان يزيل الحال الذي في قلبه من التعظيم والاجلال والتعظيم والاجلال لا ينشأ الا بشعور من جنس الاعتقاد ولو انه وهم أو ظن أن هذا أمر ضروري فان النفس لو خلت عن الشعور بفضل الشيء امتنع مع ذلك ان يعظمه ولكن قد تقوم به خواطر متقابلة فهو من حيث اعتقاده انه بدعة يقتضى ذلك عدم تعظيمه ومن حيث شعوره بما روى فيه أو بفعل الناس له أو بان فلانا وفلانا فعلوه أو بما يظهر له فيه من المنفعة يقوم بفعله عظمتها فعمامت ان فعل هذه البدع تناقض الاعتقادات الواجبة وتنازع الرسل ما جاؤا به عن الله وانها تورث القلب نفاقاً ولو كان نفاقاً خفيئاً ومثلها مثل أقوام كانوا يعظمون ابا جهل وعبد الله بن أبي لرياسته وماله ونسبه واحسانه اليهم وسلطانه عليهم فاذا ذمه الرسول أو بين نقصه أو أمر باهانته أو قتله فمن لم يخلص ايمانه والا يبتى في قلبه منارعة بين طاعة الرسول التابعة لاعتقاده الصحيح واتباع ما في نفسه من الحال التابع لتلك الظنون الكاذبة فمن تدبر هذا علم يقينا ما في حشو البدع من السموم المضغفة للايمان ولهذا قيل ان البدع مشتقة من الكفر وهذا المعنى الذي ذكرته معتبر في كل مانهى عنه الشارع من أنواع العبادات التي لا مزية لها في الشرع اذا جاز ان يتوهم لها مزية كالصلاة عند القبور والذبح عند الاصنام ونحو ذلك وان لم يكن الغايل معتقداً للمزية لكن نفس الفعل قد يكون مظنة للمزية وكما ان اثبات الفضيلة الشرعية مقصود فرفع النضيلة غير الشرعية متصود ايضا* فان قيل هذا يعارضه ان هذه المواسم مثلاً فعلها قوم من أولى العلم والفضل الصديقين فمن دونهم وفيها فوائد يجدها المؤمن في قلبه وغير قلبه من طهارة قلبه ورقته وزوال آثار الذنوب عنه واجابة دعائه ونحو ذلك مع ما ينضم الى ذلك من العمومات الدالة على فضل الصلاة والصيام كقوله تعالى أرايت الذي نهى عبداً اذا صلى وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة نور وبرهان ونحو ذلك* قلنا لا ريب ان من فعلها متأولاً مجتهداً أو مقلداً كان له أجر على حسن قصده وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع وكان ما فيه من المبتدع مغنوراً له اذا كان في اجتهاده أو تقليده من المندورين وكذلك ما ذكر فيها من النوائد كلها انما حصلت لما اشتملت عليه من المشروع في جنسه كالصوم والذكر والقراءة والركوع والسجود وحسن النصد في عبادة الله وطاعته ودعائه وما اشتملت عليه من المكروه وانتفى موجهه بعفو الله لاجتهاد صاحبه أو تقليده وهذا المعنى ثابت في كل ما يذكر في بعض البدع المكروهة من الفائدة لكن هذا القدر لا يمنع كراهتها والنهي عنها والاعتياض عنها بالمشروع الذي لا بداسة فيه كما ان الذين زادوا الأذان في العيدين هم كذلك بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم ايضا

ذلك اليوم اللفظ للبخارى يصوم عادته فوجه الدلالة ان الشارع قسم الايام باعتبار الصوم ثلاثة اقسام
 قسم شرع تخصيصه بالصيام اما ايجابا كرمضان واما استجبابا كيوم عرفة وعاشوراء وقسم نهى عن
 صومه مطابقا كيوم العيدين وقسم انما نهى عن تخصيصه كيوم الجمعة وسرر شعبان فهذا النوع لو صيم
 مع غيره لم يكره فاذا خصص بالفعل نهى عن ذلك سواء قصد الصائم التخصيص أو لم يقصده وسواء اعتقد
 الرجحان أو لم يعتقد ومعلوم ان مفسدة هذا العمل لولا انها موجودة في التخصيص دون غيره لكان
 اما ان ينهى عنه مطلقا كيوم العيد او لا ينهى عنه كيوم عرفة وتلك المفسدة ليست موجودة في سائر
 الاوقات والا لم يكن للتخصيص بالنهى فائدة فظهر ان المفسدة تنشأ من تخصيص مالا خصيصه له كما
 أشعر به اعطى الرسول صلى الله عليه وسلم فان نفس الفعل المنهى عنه أو المأمور به قد يشتمل على حكمة
 الامر والنهى كما في قوله خالفوا المشركين فالنهي عن الاختصاص لوقت بصوم أو صلاة يقتضى
 أن الفساد ناشئ من جهة الاختصاص فاذا كان يوم الجمعة يوما فاضلا يستحب فيه من الصلاة والدعاء
 والذكر والقراءة والطهارة والطيب والزينة مالا يستحب في غيره كان ذلك في مظنة أن يتوهم أن صومه
 أفضل من غيره ويعتقد ان قيام ليلته كالصيام في نهاره لها فضيلة على قيام غيرها من الاليالى فهى النبي صلى الله
 عليه وسلم عن التخصيص دفعا لهذه المفسدة التي لا تنشأ الا من التخصيص وكذلك تاتى رمضان قد يتوهم ان
 فيه فضلا لما فيه من الاحتياط للصوم ولا فضل فيه في الشرع فهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلقيه لذلك
 وهذا المعنى موجود في مسئلتنا فان الناس قد يخصون هذه المواسم لاعتقادهم فيها فضيلة ومتى كان تخصيص
 هذا الوقت بصوم أو بصلاة قد يقترن باعتقاد فضل ذلك ولا فضل فيه نهى عن التخصيص اذ لا يبعث
 التخصيص الا عن اعتقاد الاختصاص ومن قال ان الصلاة والصوم في هذه الليلة كغيرها هذا اعتقادي ومع
 ذلك فانا أخصها فلا بد أن يكون باعثة اما موافقة غيره واما اتباع العادة واما خوف اللوم له ونحو ذلك والا
 فهو كاذب فالداعى الى هذا العمل لا يخلو قط من ان يكون ذلك الاعتقاد الفاسد أو باعثا آخر غير ديني
 وذلك الاعتقاد ضال فانا قد علمنا يقينا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسائر الائمة لم يذكر في
 فضل هذا اليوم واليلة ولا في فضل صومه بخصوصه وفضل قيامها بخصوصها حرفا واحدا وان الحديث
 المأثور فيها موضوع وأنها انما حدثت في الاسلام بعد المائة الرابعة ولا يجوز والحال هذه ان يكون لها فضل
 لان ذلك الفضل ان لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ولا التابعون ولا سائر الائمة امتنع ان
 نعلم نحن من الدين الذى يقرب الى الله مالم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا التابعون
 وسائر الائمة وان علموه امتنع مع توفر دواعيهم على العمل الصالح وتعليم الخلق والنصيحة ان لا يعلموا
 احدا بهذا الفضل ولا يسارع اليه واحد منهم فاذا كان هذا الفضل المسمى مستازما لعدم علم الرسول
 وخير القرون ببعض دين الله أو لكتائبهم وتركهم ما تقتضى شريعتهم وعادتهم أن لا يكتسبوه ولا يتركوه
 وكل واحد من اللازمين منتف اما بالشرع واما بالعادة مع الشرع علم انتفاء المزوم وهو الفضل المدعى ثم

ولم يذكر علته لكن قد ذكر علة نظيره او نوعه مثل انه يجوز للاب أن يزوجه ابنته الصغيرة البكر بلا اذنها وقد راينا جوز له الاستيلاء على ما لها لكونها صغيرة فهل نعتقد ان علة ولاية النكاح هي الصغر مثلاً كأن ولاية المال كذلك ام نقول بل قد يكون للنكاح علة اخرى وهي البكارة مثلاً فهذه العلة هي المؤثرة في قديين الشارع تأثيرها في حكم منصوص وسكت عن بيان تأثيرها في نظير ذلك الحكم فالفرقان الاول ان يقول ان بها وهو في الحقيقة اثبات للعلة بالقياس فانه يقول كأن هذا الوصف اثر في الحكم في ذلك المكان كذلك يؤثر فيه في هذا المكان والفريق الثالث لا يقول بها الا بدلالة خاصة لجواز ان يكون النوع الواحد من الاحكام له علل مختلفة ومن هذا النوع انه نهى صلى الله عليه وسلم عن ان يبيع الرجل على بيع اخيه او يستام الرجل على سوم اخيه أو يخطب الرجل على خطبة اخيه فيعمل ذلك بما فيه من فساد ذات البين كما علم به في قوله لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم وان كان هذا المثال يظهر التمثيل فيه ما لا يظهر في الاول فانما ذلك لانه لا يظهر فيه وصف مناسب للنهي الا هذا وكبر دليل خاص على العلة ونظيره من كلام الناس ان يقول لا تعط هذا الفقير فانه مبتدع ثم يساله فقير آخر مبتدع فيقول لا تعطه وقد يكون ذلك الفقير عدوا له فهل يحكم بان العلة هي البدعة ام يتردد لجواز ان تكون العلة هي العداوة واما اذا راينا الشارع قد حكم بحكم وراينا فيه وصفا منسباً له لكن الشارع لم يذكر تلك العلة ولا علم بها نظير ذلك الحكم في موضع آخر فهذا هو الوصف المناسب الغريب لانه لا نظير له في الشرع ولادل كلام الشارع وإيماءه عليه فجوز اتباعه الفريق الاول ونفاه الآخرون وهذا ادراك لعلة الشارع بنفس عقولنا من غير دلالة منه كما ان الذي قبله ادراك لعلمته بنفس القياس على كلامه والاول ادراك لعلمته بنفس كلامه ومع هذا فقد تعلم علة الحكم المعين بالسبب وبدالات اخرى فاذا ثبتت هذه الاقسام فسلطنا من باب العلة المنصوصة في موضع المؤثرة في موضع آخر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص أوقات بصلاة أو بصيام وأباح ذلك اذا لم يكن على وجه التخصيص فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون في صوم يصومه أحدكم وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصوم من أحدكم يوم الجمعة الا يوماً قبله أو بعده وهذا لفظ البخاري وروى البخاري عن جويرية بنت الحارث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال أصمت أمس قالت لا قال تريدن ان تصومي غدا قالت لا قال فافطري وفي الصحيحين عن محمد بن عباد بن جعفر قال سالت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الجمعة قال نعم ورب هذا البيت وهذا لفظ مسلم وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم الجمعة وحده رواه أحمد ومثل هذا ما أخرجه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين الا أن يكون رجل كان يصوم صوماً فليصم

والعلماء بل والامراء معذوروا فيما احدثه لنوع اجتهاد فالغرض ان يعرف الدليل الصحيح وان كان التارك له قد يكون معذورا لاجتهاده بل قد يكون صديقا عظيما فليس من شرط الصديق ان يكون قوله كله صحيحا وعمه كله سنة اذ قد يكون بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع والكلام في انواع البدع واحكامها وصفاتها لا يتسع له هذا الكتاب وانما الغرض التنبيه على ما يزيل شبهه المعارضة للحديث الصحيح الذى ذكرناه ويعرف ان النصوص الدالة على ذم البدع مما يجب العمل بها * والوجه الثانى فى ذم المواسم والاعياد المحدثه ما تشتمل عليه من الفساد فى الدين واعلم انه ليس كل واحد بل ولا أكثر الناس يدرك فساد هذا النوع من البدع لا سيما اذا كان من جنس العبادات المشروعة بل اولو الالباب هم يدركون بعض ما فيه من الفساد والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة ولم يدركوا ما فى ذلك من المصاحبة والمنسدة فننبه على بعض مناسدها فمن ذلك ان من احدث عملا فى يوم كاحداث صوم أول خميس من رجب والصلاة فى ليلة تلك الجمعة التى يسميها الجاهلون صلاة الرغائب مثلا وما يتبع ذلك من احداث اطعمة وزينة وتوسيع فى النفقة ونحو ذلك فلا بد ان يتبع هذا العمل اعتقاد فى القاب وذلك لانه لا بد ان يعتقد ان هذا اليوم أفضل من أمثاله وان الصوم فيه مستحب فيه استحبابا زائدا على الخميس الذى قبله وبعده مثلا وان هذه الليلة أفضل من غيرها من الجمع وأن الصلاة فيها أفضل من الصلاة فى غيرها من ليالى الجمع خصوصا وسائر الليالى عموما اذ لولا قيام هذا الاعتقاد فى قلبه أو فى قلب متبوعه لما انبعث القلب لتخصيص هذا اليوم واليلة فان الترجيح من غير مرجح ممتنع وهذا المعنى قد شهد له الشرع بالاعتبار فى هذا الحكم ونص على تأثيره فهو من معانى المناسبة المؤثرة فان مجرد المناسبة مع الاقتران يدل على العلة عند من يقول بالمناسب القريب وهم كثير من الفقهاء من اصحابنا وغيرهم ومن لا يقول بالمتأثر فلا يكتفى بمجرد المناسبة حتى يدل الشرع على ان مثل ذلك الوصف مؤثر فى مثل ذلك الحكم وهو قول كثير من الفقهاء ايضا من اصحابنا وغيرهم وهؤلاء اذا رأوا الحكم المنصوص فيه معنى قد أثر فى مثل ذلك الحكم فى موضع آخر علموا ذلك الحكم المنصوص به وهنا قول ثالث قاله كثير من اصحابنا وغيرهم ايضا وهو ان الحكم المنصوص لا يعلل الا بوصف دل الشرع على انه معال به ولا يكتفى بكونه علل به نظيره أو نوعه وتلخيص الفرق بين الاقوال الثلاثة انا اذا رأينا الشارع قد نص على الحكم ودل على علته كما قل فى الهرة انها ليست بنجس انها من الطوائف عليكم والطوافات فهذه العلة تسمى المنصوصة أو المسمى اليها عامت مناسبها او لم تعلم فيعمل بموجبها باتفاق الطوائف الثلاث وان اختلفوا هل يسمى هذا قياسا ولا يسمى ومثاله فى كلام الناس ما لو قال السيد لعبده لا تدخل دارى فلانا فانه مبتدع أو فانه اسود ونحو ذلك فانه يفهم منه انه لا يدخل داره من كان مبتدعا أو من كان اسود وهو نظير ان يقول لا تدخل دارى مبتدعا ولا اسود ولهذا نعمل نحن بمثل هذا فى باب الايمان فلو قال لا لبست هذا الثوب الذى يمن به على حنث بما كانت منه مثل منته وهو ثمنه ونحو ذلك واما اذا رأينا الشارع قد حكم بحكم

به من الادلة قد كان ثابتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع هذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا الترك سنة خاصة مقدمة على كل عموم وكل قياس ومثال ما حدثت الحاجة اليه من البدع بتفريط من
الناس تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين فانه لما فعله بعض الامراء انكره المسلمون لانه بدعة واعتذار من
احدته بان الناس قد صاروا ينقصون قبل سماع الخطبة وكانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينقصون حتى يسمعوا أو اكزهم فيقال له سبب هذا تفريطك فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطبهم خطبة
يقصد بها نفعهم وتبليغهم وهدايتهم وانت قصدك اقامة رياستك او وان قصدت صلاح دينهم فلا تعلمهم
ما ينفعهم فهذه العصية منك لا تبيح لك احداث معصية اخرى بل الطريق في ذلك ان تتوب الى الله وتتبع
سنة نبيه وقد استقام الامر وان لم يستقم فلا يسألك الله الا عن عملك لا عن عملهم وهذان المعنيان من
فهمهما انحل عنه كثير من شبه البدع الحادثة فانه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حدث
قوم بدعة الا نزع الله عنهم من السنة مثلها وقد اشرت الى هذا المعنى فيما تقدم وبينت ان الشرائع اغذية
القلوب فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنة فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث وعامة
الامراء انما احدثوا انواعا من السياسات الجائرة من اخذ اموال لا يجوز اخذها وعقوبات على الجرائم لا تجوز
لانهم فرطوا في المشروع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافلو قبضوا ما يسوغ قبضه ووضعوه
حيث يسوغ وضعه طالبين بذلك اقامة دين الله لا رياسة انفسهم واقاموا الحدود المشروعة على الشريف
والوضيع والقريب والبعيد متحررين في ترغيبهم وترهيبهم للعبد الذي شرعه الله لما احتاجوا الى المكوس
الموضوعة ولا الى العقوبات الجائرة ولا الى من يحفظهم من العبيد والمستعبدين كما كان الخلفاء الراشدون
وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من امراء بعض الاقاليم وكذلك العلماء اذا اقاموا كتاب الله وفقهوا ما فيه
من البينات التي هي حجج الله وما فيه من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح واقاموا حكمة الله
التي بعث بها رسوله صلى الله عليه وسلم وهي سنته لوجدوا فيها من انواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة
الناس ولميزوا حينئذ بين الحق والمبطل من جميع الخلق بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الامة حيث
يقول عز وجل (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) ولا تستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون
من الحجج الفاسدة التي يزعم الكلاميون انهم ينصرون بها اصل الدين ومن الرأي الفاسد الذي يزعم
القياسيون انهم يتمون به فروع الدين وما كان من الحجج صحيحة ومن الرأي سيديا فذلك له اصل في
كتاب الله وسنة رسوله فهمه من فهمه وحرمة من حرمة وكذلك العباد اذا تعبدوا بما شرع من الاقوال
والاعمال ظاهرا وباطنا وذاقوا اطعم الكلم الطيب والعمل الصالح الذي بعث الله به الرسول وجدوا في ذلك
من الاحوال الزكية والمقامات العلية والنتائج العظيمة ما يغنيهم عما قد يحدث في نوعه كالتعبير ونحوه
من الساعات المتسعة الصارفة عن سماع القرآن وانواع من الاذكار والاوراد لفقها بعض الناس أوفى
قدره كزيادات من التعبدات احدثها من احدثها لقص تمسكه بالمشروع منها وان كان كثير من العباد

الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقد علم ان الزكاة من حقها فلم يعصم من منع الزكاة كما بينه في الحديث الآخر الصحيح حتي يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وهذا باب واسع والضابط في هذا والله اعلم ان يقال ان الناس لا يحدثون شيئا الا لانهم يرونه مصلحة اذلو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه فانه لا يدعوا اليه عقل ولا دين فما رآه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحجوج اليه فان كان السبب المحجوج اليه امرا حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم لكان تركه النبي صلى الله عليه وسلم من غير تفريط منا فنهنا قد يجوز احداث ما تدعو الحاجة اليه وكذلك ان كان المقتضى لفعله قائما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن تركه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارض زال بموته واما ما لم يحدث سبب محجوج اليه او كان السبب المحجوج اليه بعض ذنوب العباد فنهنا لا يجوز الاحداث فكل امر يكون المقتضى لفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودا لو كان مصلحة ولم يفعل يعلم انه ليس بمصلحة واما ما حدث المقتضى له بعد موته من غير معصية الخلق فقد يكون مصلحة ثم هنا للفقهاء طريقتان احدهما ان ذلك يفعل ما لم ينه عنه وهذا قول القائلين بالمصالح المرسلة والثاني ان ذلك لا يفعل ما لم يؤمر به وهو قول من لا يرى اثبات الاحكام بالمصالح المرسلة وهؤلاء ضربان منهم من لا يثبت الحكم ان لم يدخل في لفظ نقله كلام الشارع أو فعله او اقراره وهم نفاة القياس ومنهم من يثبت به لفظ الشارع أو عيناه وهم القياسيون فاما ما كان المقتضى لفعله موجودا لو كان مصلحة وهو مع هذا لم يشرعه فوضعه تغيير لدين الله تعالى وانما دخل فيه من نسب الى تغيير الدين من الملوك والعملاء والعباد أو من زل منهم باجتهاد كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير واحد من الصحابة ان أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم او جدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون فثال هذا القسم الأذان في العيدين فان هذا لما أحدثه بعض الامراء وأنكره المسلمون لانه بدعة فلم يكن كونه بدعة دليلا على كراهته والا لقبل هذا ذكر الله ودعاء للخلق الى عبادة الله فيدخل في العمومات كقوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله أو يقاس على الاذان في الجمعة فان الاستدلال على حسن الاذان في العيدين اقوى من الاستدلال على حسن اكر البدع بل يقال ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وجود ما يعتقد مقتضيا وزوال المانع سنة كما أن فعله سنة فلما امر بالاذان في الجمعة وصلى العيدين بلا اذان ولا اقامة كان ترك الاذان فيهما سنة فليس لاحد أن يزيد في ذلك بل الزيادة في ذلك كالزيادة في اعداد الصلاة وأعداد الركعات أو صيام الشهر او الحج فان رجلا لواحب ان يصلي الظهر خمس ركعات وقال هذا زيادة عمل صالح لم يكن له ذلك وكذلك لو اراد ان ينصب مكانا آخر يقصد لدعاء الله فيه وذكره لم يكن له ذلك وليس ان يقول هذه بدعة حسنة بل يقال له كل بدعة ضلالة ونحن نعلم ان هذا ضلالة قبل ان نعلم انها ضلالة فاما ما فيها من المفسدة فنهنا مثال لما حدث مع قيام المقتضى له وزوال المانع لو كان خيرا فان كلما يتبدل الحديث لهذا من المصاحبة او يستدل

دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ وانما اراد ما ابتدئ من الاعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم
واذا كان كذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى وقد قال لهم
في الليلة الثالثة والرابعة لما اجتمعوا انه لم يمنعني ان اخرج اليكم الا كراهة ان يفرض عليكم فصلوا في
بيوتكم فان أفضل الصلاة المرء في بيته الا المكتوبة فعلم صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية
الافتراض فعلم بذلك ان المقتضى للخروج قائم وانه لولا خوف الافتراض لخرج اليهم فلما كان في عهد
عمر جمعهم على قارئ واحد واسرج المسجد فصارت هذه الهيئة وهي اجتماعهم في المسجد على امام
واحد مع الاسراج عمل لم يكونوا يعملونه من قبل فسمى بدعة لانه في اللغة يسمى بذلك وان لم يكن
بدعة شرعية لان السنة اقتضت انه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض زال بموته صلى الله
عليه وسلم فانتهى المعارض وهكذا جمع القرآن فان المانع من جمعه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن الوحى كان لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلو جمع في مصحف واحد لم يضر أو تعذر
تغييره كل وقت فلما استقر القرآن بموته صلى الله عليه وسلم واستقرت الشريعة بموته صلى الله عليه وسلم أمن
الناس من زيادة القرآن ونقصه وأمنوا من زيادة الايجاب والتحرير والمقتضى للعمل قائم بسنته صلى الله
عليه وسلم فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وان كان يسمى هذا في اللغة بدعة وصار هذا
كنفي عمر رضى الله عنه ليهود خيبر ونصارى نجران ونحوهما من أرض العرب فان النبي صلى الله عليه وسلم
عهد بذلك في مرضه فقال أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب وانما لم ينفذه ابو بكر رضى الله
عنه لاشتغاله عنه بقتال أهل الردة وبشروعه في قتال فارس والروم وكذلك عمر لم يمكنه فعله في أول
الامر لاشتغاله بقتال فارس والروم فلما تمكن من ذلك فعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وان كان
هذا الفعل قد يسمى بدعة في اللغة كما قال له اليهودى كيف تخرجنا وقد أقرنا أبو القاسم وكما جاؤا الى
على رضى الله عنه في خلافته فارادوا منه عادتهم وقالوا كتبناك بخطك فامتنع من ذلك لان ذلك الفعل
كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان محدثا بعدد ومغيرا لما فعله هو صلى الله عليه وسلم
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم خذوا العطاء ما كان عطاء فادا كان عوضا عن دين احدكم فلا تأخذوه
فلما صار الامراء يعطون مال الله لمن يعينهم على أهوائهم وان كانت معصية كان من امتنع من اخذته
متبعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان ترك قبول العطاء من اولى الامر محدثا لكن لما احدثوه
احدث لهم حكم آخر بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك دفعه الى أهبان بن صيفى سيفاً وقوله
قاتل به المشركين فاذا رأيت المسلمين قد اقتتلوا فاكسره فان كسره لسيفه وان كان محدثا حيث لم يكن
المسلمون يكسرون سيوفهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هو بامرهم صلى الله عليه وسلم
ومن هذا الباب قتال أبى بكر لما نعى الزكاة فانه وان كان بدعة لغوية من حيث ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يقاتل أحداً على ايتاء الزكاة فقط لكن لما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا

من الحديث باقية لاترد بما ذكروا ولا يحل لاحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلية وهي قوله كل بدعة ضلالة بسلب عمومها وهو ان يقال ليست كل بدعة ضلالة فان هذا الى مشاققة الرسول أقرب منه الى التاويل بل الذى يقال فيما ثبت به حسن من الاعمال التي قد يقال هي بدعة ان هذا العمل المعين مثلا ليس ببدعة فلا يندرج في الحديث أو وان اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم لدليل كذا وكذا الذى هو أقوم من العموم مع ان الجواب الاول اجود وهذا الجواب فيه نظر فان قصد التعميم المحيط بظاهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة فلا يعدل عن مقصوده بانى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فاما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة بل سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فانه قال ان الله فرض عليكم صيام رمضان وسنت لكم قيامه ولا صلاتها جماعة بدعة بل سنة في الشريعة بل قد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة في أول شهر رمضان ليأتين بل ثلاثا وصلاها أيضا في العشر الاواخر في جماعة مرات وكان الرجل اذا صلى مع الامام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة لما قام بهم حتى خشوا ان يفوتهم الفلاح رواه أهل السنن وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على ان فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال الانفراد وفي قوله هذا ترغيب لقيام شهر رمضان خلف الامام وذلك اوكد من ان يكون سنة مطابقة وكان الناس يصلونها جماعة في المسجد على عهدهم ويقرهم واقرارهم سنة منه صلى الله عليه وسلم واما قول عمر نعمت البدعة هذه فاكثر المحتجين بهذا لو أردنا ان تثبت حكما بقول عمر الذى لم يخالف فيه لقنوا قول صاحب ليس بحاجة فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن اعتقد ان قول صاحب حجة فلا يمتدحه اذا خالف الحديث فعلى التقديرين لا تصاح معارضة الحديث بقول صاحب نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول صاحب الذى لم يخالف على احدى الروايتين فيفيدهم هذا حسن تلك البدعة اما غيرها فلا ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية وذلك ان البدعة في اللغة تعنى كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق واما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعى فاذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دل عليه مطلقا ولم يعمل به الا بعد موته ككتاب الصدقة الذى خرج به أبو بكر رضى الله عنه فاذا عمل ذلك العمل بعد موته صح ان يسمى بدعة في اللغة لانه عمل مبتدأ كما أن نفس الدين الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة ويسمى محدثا في اللغة كما قالت رسل قریش للنبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين الى الحبشة ان هؤلاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاؤا بدين محدث لا يعرف ثم ذلك العمل الذى يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة وان سمي بدعة في اللغة فاللفظ البدعة في اللغة اعم من لفظ البدعة في الشريعة وقد علم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة لم يرد به كل عمل مبتدأ فان دين الاسلام بل كل

والفسوق وانواع المعاصي قد علم بذلك النهي انه قبيح محرم سواء كان بدعة أو لم يكن بدعة فاذا كان لا منكر في الدين الا ما نهى عنه بخصوصه سواء كان مفعولا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يكن وما نهى عنه فهو منكر سواء كان بدعة أو لم يكن صار وصف البدعة عديم التأثير لا يدل وجوده على القبح ولا عدمه على الحسن بل يكون قوله كل بدعة ضلالة بمنزلة قوله كل عادة ضلالة أو كل ما عليه العرب والعجم فهو ضلالة ويراد بذلك ان ما نهى عنه من ذلك فهو الضلالة وهذا تعطيل للنصوص من نوع التحريف والاحاد ليس من نوع التاويل السائغ وفيه من المفاسد اشياء احدها سقوط الاعتماد على هذا الحديث فان ما علم انه منهي عنه بخصوصه فقد علم حكمه بذلك النهي ولم يعلم فلا يندرج في هذا الحديث فلا يبقى في هذا الحديث فائدة مع كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاطب به في الجمع وي بعده من جوامع الكلم الثاني ان لفظ البدعة ومعناها يكون اسما عديم التأثير فتعاقب الحكم بهذا اللفظ او المعنى تعليق له بما لا تأثير له كسائر الصفات العديمة التأثير الثالث ان الخطاب بمثل هذا اذا لم يقصد الا الوصف الآخر وهو كونه منهيا عنه كتمان لما يجب بيانه وبيان لما لم يقصد ظاهره فان البدعة والنهي الخاص بينهما عموم وخصوص اذ ليس كل بدعة عنها نهى خاص وليس كل ما فيه نهى خاص بدعة فالتكلم باحد الاسمين واردة الآخر تلبس محض لا يسوغ للمتكلم الا أن يكون مدلسا كما لوقال الاسود وعنى به الفرس او الفرس وعنى به الاسود الرابع ان قوله كل بدعة ضلالة واياكم ومحدثات الامور اذا اراد بهذا ما فيه نهى خاص كان قد أحاطهم في معرفة المراد بهذا الحديث على ما لا يكاد يحيط به احد ولا يحيط باكثره الا خواص الامة ومثل هذا لا يجوز بحال الخامس انه اذا اريد به ما فيه النهي الخاص كان ذلك اقل مما ليس فيه نهى خاص من البدع فانك لو تأملت البدع التي نهى عنها باعيانها ولم ينه عنها باعيانها وجدت هذا الضرب هو الاكثر واللفظ العام لا يجوز ان يراد به الصور القابلة او النادرة فهذه الوجوه وغيرها توجب القطع بان هذا التاويل فاسد لا يجوز حمل الحديث عليه سواء اراد المتاويل ان يعضد التاويل بدليل صارف أو لم يعضده فان على المتاويل بيان جواز ارادة المعنى الذي حمل الحديث عليه من ذلك الحديث ثم بيان الدليل الصارف له الى ذلك وهذه الوجوه تمنع جواز ارادة هذا المعنى بالحديث فهذا الجواب عن مقامهم الاول واما مقامهم الثاني فيقال هب أن البدع تنقسم الى حسن وقبيح فهذا القدر لا يمنع ان يكون هذا الحديث دالاعنى قبح الجميع لكن أكثر ما يقال انه اذا ثبت ان هذا حسن يكون مستثنى من العموم والافلاصل أن كل بدعة ضلالة فتدبين ان الجواب عن كل ما يعارض به من انه حسن وهو بدعة اما انه ليس ببدعة واما انه مخصوص فقد سلمت دلالة الحديث وهذا الجواب انما هو عما ثبت حسنه فاما امور اخرى قد يظن أنها حسنة وليست بحسنة وامور يجوز ان تكون حسنة ويجوز ان لا تكون حسنة فلا تصاح المعارضة بها بل يجاب عنها بالجواب المركب وهو ان ثبت أن هذا حسن فلا يكون بدعة أو يكون مخصوصا وان لم يثبت انه حسن فهو داخل في العموم واذا عرفت أن الجواب عن هذه المعارضة باحد الجوابين فعلى التقديرين الدلالة

وما سكت عنه من البدع فليس يقين بل قد يكون حسنا فهذا مما قد يقول بعضهم المقام الثاني ان يقال عن بدعة سيئة وهذه البدعة حسنة لان فيها من المصلحة كبت وكبت وهؤلاء المعارضون يقولون ليست كل بدعة ضلالة * والجواب اما ان القول بان شر الامور محدثاتها وان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار والتحذير من الامور المحدثات فهذا نص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لاحد ان يدفع دلالة على ذم البدع ومن نازع في دلالة فهو مراغم واما المعارضات فالجواب عنها باحد جوابين اما ان يقال ما ثبت حسنة فليس من البدع فيبقى العموم محفوظا لا خصوص فيه واما ان يقال ما ثبت حسنة فهو مخصوص من هذا العموم فيبقى العموم محفوظا لا خصوص فيه واما ان يقال ما ثبت حسنة فهو مخصوص من العموم والعام المخصوص دليل في ما عدا صورة التخصيص فمن اعتقد ان بعض البدع مخصوص من هذا العموم احتاج الى دليل يصاح للتخصيص والا كان ذلك العموم اللفظي المعنوي موجبا للنهي ثم المخصص هو الادلة الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع نصا واستنباطا واما عادة بعض البلاد أو أكثرها وقول كثير من العلماء أو العباد أو أكثرهم ونحو ذلك فليس مما يصح ان يكون معارضا لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعارض به ومن اعتقد ان أكثر هذه العادات المخالفة للسنة مجمع عليها بناء على ان الامة أقرها ولم تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد فانه لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثه المخالفة للسنة وما يجوز دعوى اجماع بعمل بلد أو بلاد من بلدان المسلمين فكيف بعمل طوائف منهم واذا كان أكثر أهل العلم لم يتمدوا على عمل علماء أهل المدينة واجماعهم في عصر مالك بل رأوا السنة حجة عليهم كما هي حجة على غيرهم مع ما اوتوه من العلم والايمان فكيف يعتمد المؤمن العالم على عادات أكثر من اعتادها عامة أو من قيده العامة أو قوم مترسبون بالجهالة لم يرسخوا في العلم ولا يعدون من أولى الامر ولا يصلحون للشورى ولعلمهم لم يتم ايمانهم بالله ورسوله او قد دخل معهم فيها بحكم العادة قوم من أهل الفضل عن غير روية او لشبهة احسن أحوالهم فيها ان يكونوا فيها بمنزلة المجتهدين من الأئمة والصدّيقين والاحتجاج بمثل هذه الحجج والجواب عنها معلوم انه ليس طريقة أهل العلم لكن لكثرة الجهالة قد يستند الى مثاها خلق كثير من الناس حتى من المتسبين الى العلم والدين وقد يبدى ذو العلم والدين له فيها مستندا آخر من الادلة الشرعية والله يعلم ان قوله بها وعلمه هاليس مستندا آخر من الادلة الشرعية وان كان شبهة وانما هو مستند الى أمور ليست مأخوذة عن الله ورسوله من أنواع المستندات التي يستند اليها غير أولى العلم والايمان وانما يذكر الحجة الشرعية خجة على غيره ودفع لمن يناظره والمجادلة المحموده انما هي ابداء المسدرك واطهار الحجج التي هي مستند الاقوال والاعمال واما اظهار الاعتماد على ما ليس هو المعتمد في القول والعمل فنوع من النفاق في العلم والجدل والكلام والعمل وايضا لا يجوز حمل قوله كل بدعة ضلالة على البدعة التي نهى عنها بخصوصها لان هذا تعطيل لفائدة هذا الحديث فان ما نهى عنه من الكفر

الحرام فاطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال فاطاعوهم فمن اطاع احدا في دين الله لم يأذن به الله من تحاميل
أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يحق الأمر الناهي أيضا نصيب ثم قد يكون
كل منهما معفو عنه لاجتهاده ومثالا أيضا على الاجتهاد فيتحلف عنه الذم لنفوات شرطه أو لوجود مانعه
وان كان المقتضى له قائما ويحقق الذم من يبين له الحق فيتركه أو من قصر في طلبه حتى لم يتبين له أو اعرض
عن طلب معرفته لهوى أو لكسل أو نحو ذلك وأيضا فان الله عاب على المشركين شيئين أحدهما انهم اشركوا
به ما لم ينزل به سلطانا والثاني تحريمهم ما لم يحرمه الله عليهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيما رواه مسلم عن
عياض بن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اني جعلت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين
وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا قال سبحانه سيقول الذين اشركوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء فجمعوا بين الشرك والتحريم والشرك يدخل فيه كل
عبادة لم يأذن الله بها فان المشركين يزعمون أن عبادتهم اما واجبة واما مستحبة وان فعلها خير من تركها
ثم منهم من عبد غير الله ليتقرب بعبادته الى الله ومنهم من ابتدع ديناً عبدوا به الله في زعمهم كما حدثه النصارى
من انواع العبادات المحدثه واصل الضلال في اهل الارض انما نشأ من هذين اما اتخاذ دين لم يشرعه
الله أو تحريم ما لم يحرمه الله ولهذا كان الاصل الذي بنى الامام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبتهم أن أعمال
الخلق تنقسم الى عبادات يتخذونها ديناً ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة الى عادات ينتفعون
بها في معاشهم فالاصل في العبادات ان لا يشرع منها الا ما شرعه الله والاصل في العادات ان لا يحظر
منها الا ما حظره الله وهذه المواسم المحدثه انما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذي يتقرب به كما
سند كره ان ساء الله واعلم أن هذه القاعدة وهي الاستدلال بكون الشيء بدعة على كراهة قاعدة عامة عظيمة وتامها
بالجواب عما يعارضها وذلك ان من الناس من يقول البدع تنقسم الى قسمين حسنة وقييحة بدليل قول
عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح نعمت البدعة هذه وبدليل أشياء من الاقوال والافعال أحدثت
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست بمكروهة أو هي حسنة للدلالة الدالة على ذلك من الاجماع
أو القياس وربما يضم الى ذلك من لم يحكم أصول العلم مما عليه كثير من الناس من كثير من العادات
ونحوها فيجعل هذا أيضا من الدلائل على حسن بعض البدع اما بان يجعل ما اعتاده وهو من يعرفه
اجماعا وان لم يعلم قول سائر المسلمين في ذلك أو يستنكر تركه لما اعتاده بمثابة من اذا قيل لهم تعالوا
الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا وما أكثر ما فندحت بعض من يتميز من
المتنسبين الى علم أو عبادة بحجج ليست من اصول العلم التي يعتمد في الدين عليها والغرض ان هذه
النصوص الدالة على ذم البدع معارضة بما دل على حسن بعض البدع اما من الادلة الشرعية الصحيحة
أو من حجج بعض الناس التي يعتمد عليها بعض الجاهلين أو المتأولين في الجملة ثم هؤلاء المعارضون
لهم هنا مقامان أحدهما ان يقولوا اذا ثبت ان بعض البدع حسن وبعضها قبيح فالقبيح ما نهانا عنه الشارع

عياش يعني الرجل وقد اختلف الاصحاب هل يدل مثل ذلك على مذهبه على وجهين وعللوا ذلك بأنهما يومان أعظمهما الكفار فيكون تخصيصهما بالصوم دون غيرهما موافقة لهم في تعظيمهما فكره كيوم السبت قال الامام ابو محمد المقدسي وعلى قياس هذا كل عيد للكفار او يوم يفردونه بالتعظيم وقد يقال يكره صوم يوم النيروز والمهرجان ونحوهما من الايام العجيبة التي لا تعرف بحساب العرب بخلاف ما جاء في الحديثين من يوم السبت والاحد لانه اذا قصد صوم مثل هذه الايام العجيبة أو الجاهلية كانت ذريعة الى اقامة شعار هذه الايام واحياء أمرها واطهار حالها بخلاف السبت والاحد فأنهما من حساب المسلمين فليس في صومهما منسدة فيكون استحباب صوم أعيادهم المعروفة بالحساب العربي الاسلامي مع كراهة الاعياد المعروفة بالحساب الجاهلي العجبي توفيقا بين الآثار والله اعلم

فصل في المنكرات

ومن المنكرات في هذا الباب سائر الاعياد والمواسم المبتدعة فأنهما من المنكرات المنكر وهات سواء باغت الكراهة التحريم او لم تبلغه وذلك ان أعياد أهل الكتاب والاعاجم نهى عنها السيبيين أحدهما ان فيها مشابهة للكفار والثاني انها من البدع فما أحدث من المواسم والاعياد فهو منكر وان لم يكن فيه مشابهة لأهل الكتاب لوجهين أحدهما ان ذلك داخل في مسمى البدع والمحدثات فيدخل فيمار وادمسلم في صحيحه عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلاصوته واشتد غضبه حتي كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساءكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خيرا الحديث كتاب الله وخيرا الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وفي رواية للنسائي وكل ضلالة في النار وفيما رواه أيضا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وفي لفظ في الصحيحين من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه من يشك منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والاجماع مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها ايضا قال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فمن نذب الى شئ يتقرب به الى الله أو أوجهه بقوله او فعله من غير ان يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله من اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرع من الدين ما لم يأذن به الله نعم قد يكون متأولا في هذا الشرع فيففر له لاجل تأوله اذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعني عن الخطيئ ويثاب أيضا على اجتهاده لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما لا يجوز اتباع سائر من قال او عمل قول او عملا قد علم الصواب في خلافه وان كان القائل أو الفاعل مأجورا أو معذورا أو قد قال سبحانه اتخذوا أجبارهم وورهبانهم اربابا من دون الله الى قوله عما يشركون قال عدى بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم

وحملوه على الافراد كصوم يوم الجمعة وشهر رجب وقد روى أحمد في المسند من حديث ابن هبيرة حدثنا موسى بن وردان عن عبيد الاعرج حدثني جدتي يعني الصماء انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت وهو يتغدى فقال تعالى تغدى فقالت انى صائمة فقال لها أصمت أمس قالت لا قال كلنى فان يوم السبت لك ولا عليك وهذا وان كان اسناده ضعيفا لكن يدل عليه سائر الاحاديث وعلى هذا فيكون قوله لا تصوموا يوم السبت أى لا تقصدوا صيامه بعينه الا فى الفرض فان الرجل يقصد صومه بعينه بحيث لو لم يجب عليه الا صوم يوم السبت كمن أسلم ولم يبق من الشهر الا يوم السبت فانه يصومه وحده وايضا فقصد بعينه فى الفرض لا يكره بخلاف قصده بعينه فى النفل فانه يكره ولا تزول الكراهة الا بضم غيره اليه أو موافقته عادة فالنزىل للكراهة فى الفرض مجرد كونه فرضا لا للمقارنة بينه وبين غيره واما فى النفل فالنزىل للكراهة ضم غيره اليه او موافقته عادة ونحو ذلك وقد يقال الاستثناء أخرج بعض صور الرخصة واخرج الباقي بالدليل ثم اختلف هؤلاء فى تعديل الكراهة فغلها ابن عقيل بانه يوم تمسك فيه اليهود ويخصونه بالامساك وهو ترك العمل فيه والصائم فى مظنة ترك العمل فيصير صومه تشبها بهم وهذه العلة منتفية فى الاحد وعلة طائفة من الاصحاب بانه يوم عيد لاهل الكتاب يعظمونه فقصد بالصوم دون غيره يكون تعظيما له فكره ذلك كما كره افراد عاشوراء بالتعظيم لما عظمه اهل الكتاب وافراد رجب ايضا لما عظمه المشركون وهذا التعليل قد يعارض بيوم الاحد فانه يوم عيد النصرى فانه صلى الله عليه وسلم قال اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى وقد يقال اذا كان يوم عيد فخالفهم فيه بالصوم لا بالفطر ويدل على ذلك ما رواه كريب مولى ابن عباس قال أرسلنى ابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سامة أسأله اى الايام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر صياما لها قالت كان يصوم يوم السبت ويوم الاحد أكثر ما يصوم من الايام ويقولانها يوم ما عيد للمشركين فانا أحب أن أخالفهم رواه احمد وابن ابى عاصم والنسائى وصححه بعض الحفاظ وهذا نص فى استحباب صوم يوم عيدهم لاجل قصد مخالفتهم وقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذى وقال حديث حسن قال وقد روى ابن مهدي هذا الحديث عن سفيان ولم يرفعه وهذان الحديثان ليسا بحجة على من كره صوم يوم السبت وحده وعلى ذلك بانهم يتركون فيه العمل والصوم مظنة ذلك فانه اذا صام السبت والاحد زال الافراد المكروه وحصلت مخالفة بصوم يوم فطرهم

فصل

واما النيروز والمهرجان ونحوهما من اعياد المشركين فمن لم يكره صوم يوم السبت من الاصحاب وغيرهم قد لا يكره صوم ذلك اليوم بل ربما يستحبه لاجل مخالفتهم وكرهها اكثر الاصحاب وقد قال احمد فى رواية عبد الله حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن انس والحسن كرها صوم يوم النيروز والمهرجان قال ابى ابان بن

اولا وذلك انه روى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن بشر السلمي عن اخته ام هانئ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم وان لم يجد احدكم الا الحاء غلب او عود شجرة وفي لفظ الاعود غلب اولحاء شجرة فليمضغه رواد اهل السنن الاربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد رواه النسائي من وجوه اخرى عن خالد وعن عبد الله بن بسر ورواه ايضا عن الصماء عن عائشة وقد اختلف الاصحاب وسائر العلماء فيه قال ابو بكر الاثرم وسمعت ابا عبد الله يسال عن صيام يوم السبت يتنفر دبه فقال اما عيام يوم السبت يتنفر به فقد جاء في ذلك الحديث حديث الصماء يعني حديث ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن بسر عن اخته الصماء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم قال ابو عبد الله فكان يحيى بن سعيد يتيقه وأبى ان يحدثني به وقد كان سمعه من ثور قال فسمعت من ابي عاصم قال الاثرم وحجة ابي عبد الله في الرخصة في صوم يوم السبت ان الاحاديث كلها مخالفة لحديث عبد الله بن بسر منها حديث أم سلمة حين سئلت أى الايام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر صيا ماها فقالت يوم السبت والاحد منها حديث جويرية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يوم الجمعة أصمت أمس تريد ان تصومي غدا فالغد هو يوم السبت وحديث ابي هريرة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة الا بيوم قبله او بيوم بعده فالبيوم الذى بعده هو يوم السبت ومنها انه كان يصوم شعبان كله وفيه يوم السبت ومنها انه امر بصوم المحرم وفيه يوم السبت وقال من صام رمضان وأتبعه بست من شوال وقد يكون السبت فيها وامر بصيام البيض وقد يكون فيها السبت ومثل هذا كثير فهذا الاثرم فهم من كلام ابي عبد الله انه توقف عن الاخذ بالحديث وانه رخص في صومه حيث ذكر الحديث الذى يحتاج به في الكراهة وذكر ان الامام في علل حديث يحيى بن سعيد كان يتيقه وأبى ان يحدث به فهذا تضعيف للحديث واحتج الاثرم بما دل من النصوص المتواترة على صوم يوم السبت ولا يقال يحمل النهى على افراده لان لفظة لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم والاستثناء دليل التناول وهذا يقتضى ان الحديث عم صومه على كل وجه والا لو اريد افراده لما دخل الصوم المفروض ليستثنى فانه لا افراد فيه فاستثناءه دليل على دخول غيره بخلاف يوم الجمعة فانه بين انه انما نهى عن افراده وعلى هذا فيكون الحديث اما شاذ غير محفوظ واما منسوخا وهذا طريقة قدماء اصحاب أخذ الذين صحبوه كالاثرم وابى داود وقال ابو داود حديث منسوخ وذكر ابو داود باسناده عن ابن شهاب انه كان اذا ذكر له انه نهى عن صيام يوم السبت يقول ابن شهاب هذا حديث حمصى وعن الاوزاعي قال ما زلت له كاتما حتى رأيت ان تنشر بعدى عن حديث ابن بسر في صوم يوم السبت قال ابو داود قال مالك هذا كذب واكثر اهل العلم على عدم الكراهة واما اكثر اصحابنا ففهموا من كلام أحمد والاخذ بالحديث وحمه على الافراد فانه سئل عن عين الحكم فاجاب بالحديث وجوابه بالحديث يقتضى اتباعه وما ذكر عن يحيى انما هو بيان ما وقع فيه من الشبهة وهؤلاء بكونهم افراد بالصوم عملا بهذا الحديث بجودة اسناده وذلك موجب للعمل به

أعياد الكفار ويدل على ذلك ايضا مارواه ابو داود في سننه حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن ابى ربحانة عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الاعراب قال ابو داود غندر وقفه على ابن عباس وروى ابو بكر بن ابى شيبة في تفسيره حدثنا وكيع عن اصحابه عن عوف الاعرابي عن ابى ربحانة قال سئل ابن عباس عن معاقرة الاعراب فقال انى اخاف ان تكون مما اهل لغير الله به وروى ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن دحيم في تفسيره حدثنا ابى حدثنا سعيد بن منصور عن ربه عن عبد الله بن الجارود قال سمعت الجارود قال كان من بنى رباح رجل يقال له ابن وثيل شاعرا نافرا بالفرزدق غالبا الشاعر بماء بظهر الكوفة على ان يعقر هذا مائة من ابله وهذا مائة من ابله اذا وردت الماء فلما وردت الابل المذء قاما اليها باسيا فهما فجعلتا ينسفان عراقبها فخرج الناس على الحر والبغال يريدون اللحم وعلى رضى الله عنه بالكوفة فخرج على بغاة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو ينادى يا ايها الناس لا تأكلوا من لحومها فانها اهل بها لغير الله فهو لاء الصحابة قد فسروا ما قصد بذبحه غير الله داخلا فيما اهل به لغير الله فعلمت ان الآية لم تقتصر بها على اللفظ باسم غير الله بل ما قصد به التقرب الى غير الله فهو كذلك وكذلك تفاسير التابعين على ان ماذبح على النصب هو ماذبح لغير الله وروينا في تفسير مجاهد المشهور عنه الصحيح من رواية ابن ابى نجيح في قوله تعالى وما ذبح على النصب قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها اهل الجاهلية ويبدلونها اذا شاؤا بحجارة اعجب اليهم منها وروى ابن ابى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن اشعث عن الحسن وما ذبح على النصب قال هو بمنزلة ماذبح لغير الله وفي تفسير قتادة المشهور عنه واما ماذبح على النصب فالنصب حجارة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فهي الله عن ذلك وفي تفسير على بن ابى طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون ويهلون عليها فان قيل فقد نقل اسماعيل بن سعيد قال سألت احمد عما يقرب لآلهتهم يذبحه رجل مسلم قال لا بأس به وقيل انما قال أحمد ذلك لان المسلم اذا ذبحه سمي الله عليه ولم يقصد ذبحه لغير الله ولا يسمى غيره بل يقصد منه ما قصده صاحب الشاة فتصير نية صاحب الشاة لآلهته والذابح هو المؤثر في الذبح بدليل ان المسلم لو وكل كتابيا في ذبيحة فسمى عليها غير الله لم تسبح ولهذا لما كان الذبح عبادة في نفسه كره على رضى الله عنه وغير واحد من اهل العالم منهم احمد في احدى الروايتين عنه ان يوكل المسلم في ذبح نسيكته كتابيا لان نفس الذبح عبادة بدنية مثل الصلاة ولهذا يختص بمكان وزمان ونحو ذلك بخلاف تفرقة اللحم فانه عبادة مالية ولهذا اختلف العلماء في وجوب تخصيص اهل الحرم بالحوم الهدايا المذبوحة في الحرم وان كان الصحيح تخصيصهم بها وهذا بخلاف الصدقة فانها عبادة مالية محضة فانها قد لا يؤثر فيها نية الوكيل على ان هذه المسئلة منصوصة عن احمد محتملة فهذا تمام الكلام في ذبائحهم لاعيادهم

فصل

فاما صوم أيام أعياد الكفار مفردة بالصوم كصوم يوم النيروز والمهرجان وهما يومان يعظمهما الفرس فقد اختلف فيهما لاجل أن المخالفة تحصل بالصوم او بترك تخصيصه بعمل أصلا فذكر صوم يوم السبت

أعيادهم وإنما يكره المذبح في البقعة الممينة لكونها محل شرك فاذا وقع الذبح حقيقة لغير الله كانت حقيقة التحريم قد وجدت فيه والقول الثاني ان الذبح على النصب أى لاجل النصب كما يقال أو لم على زنب بخبز ولحم وأطعم فلان على ولده وذبح فلان على ولده ونحو ذلك ومنه قوله تعالى (ولتكبروا الله على ما هداكم) وهذا ظاهر على قول من يجعل النصب نفس الاصنام ولا منافاة بين كرم الذبح لها وبين كونها كانت تلوث بالدم وعلى هذا القول فالدلالة ظاهرة واختلاف هذين القولين في قوله تعالى على النصب نظير الاختلاف في قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم يذكر اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فانه قد قيل المراد بذكر اسم الله عليها اذا كانت حاضرة وقيل ليعم ذكره لاجل ما في مغيبها وشهودها بمنزلة قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وفي الحقيقة مآل القولين الى شئ واحد في قوله تعالى وما ذبح على النصب كما قد أومأنا اليه وفيها قول ثالث ضعيف ان المعنى على اسم النصب وهذا ضعيف لان هذا المعنى حاصل من قوله تعالى وما اهل لغير الله به فيكون تكريرا لكن اللفظ يحتمله كما روى البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لقي زيدا بن عمرو بن نفيل بأسفل بدمح وذلك قبل ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فقدم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم فابى ان ياكل منها ثم قال زيد اني لا آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه وفي رواية له وان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكأثم ثم انتم تذبحونها على غير اسم الله انكار لذلك واعظما له وايضا فان قوله تعالى وما اهل لغير الله به ظاهره انه ماذبح لغير الله مثل ان يقال هذا ذبيحة لكندا واذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به او لم يلفظ وتحريم هذا اظهر من تحريم ماذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما ان ماذبحناه متقربين به الى الله سبحانه كان اركى واعظم ماذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فان عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له اعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور فاذا حرم ما قيل له فيه باسم المسيح والزهرة فلان يحرم ما قيل فيه لاجل المسيح والزهرة او قصد به ذلك اولى وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ماذبح باسم غير الله ولم يحرم ماذبح لغير الله كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم بل لو قيل بالعكس لكان اوجه فان العبادة لغير الله اعظم كفرا من الاستعانة بغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا به اليه لحرم وان قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الامة الذين يتقربون الى الكواكب بالذبح والنحو ونحو ذلك وان كان هؤلاء مرتدين لا تباع ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله وغيرها من الذبح للجن ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبائح الجن ويدل على المسألة ما قدمناه من ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الذبح في مواضع الاصنام ومواضع

ليعبد من دون الله وأما احتجاج أحمد على هذه المسئلة بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) حيث اشترط التسمية في ذبيحة المسلم هل تشتط في ذبيحة الكتابي على روايتين وان كان الخلال هنا قد ذكر عدم الاشتراط فاحتجاجة بهذه الآية يخرج على إحدى الروايتين فلما تعارض العموم الخاص وهو قوله وما أهل به لغير الله والعموم المبيح وهو قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم اختلف العلماء في ذلك والاشبه بالكتاب والسنة ما دل عليه أكثر كلام أحد من الحظر وان كان من متأخري أصحابنا من لا يذكر هذه الرواية محال وذلك لان عموم قوله وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب عموم محفوظ لم يخص منه صورة بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب فانه يشترط له الذكاة المبيحة فلو ذكر الكتابي في غير المحل المشروع لم يسبح ذكاته ولان غاية الكتابي ان تكون ذكاته كالاسم والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يسبح وان كان يكفر بذلك فكذلك الذمي لان قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم سواء وهم وان كانوا يستحلون هذا ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه محل لنا ولانه قد تعارض دليلان حاطر ومبيح فالحظر أولى ولان الذبح لغير الله او باسم غيره قد علمنا يقينا انه ليس من دين الانبياء عليهم السلام فهو من الشرك الذي أحدثوه فاللعن الذي لاجله حلت ذبائحهم منتف في هذا والله تعالى أعلم فان قيل اما اذا سموا عليه غير الله بان يقولوا باسم المسيح ونحوه فتحريمه ظاهر أما اذا لم يسموا احدا ولكن قصدوا الذبح للمسيح أولئكوكب ونحوهما فتواجه تحريمه قيل قد تقدمت الاشارة الى ذلك وهو ان الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب وذلك يقتضي تحريمه وان كان ذابحه كتابيا لانه لو كان التحريم لكونه وثنيا لم يكن فرق بين ذبحه على النصب وغيره لانه لما اباح لنا طعام اهل الكتاب دل على ان طعام المشركين حرام فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة وايضا فانه ذكر تحريم ما ذبح على النصب وما أهل به لغير الله وقد دخل فيما أهل به لغير الله ما أهل به اهل الكتاب لغير الله فكذلك كل ما ذبح على النصب فاذا ذبح الكتابي على ما قد نصبوه من التماثيل في الكنائس فهو مذبح على النصب ومعلوم ان حكم ذلك لا يختلف بحضور الوثن وغيبته فانما حرم لانه قصد بذبحه عبادة الوثن وتعظيمه وهذه الانصاب قد قيل هي من الاصنام وقيل هي غير الاصنام * قالوا كان حول البيت ثلاثمائة وستون حجرا كان اهل الجاهلية يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها ويذبحون عليها وكانوا اذا شاؤا أبدلوا هذه الحجارة بحجارة هي أعجب اليهم منها ويدل على ذلك قول أبي ذر في حديث اسلامه حتى صرت كالنصب الاحمر يريد انه كان يصير أحمر من تلونه بالدم وفي قوله وما ذبح على النصب قولان احدهما ان نفس الذبح كان يكون عليها كما ذكرناه فيكون ذبحهم عليها تقربا الى الاصنام وهذا على قول من يجعلها غير الاصنام فيكون الذبح عليها لاجل ان المذبح عليها مذبح للاصنام أو مذبح لها وذلك يقتضي تحريم كل ما ذبح لغير الله ولان الذبح في البقعة لا تأثير له الا من جهة الذبح لغير الله كما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم من الذبح في مواضع أصنام المشركين ومواقع

الادلة كالجملع بين الاختين المملوكتين ونحوه هل يسمى حراما على روايتين كالروايتين عنده في ان ما اختلف في وجوبه هل يسمى فرضا على روايتين ومن اصحابنا من اطلق الكراهة ولم يفسر هل أراد التحريم أو التنزيه قال أبو الحسن الآمدى ماذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر فقال احمدما أهل به لغير الله أكرهه كل ذبح لغير الله والكنائس وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه فاما ماذبح أهل الكتاب على معنى الذكاة فلا بأس به وكذلك مذهب مالك يكره ماذبحه النصارى لكنائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب أو أسماء من مضى من أجدادهم ورهبانهم وفي المدونة وكره مالك أكل ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم أو لاعيادهم من غير تحريم وتناول قول الله أو فسقا أهل لغير الله به قال ابن القاسم وكذلك ماذبحوا وسماوا عليه اسم المسيح وهو بمنزلة ماذبحوا لكنائسهم ولا أرى ان يؤكل ونقلت الرخصة في ذبائح الاعياد ونحوها عن طائفة من الصحابة رضى الله عنهم وهذا فيما اذا لم يسموا عليه غير الله فان سموا غير الله في عيدهم أو غير عيدهم حرم في أشهر الروايتين وهو مذهب الجمهور وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد وهو قول على بن أبى طالب وغيره من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة والرباض بن سارية وعبادة بن الصامت وهو قول اكثر فقهاء الشام وغيرهم والثانية لا يحرم وان سموا غير الله وهذا قول عطاء ومجاهد ومكحول والاوزاى والليث نقل ابن منصور انه قيل لابی عبد الله سئل سفیان عن رجل ذبح ولم يذكر اسم الله متعمدا قال أرى ان لا يؤكل قيل له أرايت ان كان يرى انه يجزى عنه فلم يذكر قال أرى ان لا يؤكل قال أحمد المسلم فيه اسم الله يأكل ولكن قد اساء في تركه التسمية * النصارى ليس يذكرون غير اسم الله ووجه الاختلاف ان هذا قد دخل في عموم قوله عز وجل وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وفي عموم قوله تعالى وما أهل لغير الله به لان هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله يقال أهلت بكذا اذا تكلمت به وان كان أصله الكلام الرفيع فان الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه وانما لما كانت عادتهم رفع الصوت في الاصل خرج الكلام على ذلك فيكون المعنى وما تكلم به لغير الله وما نطق به لغير الله ومعلوم ان ما حرم ان يجعل غير الله مسمى فكذلك منوا اذ هذا مثل النيات في العبادات فان اللفظ بها وان كان بلغ لكن الاصل القصد ألا ترى ان المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال اذبحه لله أو سكت فان العبرة بالنية وتسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله فانه يسمى على ما يقصد به اللحم واما القربان فيذبح لله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر لقوله تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين والكافرون يصنعون بألهمهم كذلك فتارة يسمون آلهمهم على الذبائح وتارة يذبحونها قربانا اليهم وتارة يجمعون بينهما وكل ذلك والله أعلم يدخل فيما أهل لغير الله به فان من سمى غير الله فقد أهل به لغير الله فقوله باسم كذا استعانة به وقوله لكذا عبادة له ولهذا جمع الله بينهما في قوله اياك نعبد واياك نستعين وايضا فانه سبحانه حرم ماذبح على النصب وهى كل ما ينصب

عن عائشة وعبد الله بن عمر قال الميموني سألت أبا عبد الله عن ذبائح أهل الكتاب فقال إن كانوا مما يذبحون إكنائسهم فقال يدعون التسمية على عمد إنما يذبحون للمسيح وذكر أيضا أنه سأل أبا عبد الله عن ذبح من أهل الكتاب ولم يسم فقال إن كان مما يذبحون إكنائسهم فقال إن عمر يترك التسمية فيه على عمد إنما يذبحون للمسيح وقد كرهه ابن عمر إلا أن أبا الدرداء تناول أن طعامهم حلوا أكثر ما رأيت منه الكراهة لا كل ما ذبحوا إكنائسهم وقال أيضا سألت أبا عبد الله عن ذبيحة المرأة من أهل الكتاب ولم تسم قال إن كانت ناسية فلا بأس وإن كانت مما يذبحون إكنائسهم فقد يدعون التسمية فيه على عمد وقال المروزي قرئ على أبي عبد الله وما ذبح على النصب قال على الأصنام وقال كل شيء ذبح على الأصنام لا يؤكل وقال حنبل قال عمي أكره كل ما ذبح لغير الله والكنائس إذا ذبح لها وما ذبح أهل الكتاب على معنى الذكاة فلا بأس به وما ذبح يريد به غير الله فلا آكله وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه وروى أحمد عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي سألت ميمونا عما ذبحت النصارى لأعيادهم وكنائسهم فكره أكله قل حنبل سمعت أبا عبد الله قال لا يؤكل لأنه أهل لغير الله به ويؤكل ماسوى ذلك وإنما أحل الله عز وجل من طعامهم ما ذكر اسم الله عليه قال الله عز وجل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقال (وما أهل به لغير الله) فكل وما ذبح لغير الله فلا يؤكل لحمه وروى حنبل عن عطاء في ذبيحة النصارى يقول اسم المسيح قال كل قال حنبل سمعت أبا عبد الله يسأل عن ذلك قال لا تأكل قال الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فلا أرى هذا ذكاة وما أهل لغير الله به فاحتجاج أبي عبد الله بالآية دليل على أن الكراهة عنده كراهة تحريم وهذا قول عامة قدماء الأصحاب قال الخلال في باب التوقي لا كل ما ذبحت النصارى وأهل الكتاب لأعيادهم ذبائح أهل الكتاب إكنائسهم كل من روى عن أبي عبد الله روى الكراهة فيه وهي متفرقة في هذه الأبواب وما قاله حنبل في هاتين المسئلتين ذكر عن أبي عبد الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وما أهل لغير الله به فأنما الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله به وأما التسمية وتركها فقد روى عنه جميع أصحابه أنه لا بأس بكل ما لم يسموا عليه إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وكنائسهم فأنه في معنى قوله وما أهل لغير الله به وعند أبي عبد الله أن تفسير ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه إنما عني به الميتة وقد أخرجه في موضعه * مقصود الخلال أن نهى أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط فإن ذلك عنده لا يحرم وإنما كان لأنهم ذبحوا لغير الله سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدهم الذبح لغير الله لكن قال ابن أبي موسى ويحجب أكل كل ما ذبحه اليهود والنصارى إكنائسهم وأعيادهم ولا يؤكل ما ذبح للزهرة والرواية الثانية أن ذلك مكروه غير محرم وهذا الذي ذكره القاضي وغيره وأخذوا ذلك فيما أظنه مما نقله عبد الله بن أحمد قال سألت أبي عمر عن ذبح للزهرة قال لا يمجني قلت أحرام أكله قال لا أقول حراما ولكن لا يمجني وذلك أنه أثبت الكراهة دون التحريم ويمكن أن يقال إنما توقف عن تسميته محرما لأن ما اختلف في تحريمه وتعارضت فيه

والشرب واللباس فاصول احمد وغيره تقتضى كراهته لكن كراهة تحريم كمنهيب مالك او كراهة تنزيه
والاشبه انه كراهة تحريم كسائر النظائر عنده فانه لا يجوز بيع الخبز والاحم والرياحنين للفساق الذين
يشربون عليها الخمر ولان هذه الاعانة قد تفضى الى اظهار الدين وكثرة اجتماع الناس لعيدهم وطهوره
وهذا اعظم من اعانة شخص معين لكن من يقول هذا مكروه كراهة تنزيه يقول هذا متردد بين بيع
العصير وبيع الخنزير وليس هذا مثل بيعهم العصير الذى يتخذونه خمرانا لما يحرم علينا ان نبيع
الكفار ما كان محرم الجنس كالخمر والخنزير فاما ما يباح فى حال دون حال كالحرير ونحوه فيجوز بيعه
لهم وايضا فالطعام واللباس الذى يتناعون فى عيدهم ليس محرما فى نفسه وانما الاعمال التى يعملونها بها
كانت شعار الكفر نهى عنها المسلم لما فيها من مفسدة انجراره الى بعض فروع الكفر فاما الكافر فهى
لاتزيد من الفساد اكثر مما فيه لان نفس حقيقة الكفر قائمة به فدلالة الكفر وعلامته اذا كانت
مباحة لم يكن فيها كفر زائد كما لو باعهم المسلم ثياب الغيار التى يتميزون بها عن المسلمين بخلاف شرب
الخمر واكل الخنزير فانه زيادة فى الكفر نعم لو باعهم المسلم ما يتخذونه صايبا او شعائين ونحو ذلك فهنا
قد باعهم ما يستعينون به على نفس المعصية ومن نصر التحريم يحجب عن هذا بان شعار الكفر وعلامته
ودلالته على وجهين وجه نؤمر به فى دار الاسلام وهو ما فيه اذلال الكفر وصغاره فهذا اذا ابتاعوه
كان ذلك اعانة على ما امر الله به ورسوله فانحن نأمرهم بلبس الغيار ووجه تنهى عنه وهو ما فيه اعلاء
الكفر واظهار له كرفع اصواتهم بكتابهم واظهار الشعائين وبيع النواقيس لهم وبيع الرايات والاولوية لهم
ونحو ذلك فهنا من شعائر الكفر التى نحن مأمورون بازالتها والمنع منها فى ديار الاسلام فلا يجوز اعانتهم
عليها واما قبول الهدية منهم يوم عيدهم فقد قدمناعن على بن ابي طالب رضى الله عنه انه اتى بهدية النيروز
فقبلها وروى ابن ابي شيبة فى المصنف حدثنا جرير عن قابوس عن ابيه أن امرأة سالت عائشة قالت
ان لنا أطارا من المجوس وانه يكون لهم العيد فيهدون لنا فقال اما ما ذبح لك اليوم فلا تأكلوا ولكن
كلوا من أشجارهم وقال حدثنا وكيع عن الحكم بن حكيم عن امه عن ابي برزة انه كان له سكان
مجوس فكانوا يهدون له فى النيروز والمهرجان فكان يقول لاهله ما كان من فاكهة فكلوه وما كان
من غير ذلك فردوه فهذا كله يدل على انه لا تأثير للعيد فى المنع من قبول هديتهم بل حكمها فى العيد
وغيره سواء لانه ليس فى ذلك اعانة لهم على شعائر كفرهم لكن قبول هدية الكفار من اهل الحرب
واهل الذمة مسئلة مستقلة بنفسها فيها خلاف وتفصيل ايس هذا موضعه وانما يجوز ان يؤكل من طعام
اهل الكتاب فى عيدهم بائنا او هدية او غير ذلك مما لم يذبحوه للعيد فاما ذبائح المجوس فالحكم فيها معلوم
فانها حرام عند العامة وأما ما ذبحه اهل الكتاب لاعيادهم وما يتقربون بذبحه الى غير الله نظير ما يذبح
المسلمون هداياهم وضحاياهم متقربين به الى الله تعالى وذلك مثل ما يذبحون للمسيح والزهرة فعن احمد
فيها روايتان اشهرهما فى نصوصه انه لا يباح اكله وانه لم يسم عليه غير الله تعالى ونقل النهى عن ذلك

أحمد في اجرة حمال الخمر ومن طن أنها ترد على البازل المستاجر لأنها مقبوضة بعقد فاسد فيجب ردها عليه كالمقبوض بالربا ونحوه من العقود الفاسدة فيقال له المقبوض بالعقد الفاسد يجب فيه التراد من الجانبين فيرد كل منهما على الآخر ما قبضه منه كما في تقابض الربا عند من يقول المقبوض بالعقد الفاسد لا يملك كما هو المعروف من مذهب الشافعي وأحمد فاما إذا تلف المقبوض عند القابض فإنه لا يستحق استرجاع عوضه مطلقا وحينئذ فيقال وإن كان ظاهر القياس يوجب ردها بناء على أنها مقبوضة بعقد فاسد فالزاني ومستمتع الفناء والنوح قد بذلوا هذا المال عن طيب نفوسهم واستوفوا العوض المحرم والتحريم الذي فيه ليس لحقهم وإنما هو لحق الله تعالى وقد فانت هذه المنفعة بالقبض والاصول تقتضي أنه إذا رد أحد العوضين رد الآخر فإذا تعذر على المستاجر رد المنفعة لم يرد عليه المال وأيضا فإن هذا الذي استوفيت منفعته عليه ضرر في أحد منفعتيه وعوضها جميعا منه بخلاف مالوكان العوض خيرا أو ميتة فإن ذلك لا ضرر عليه في فواتها فإنها لو كانت باقية أتلفناها عليه ومنفعة الفناء والنوح لو لم تفت لتوفرت عليه بحيث كان يتمكن من صرف تلك المنفعة في امر آخر أعني من صرف القوة التي عمل بها فيقال على هذا فينبغي أن يقضوا بها إذا طالب بقبضها قبل نحن لأننا مر بدفعها ولا نردها كعقود الكفار المحرمة فإنهم إذا أساءوا على القبض لم نحكم بالقبض ولو أساءوا بعد القبض لم نحكم بالرد ولكن في حق المسلم تحرم هذه الاجرة عليه لأنه كان معتقدا لتحريمها بخلاف الكافر وذلك لأنه إذا طلب الاجرة قلنا له أنت فرطت حيث صرفت قوتك في عمل محرم فلا يقضى لك باجرة فإذا قبضها ثم قال الدافع هذا المال اقضوا لي برده فأنما اقبضته إياه عوضا عن منفعة محرمة قلنا له دفعته بمعاوضة رضيت بها فإذا طلبت استرجاع ما أخذه فرد إليه ما أخذه إذا كان له في بقاءه معه منفعة فهذا ومثل هذا يتوجه فيما يقبض من ثمن الميتة والخمر وأيضا فشترى الخمر إذا قبض ثمنها وقبضها وشراها ثم طلب أن يعاد إليه الثمن كان الأوجه أن لا يرد إليه ثمن ولا يباح للبائع لاسيما ونحن نعاقب الخمار ببيع الخمر بأن نحرق الحانوت التي تباع فيها نص على ذلك أحمد وغيره من العلماء فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرق حانوتا ببيع فيها الخمر وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه حرق قرية ببيع فيها الخمر وهي آثار معروفة وهذه المسئلة مبسوطة في غير هذا الموضع وذلك لأن العقوبات المالية عندنا باقية غير منسوخة إذا عرف أصل أحد في هذه المسائل فاعلم أن بيعهم ما يقيمون به أعيادهم المحرمة مثل بيعهم العقار للسكنى واشد بل هو إلى بيعهم العصير أقرب منه إلى بيعهم العقار لأن ما يبتاعونه من الطعام واللباس ونحو ذلك يستعينون به على العيد إذا لعبد كما قدمنا اسم لما يفعل من العبادات والعادات وهذه اعانة على ما يقام من العادات لكن لما كان جنس الكل والشرب واللباس ليس محرما في نفسه بخلاف شرب الخمر فإنه محرم في نفسه فإن كان ما يبتاعونه يفعلون به نفس المحرم مثل صليب أو شعانين أو معمودية أو تبخيرا وذبح لغير الله أو صور ونحو ذلك فهذا لا ريب في تحريمه كيبيعهم العصير ليتخذوه خمرا و بناء الكنيسة لهم وأما ما ينتفعون به في أعيادهم للأكل كل

وتسرح الخنازير قد حرما عليه وان قتلها فلا بأس فقد نص على انه لا يجوز امساكها ولانه قد نص في رواية ابن منصور انه يكره ان يؤاجر نفسه لنظارة كرم النصارى لان اصل ذلك يرجع الى الحر الا ان يعلم انه يباع لغير الحر فقد منع من اجارة نفسه على حفظ الكرم الذى يتخذ للخمر فالولى ان يمنع من اجارة نفسه على حمل الحر فهذه طريقة القاضى فى التعليق وتصرفه وعليها اكثر اصحابه مثل ابى الخطاب وهى طريقة من احدثى حذوه من المتأخرين والمنصور عندهم الرواية المخرجة وهى مذهب مالك والشافى وأبى يوسف ومحمد وهذا عند اصحابنا فيما اذا استأجر على حمل الحر الى بيته او حانوته وحيث لا يجوز اقرارها سواء كان حملها للشرب أو مطاقا فاذا كان يحملها ليريقها أو يحمل الميتة ليدفنها أو ينقلها الى الصحراء مثلا يتأذى بنتن ريحها فانه يجوز الاجارة على ذلك لانه عمل مباح ولكن ان كانت الاجرة جلد الميتة لم تصح واستحق اجرة المثل وان كان قد ساءج الجلد وأخذه رده على صاحبه وهذا مذهب مالك وأظنه مذهب الشافى ايضا ومذهب ابى حنيفة كالرواية الاولى وماخذه فى ذلك ان الحمل اذا كان مطلقا لم يكن المستحق غير حمل الحر وايضا فان مجرد حملها ليس بمعصية لجواز ان تحمل لتراق او تخال عنه ولهذا اذا كان الحمل للشرب لم يصح ومع هذا فانه يكره الحمل والاشبه والله اعلم طريقة ابن ابى موسى فانه اقرب الى مقصود احمد واقرب الى القياس وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لعن عاصر الحر ومغتصرها وحاملها والمحمولة اليه فالعاصر والحامل قد عاوضا على منفعة تستحق عوضا وهى ليست محرمة فى نفسها وانما حرمت لقصد المعتصر والمستحمل فهو كما لو باع عبدا او عصيرا لمن يتخذ خمر او وفات العصور والحر فى يد المشتري فان مال البائع لا يذهب مجانا بل يقضى له بموضه كذلك هنا المنفعة التي وفاها المؤجر لا يذهب مجانا بل يعطى بدلها فان تحريم الانتفاع بها انما كان من جهة المستاجر لا من جهته ثم نحن نحرم الاجرة عليه لحق الله سبحانه لا لحق المستاجر والمشتري بخلاف من استاجر للزنا او التلوط او القتل او الفص او السرقة فان نفس هذا العمل يحرم لا لاجل قصد المشتري فهو كما لو باعه ميتة او خمر او فاسد لا يقضى له بشئها لان نفس هذه العين محرمة ومثل هذه الاجارة والجعالة لا توصف بالصحة مطلقا ولا بالفساد مطلقا بل هى صحيحة بالنسبة الى المستاجر بمعنى انه يجب عليه ما جعله والاجر وهى فاسدة بالنسبة الى الاجرة بمعنى انه يحزم عليه الانتفاع بالاجرة والجعل ولهذا فى الشريعة نظائر وعلى هذا فنص احمد على كراهة نظارة كرم النصارى لا ينافى هذا فانا نهاه عن هذا الفعل وعن ثمة ثم نقضى له بكرائه ولو لم نفعل هذا لكان فى هذا منفعة عظيمة للمعصاة فان كل من استأجره على عمل يستعينون به على المعصية قد حصلوا اغراضهم منه ثم لا يعطونه شيئا وما هم باهل ان يعانوا على ذلك بخلاف من سلم اليهم عملا لاقية له بحال نعم البنى والمغنى والناتحة ونحوهم اذا اعطوا اجورهم ثم تابوا هل يتصدقون بها او يجب ان يردوها على من اعطاها هموها فيها قولان اصحهما انا لاردها على الفساق الذين بذلوها فى المنفعة المحرمة ولا يباح الاخذ بل يتصدق بها وتصرف فى مصالح المسلمين كما نص عليه

اشترى من المال الموقوف للكنيسة الموصى لها به او باع آلات يبنون بها كنيسة ونحو ذلك والمنع هنا اشد لان نفس هذا المال الذى يبذل له يصرف فى المعصية فهو كبيع العصير لمن يتخذ به خمرًا بخلاف نفس السكى فانها ليست محرمة ولكنهم يعصون فى المنزل فقد يشبهه مالو قد باعهم الخبز واللحم والثياب فانهم قد يستعينون بذلك على الكفر وان كان الاسكان فوق هذا لان نفس الاكل والشرب ليس بمحرم ونفس المنفعة المعقود عليها فى الاجارة وهو اللبث قد يكون محرماً الا ترى ان الرجل لا ينهى ان يتصدق على الكفار والفساق فى الجملة وينهى ان يقعد فى منزله من يكفر او يفسق وقد تقدم تصريح ابن القاسم ان هذا الشراء لا يحل واطلق الشافعى المنع من معاوتهم على بناء الكنيسة ونحو ذلك فقال فى كتاب الجزية من الام ولو اوصى يعنى الذمى بثلاث ماله اوشئ منه يبنى به كنيسة لصلوات النصارى او يستاجر به خدام الكنيسة او تعمر به الكنيسة او يستصبح به فيها او يشتري به ارض فتكون صدقة على الكنيسة او تعمر به أو ما فى هذا المعنى كانت الوصية باطلة ولو اوصى أن يبنى كنيسة ينزلها مار الطريق او وقفها على قوم يسكنونها جازت الوصية وليس فى بنية الكنيسة معصية الا ان تتخذ لمصلحة النصارى الذى اجتماعهم فيها على الشرك قال وأكره للمسلم ان يعمل بناء أو تجارة او غير ذلك فى كنائسهم التى لصلاتهم واما مذهب احمد فى الاجارة لعمل ناووس ونحوه فقال الآمدى لا يجوز رواية واحدة لان المنفعة المعقود عليها محرمة وكذلك الاجارة لبناء كنيسة او بيعه او صومعة كالاجارة لكتبتهم المحرفة واما مسألة حمل الخمر والميتة والخنزير للنصراني او المسلم فقد تقدم لفظ احمد انه قال فيمن حمل خمرًا او خنزيرًا او ميتة لنصراني فهو يكره اكل كراهه ولكن يقضى للحمال بالكراء واذا كان للمسلم فهو اشد زادا بعضهم فيها ويكره ان يحمل ميتة بكراء او يخرج دابة ميتة ونحو هذا ثم اختلف اصحابنا فى هذا الجواب على ثلاث طرق احداها اجراؤه على ظاهره وان المسئلة رواية واحدة قال ابن ابي موسى وكره احمد ان يؤجر المسلم نفسه لحمل ميتة او خنزير للنصراني قال فان فعل قضى له بالكراء وان اجر نفسه لحمل محرم لمسلم كانت الكراهة اشد وياخذ الكراء وهل يطيب له على وجهين او جههما انه لا يطيب له ويتصدق به وهكذا ذكر ابو الحسن الآمدى قال اذا اجر نفسه من رجل فى حمل خمر أو خنزير او ميتة كره نص عليه وهذه كراهة تحريم لان النبي صلى الله عليه وسلم لعن حاملها اذا ثبت فيقضى له بالكراء وغير ممتنع ان يقضى بالكراء وان كان محرماً كاجارة الحجام فقد صرح هؤلاء بانه يستحق الاجرة مع كونها محرمة عليه على الصحيح * الطريقة الثانية تاويل هذه الرواية بما يخالف ظاهرها وجعل المسئلة رواية واحدة ان هذه الاجارة لاتصح وهى طريقة القاضى فى المجرد وهى طريقة ضعيفة رجع عنها القاضى فى كتيبه المتأخرة فانه صنف المجرد قديماً * الطريقة الثالثة تخريج هذه المسئلة على روايتين احدهما ان هذه الاجارة صحيحة يستحق بها الاجرة مع الكراهة للفعل وللاجرة والثانية لاتصح الاجارة ولا يستحق بها اجره وان حمل وذلك على قياس قوله فى الخمر لا يجوز امساكها وتجب اراقها قال فى رواية ابى طالب اذا اسلم وله خمر او خنازير تصب الخمر

والذى لاشك فيه من قول ابى عبد الله غير مرة ان ارض اهل الذمة التى فى الصلح ليس عليها خراج
انما ينظر الى ما اخرجت يؤخذ منهم العشر مرتين قال الميمونى قات لابي عبد الله قالذى يشتري ارض
العشر ما عليه قال لى الناس كلهم يختلفون فى هذا منهم من لا يرى عليه شيئا ويشبهه بما له ليس عليه فيه
زكاة اذا كان مقيما ما كان بين اظهرا وبما شئته فيقول هذه اموال وليس عليه فيها صدقة ومنهم من يقول
هذه حقوق لتوم ولا يكون شراؤه لارض يذهب بحقوق هؤلاء منهم والحسن يقول اذا اشتراها ضعف
عليه قات كيف يضعف عليه قال لان عليه العشر فيؤخذ منه الخمس قلت تذهب الى ان يضعف
عليه الخمس فيؤخذ منه الخمس فالتفت الى وقال نعم يضعف عليهم قال وذا كرنا ابا عبد الله ان مالكا
كان يرى ان لا يؤخذ منهم شئ وكان يحول بينهم وبين شراء الشئ منها وهذه الرواية اختيار الخلال
وهى مسألة كبيرة ليس هذا موضع استقصائها والفقهاء ايضا يختلفون فى هذه المسألة كما ذكره ابو عبد الله
فمن نقل عنه تضعيف العشر عمر بن عبد العزيز والحسن البصرى وغيره من اهل البصرة وبعضهم يرويه
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو قول ابى يوسف ومنهم من قال بل يؤخذ العشر على ما كان عليه
كالقول الذى ذكره بعض اصحابنا ويروى هذا عن الثورى ومحمد بن الحسن وحكى عن الثورى لاشئ
عليه كالرواية الاخرى عن احمد وروى هذا عن مالك ايضا وعن مالك انه يؤمر ببيعها وحكى ذلك عن
الحسن بن صالح وشريك وهو قول الشافعى وقال ابو ثور يحجر على بيعها وقياس قول من يضعف العشر
ان المستامن لو زرع فى دار الاسلام لكان الواجب عليه خمسين ضعفا ما يؤخذ من الذمى كما انه اذا اجر
فى دار بلاد الاسلام يؤخذ منه العشر ضعفا ما يؤخذ من الذمى فقد ظهر ان على احدى الروايتين وقول
طوائف من اهل العلم تمنعهم من ان يستولوا على عقار فى دار الاسلام للمسلمين فيه حق من المساكن
والمزارع كما تمنعهم ان يحدثوا فى دار الاسلام بناء لعبادتهم من كنيسة اربعة اوصومة لان عقد الذمة
اقتضى اقرارهم على ما كانوا عليه من غير تعد منهم الى الاستيلاء فيما ثبت للمسلمين فيه حق من عقار
أورقيق وهذا لان مقصود الدعوة ان تكون كلمة الله هى العليا وانما اقروا بالجزية للضرورة العارضة
والحكم المقيد بالضرورة مقدر بقدرها ولهذا لم يثبت غير واحد من السلف لهم حق شفعة على مسلم
واخذ بذلك احمد رحمه الله وغيره لان الشقص الذى يملكه مسلم اذا اوجبنا فيه شفعة لدمى كنا قد اوجبنا
على المسلم ان ينقل الملك فى عقاره الى ذمى بطريق القهر للمسلم وهذا خلاف الاصول ولهذا نص احمد
على أن البائع للشقص اذا كان مسلما وشريكه ذمى لم يجب له شفعة لان الشفعة فى الأصل انما هى من
حقوق احد الشريكين على الآخر بمنزلة الحقوق التى تجب على المسلم للمسلم كاجابة الدعوة وعبادة المريض
وكنهه وكفه ان يبيع على بيعه او يخطب على خطبته وهذا كله عن احمد مخصوص بالمسلمين وفى البيع
والخطبة خلاف بين الفقهاء واما استئجار الارض الموقوفة على الكنيسة وشراء ما يباع على الكنيسة
فقد اطلق احمد المنع انه لا يستأجرها لا يعينهم على ما هم فيه وكذلك اطافه الآمدى وغيره ومثل هذا مالو

واختلف فيه عن مالك ثم هل عليه العشر فيه روايتان قال ابن ابي موسى ومن احيا من اهل الذمة ارضا مواتا فهي له ولا زكاة عليه فيها ولا عشر فيما أخرجت وقد روى عنه رواية اخرى انه لاخراج على اهل الذمة في ارضهم ويؤخذ منهم العشر مما يخرج يضاعف عليهم والاول اظهر فهذا الذي حكاه ابن ابي موسى من تضعيف العشر فيما يملكه بالاحياء هو قياس تضعيفه فيما يملكه بالاتباع لكن نقل حرب عنده في رجل من اهل الذمة احيا مواتا قال هو عشرى ففهم القاضى وغيره من الاصحاب ان الواجب هو العشر الماخوذ من المسلم من غير تضعيف محكوا في وجوب العشر فيها روايتين وابن ابي موسى نقل الروايتين في وجوب عشر مضعف وعلى طريقة القاضى يخرج في مسئلة الاتباع كذلك وهذا الذى نقله ابن ابي موسى اصح فان الكرماني ومحمد بن ابي حرب وابراهيم بن هانىء ويعقوب بن بختان نقلوا ان احمد سئل وقال حرب سالت احمد قلت ان احيا رجل من اهل الذمة مواتا ماذا عليه قل اما أنا فاقول ليس عليه شئ قال واهل المدينة يقولون في هذا قولنا حسنا يقولون لا يترك الذمى ان يشتري ارض العشر قال واهل البصرة يقولون قولنا عجبا يقولون يضاعف عليه العشر قال وسالت احمد مرة اخرى فقلت ان احيا رجل من اهل الذمة مواتا قال هو عشر وقال مرة اخرى ليس عليه شئ وروى حرب عن عبيد الله بن الحسن العنبرى انه قيل له اخذكم لخمسة من ارض الذمة التي في ارض العرب أبأثر عندكم ام بغير اثر قال ليس عندنا فيه اثر ولكن قسناه بما امر به عمر رضى الله عنه ان يؤخذ من اموالهم اذا اتجروا بها ومروا بها على عشر فهذا احمد رضى الله عنه سئل عن احياء الذمى الارض فاجاب بانه ليس عليه شئ وذكر اختلاف الفقهاء في مسئلة اشتراؤه الارض هل يمنع أو يضعف عليه العشر وهذا يبين لك أن المسئلتين عنده واحد وهو تملك الذمى الارض العشرية سواء كان باتباع او احياء او غير ذلك وكذلك ذكر العنبرى قاضى اهل البصرة انهم ياخذون الخمس من جميع ارض اهل الذمة العشرية وذلك يعم ماملك انتقلا او ابتداء وهذا يفيدك ان احمد اذا منع الذمى ان يبتاع الارض العشرية فكذلك يمنعه من احياها وانه اذا اخذ منه فيما ابتاعه الخمس فكذلك فيما أحياه وان من نقل عنه عشر مفردا في الارض الحياة دون المبتاعة فليس بمستقيم وانما سببه قوله في الرواية الاخرى التي نقلها الكرماني هي ارض عشر ولكن هذا كلام مجمل قد فسره ابو عبد الله في موضع آخر وبين ماخذه ونقل الثقة ان لم يعرف الناقل ماخذ الفقيه والافقد يقع فيه الغلط كثيرا وقد افصح ارباب هذا القول بان ماخذهم قياس الحرانة على التجارة فان الذمى اذا اتجر في غير ارضه فانه يؤخذ منه ضعف ما يؤخذ من المساكين وهو نصف العشر فكذا اذا استحدث ارضا غير ارضه لانه في كل الموضعين قد اخذ يكتسب في غير مكانه الاصلى وحق الحرث والتجارة قرينان كما في قوله كلوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من الارض وكذلك قال احمد في رواية الميمونى يؤخذ من اموال اهل الذمة اذا اتجروا فيها قومت ثم أخذ منهم زكاتها مرتين يضعف عليهم لقول عمر رضى الله عنه اضعفها عليهم فمن الناس من شبه الزرع على ذلك قال الميمونى

غير هذا الموضع لكن معاصي الدين قسما أحدهما ما اقتضى عقد الذمة إقراره عليها والثاني ما اقتضى عقد الذمة منعه منها أو من إظهارها فاما القسم الثاني فلا ريب أنه لا يجوز على أصلا أن يؤاجر أو يبيع إذا غلب على الظن أنه يفعل ذلك كالمسلم وأولى وأما القسم الأول فعلى ما قاله ابن أبي موسى يكره ولا يحرم لأننا قد قررناه على ذلك وإعانته على سكنى الدار كإعانته على سكنى دار الإسلام فلو كان هذا من الإعانة المحرمة لما جاز إقرارهم بالجزية وإنما كره ذلك لأنه إعانة من غير مصلحة لا مكان بيعها من مسلم بخلاف الإقرار بالجزية فإنه جاز لأجل المصلحة وعلى ما قاله القاضي لا يجوز لأنه إعانة على ما يستعين به على المعصية من غير مصلحة تقابل هذه المفسدة فلم يجوز بخلاف أسكانهم دار الإسلام فإن فيه من المصالح ما هو مذكور في فوائد إقرارهم بالجزية ومما يشبه ذلك أنه قد اختلف قول أحمد إذا ابتاع الذمي أرض عشر من مسلم على روايتين منع من ذلك في أحدهما قال لأنه لازمة على الذمي وفيه إبطال العشر وهذا ضرر على المسلمين قال وكذلك لا يمكن من استئجار أرض العشر لهذه العلة وقال في الرواية الأخرى لا بأس أن يشتري الذمي أرض العشر من مسلم واختلف قوله إذا جاز ذلك فيما على الذمي فيما يخرج هذه الأرض على روايتين قال في أحدهما لأعشر عليه ولا شيء سوى الجزية وقال في الرواية الأخرى عليه فيما يخرج من هذه الأرض الخمس ضعف ما كان على المسلم ومن أصحابنا من حكى رواية أنهم ينهون عن شرائها فإن اشتروها ضعف عليهم العشر وفي كلام أحمد ما يدل على هذه فإذا كان قد اختلف قوله في جواز تملكهم عامة الأرض العشرية لما فيه من رفع العشر فالمفسدة الدينية الحاصلة بكفرهم وفسقهم في دار كانت للمسلمين يعبد الله فيها وبطاع أعظم من منع العشر ولهذا تردد هل يرفع الضرر بمنع التملك بالكلية أو مع تجوز البيع أما أن يعطل حق المسلم أو تؤخذ الزكاة من الكفار وكلاهما غير ممكن فكان منع التملك أسهل كما منعناه من تملك العبد المسلم والمصحف لما فيه من تمكين عدو الله من أولياء الله وكلام الله وكذلك تمنعهم على ظاهر المذهب من شراء السبي الذي جرى عليه سهام المسلمين كما شرط عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو يرفع الضرر بإبقاء حق الأرض عليه كما يؤخذ ممن اتجر في أرض المسلمين منهم ضعف ما يؤخذ من المسلمين من الزكاة ويتخرج أنه لا يؤخذ منه إلا عشر واحد كالمسئلة الآتية وهذا في العشرية التي ليست خراجية فاما الخراجية فقالوا ليس للذمي أن يبتاع أرضا فتحها المسلمون عنوة وإذا جوزنا بيع أرض العنوة كان حكم الذمي في ابتياعها كحكمه في ابتياع أرض العشر المحض إذ جميع الأرض عشرية عندنا وعند الجمهور بمعنى أن العشر يجب فيما أخرجت وكذلك الأرض الموات من أرض الإسلام التي ليست خراجية هل للذمي أن يملكها بالأحياء قال طائفة من العلماء ليس له ذلك وهو قول الشافعي وأبي حامد الغزالي وهذا قياس إحدى الروايتين عن أحمد في منعه من ابتياعها فإنه إذا لم يجوز تملكها بالابتياع فبالأحياء أولى لكن قد يفرق بينهما بأن المتباعدة أرض عامرة ففيه ضرر محقق بخلاف أحياء الميتة فإنه لا يقطع حفا والمتنصوص عن أحمد وعليه الجمهور من أصحابه أنه يملكها بالأحياء وهو قول أبي حنيفة

ذمى وكذلك أبو بكر قال اذا أجاز أجاز واذا منع منع وما لا يجوز فهو محرم وكلام أحمد رضى الله تعالى عنه محتمل الامرين فان قوله فى رواية أبى الحارث يبيعها من مسلم أحب الى يقتضى انه منع تنزيه واستعظامه لذلك فى رواية المروزي وقوله لاتباع من الكفار وشدد فى ذلك يقتضى التحريم واما الاجارة فقد سوى الاصحاب بينها وبين البيع وانما حكاه عن ابن عون وليس بقول له وان اعجابه بفعل ابن عون انما كان لحسن مقصد ابن عون ونيته الصالحة ويمكن ان يقال بل ظاهر الرواية انه أجاز ذلك فان اعجابه بالفعل دليل جوازه عنده واقتصاره على الجواب بفعل رجل يقتضى انه مذهبه فى أحد الوجهين والفرق بين الاجارة والبيع ان مافى الاجارة من مفسدة الاعانة قد عارضه مصلحة أخرى وهو صرف ارباب المطالبة بالكراء عن المسلم وانزال ذلك بالكفار وصار ذلك بمنزلة اقرارهم بالجزية فانه وان كان اقرار الكفار لكن لما تضمنه من المصلحة جازو وكذلك جازت مهادة الكفار فى الجملة فاما البيع فهذه المصلحة منتفية فيه وهذا ظاهر على قول ابن ابى موسى وغيره ان البيع مكروه غير محرم فان الكراهة فى الاجارة تزول بهذه المصلحة الراجحة كفى نظائره فيصير فى المسئلة اربعة اقوال وهذا الخلاف عندنا والتردد فى الكراهة هو ما اذا لم يعقد الاجارة على المنفعة المحرمة فاما ان آجره اياها لاجل بيع الخمر أو اتخاذها كنيسة اوبيعه لم يحز قولاً واحداً وبه قال الشافعى وغيره كما لا يجوز ان يكرى امته او عبده للفجور وقال ابو حنيفة يجوز ان يؤجرها لذلك قال ابو بكر الرازى لافرق عند ابى حنيفة بين ان يشترط ان يبيع فيه الخمر وبين ان لا يشترط لكنه يعلم انه يبيع فيه الخمر ان الاجارة تصح ومأخذه فى ذلك انه لا يستحق عليه بعقد الاجارة فعل هذه الاشياء وان شرط لان له ان لا يبيع فيها الخمر ولا يتخذها كنيسة وتستحق عليه الاجرة بالتسليم فى المدة فاذا لم يستحق عليه فعل هذه الاشياء كان ذكرها وترك ذكرها سواء كما لو اكرت داراً لينام فيها او يسكنها فان الاجرة تستحق عليه وان لم يفعل ذلك وكذا يقول فيما اذا استاجر رجلاً لحمل خنزير او ميتة او خمر انه يصح لانه لا يتعين حمل الخمر بل لو حمل عليه بدله عصيراً يستحق الاجرة فهذا التقييد عنده لغو فهو بمنزلة الاجارة المطلقة والمطابقة عنده جائزة وان غلب على ظنه ان المستاجر يعصى فيها كما يجوز بيع العصير لمن يتخذ خمرانم انه كره بيع السلاح فى الفتنة قال لان السلاح معمول للقتال لا يصلح لغيره وعامة الفقهاء خالفوه فى المقدمة الاولى وقالوا ليس المقيد كالمطلق بل المنفعة المعقود عليها هى المستحقة فتكون هى المقابلة بالعوض وهى منفعة محرمة وان جاز للمستاجر ان يقيم غيرها مقامها او الزموه ما لو اكرت داراً ليتخذها مسجداً فانه لا يستحق عليه فعل المعقود عليه ومع هذا فانه ابطال هذه الاجارة بناء على انها اقتضت فعل الصلاة وهى لا تستحق بعقد الاجارة ونازعه اصحابنا وكثير من الفقهاء فى المقدمة الثانية وقالوا اذا غلب على ظنه ان المستاجر ينتفع بها فى محرم حرمت الاجارة له لان النبى صلى الله عليه وسلم لعن عاصر الخمر ومعتصرها والعاصر انما يعصر عصير الكن اذا رأى ان المعتصر يريد ان يتخذ خمر او عصره استحق اللعنة وهذا اصل مقرر فى

عبد الله انه لا يباع منه لانه يكفر فيها وينصب الصلابة وغير ذلك والامر عندى ان لا تباع منه ولا تكرى لانه معنى واحد قال وقد أخبرنى أحمد بن الحسين بن حسان قال سئل ابو عبد الله عن حصين ابن عبد الرحمن فقال روى عنه حمص لا أعرفه قال له أبو بكر هذا من الناسك حدثنى أبو سعيد الأشج سمعت أبا خالد الأحمر يقول حمص هذا العدوى نفسه باع دار حصين بن عبد الرحمن عابد أهل الكوفة من عون البصرى فقال له أحمد حمص قال نعم فعجب أحمد يعنى من حمص بن غياث قال الخلال وهذا أيضا تقوية لمذهب أبى عبد الله قلت عون هذا كأنه من أهل البدع أو من الفساق بالعمل فقد أنكر أبو خالد الأحمر على حمص بن غياث قاضى الكوفة انه باع دار الرجل الصالح من المبتدع وعجب أحمد أيضا من فعل القاضى قال الخلال فاذا كان يكره بيعها من فاسق فكذلك من كافر وان كان الذمى يقر والفاسق لا يقر لكن ما يفعله الكافر فيها اعظم وهكذا ذكر القاضى عن أبى بكر عبد العزيز انه ذكر قوله فى رواية أبى الحارث لا يرى ان يبيع داره من كافر يكفر بالله فيها يبيعها من مسلم أحب الى فقال أبو بكر لا فرق بين الاجارة والبيع عنده فاذا اجاز البيع اجاز الاجارة واذا منع البيع منع الاجارة ووافق القاضى واصحابه على ذلك وعن اسحق بن منصور انه قال لا يرى عبد الله سئل يعنى الاوزاعى عن الرجل يؤاجر نفسه لنظارة كرم النصارى فكفره ذلك وقال احمد ما احسن ما قال لان اصل ذلك يرجع الى الحر ان يعلم انه يباع لغير الحر فلا بأس وعن أبى النضر العجلي قال قال ابو عبد الله فيمن يحمل خمر او خنزيرا او ميتة لنصرانى فهو يكره كل كراهة ولكنه يقضى للجهل بالكراهة واذا كان للمسلم فهو أشد كراهة وتلخيص الكلام فى ذلك اما يبيع داره من كافر فقد ذكرنا منع أحمد منه ثم اختلف أصحابه هل هذا تنزيه أو تحريم فقال الشريف أبو على ابن أبى موسى كره أحمد أن يبيع مسلم داره من ذمى يكفر فيها بالله تعالى ويستبيح المحظورات فان فعل اساء ولم يبطل البيع وكذلك ابو الحسن الامدى أطلق الكراهة مقتصر عليها واما الخلال وصاحبه والقاضى فمقتضى كلامهم تحريم ذلك وقد ذكرت كلام الخلال وصاحبه وقال القاضى لا يجوز ان يؤاجر داره او بيته من يتخفه بيت نار او كنيسة او يبيع فيه الخمر سواء شرط انه يبيع فيه الخمر او لم يشترط لكنه يعلم انه يبيع الخمر فيه وقد قال احمد فى رواية أبى الحارث لا يرى ان يبيع داره من كافر يكفر بالله فيها يبيعها من مسلم أحب الى قال أبو بكر لا فرق بين الاجارة والبيع عنده فاذا اجاز البيع اجاز الاجارة واذا منع البيع منع الاجارة وقال ايضا فى نصارى اوقفوا ضيعة لهم للبيعة لا يستأجرها الرجل المسلم منهم يعينهم على ما هم فيه قال وبهذا قال الشافعى رحمه الله تعالى فقد حرم القاضى اجارتهما ان يعلم انه يبيع فيها الخمر مستشهدا على ذلك بنص أحمد على انه لا يبيعها من الكافر ولا يستكرى وقف الكنيسة وذلك يقتضى ان المنع فى هاتين الصورتين عنده منع تحريم ثم قال القاضى فى أثناء المسئلة فان قيل أليس قد اجاز احمد اجارتهما من اهل الذمة مع علمه بأنهم يفعلون فيها ذلك قيل المنقول عن احمد انه حكى قول ابن عون رضى الله عنه وعجب منه وذكر القاضى رواية الأثرم وهذا يقتضى ان القاضى لا يجوز اجارتهما من

أعيادهم فكره ذلك مخافة نزول السخط عليهم بشرهم الذي اجتمعوا عليه وكره ابن القاسم للمسلم
يهدي الى النصراني شيئا في عيدهم مكافأة له وأراد من تعظيم عيده وعونا له على مصلحة كفره ألا ترى أنه
لا يحل للمسلمين ان يبيعوا من النصراني شيئا من مصلحة عيدهم لا لحما ولا ادا ما ولا ثوبا ولا يعارون
دابة ولا يعاونون على شيء من عيدهم لان ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم وينبغي للسلطين
ان ينهوا المسلمين عن ذلك وهو قول مالك وغيره لم اعلمه اختلاف فيه فاكل ذبايح أعيادهم داخل في
هذا الذي اجتمع على كراهته بل هو عندى اشد فهذا كله كلام ابن حبيب وقد ذكر انه قد اجتمع
على كراهة مبايعتهم ومهاداتهم ما يستعينون به على اعيانهم وقد صرح بان مذهب مالك انه لا يحل ذلك واما
نصوص الامام احمد على مسائل هذا الباب فقال اسحق بن ابراهيم سئل ابو عبد الله عليه السلام عن
النصارى وقتوا ضيعة للبيعة استأجرها الرجل المسلم منهم فقال لا ياخذها بشيء لا يعينهم على ما هم فيه وقال ايضا
سمعت ابا عبد الله وسأله رجل بناء أبني للمجوس ناسا قال لا تبني لهم ولا تعنهم على ما هم فيه وقد نقل
عن محمد بن الحكم وسأله عن الرجل المسلم يحفر لاهل الذمة قبرا بكراء قال لا بأس به والفرق بينهما
ان النواوس من خصائص دينهم الباطل كالكنيسة بخلاف القبر المطلق فانه ليس في نفسه معصية ولا من
خصائص دينهم وقال الخلال باب الرجل يؤجر داره للذمي او يبيعها منه وذكر عن المروزي ان أبا
عبد الله سئل عن رجل باع داره من ذمي وفيها محاريبه فقال فيها نصراني واستعظم ذلك وقال لا تباع
يضرب فيها بالناقوس وينصب فيها الصابان وقال لا تباع من الكفار وشدد في ذلك وعن أبي الحارث
ان أبا عبد الله سئل عن الرجل يبيع داره وقد جاء نصراني فارغبه وزاد في ثمن الدار ترى له ان يبيع
داره منه وهو نصراني أو يهودي أو مجوسي قال لا ارى له ذلك يبيع داره من كافر يكفر بالله فيها
يبيعها من مسلم أحب الى فهذا نص على المنع ونقل عنه ابراهيم بن الحارث قيل لابي عبد الله الرجل
يكري منزله من الذمي ينزل فيه وهو يعلم انه يشرب فيها الخمر ويشرك فيه قال ابن عون كان لا يكري
الا من أهل الذمة يقول يربعهم قيل له كانه أراد اذلال اهل الذمة بهذا قال لا ولكنه اراد انه كره
ان يربع المسلم يقول اذا جئت اطلب الكراء من المسلم اربعته فاذا كان ذميا كان اهون عنده وجعل
ابو عبد الله يعجب لهذا من ابن عون فيما رأيت وهكذا نقل الأثرم سواء ولفظه قلت لابي عبد الله ومسائل
الأثرم و ابراهيم بن الحارث يشتركان فيها ونقل عنه منها قال سألت احمد عن الرجل يكري المجوسي داره او
دكانه وهو يعلم انهم يزنون فقال كان ابن عون لا يرى ان يكري المسلمين يقول اربعهم في اخذ الغلة وكان يرى
ان يكري غير المسلمين قال ابو بكر الخلال كل من حكى عن ابي عبد الله في رجل يكري داره من ذمي
فانما اجابه ابو عبد الله على فعل ابن عون ولم ينفذ لابي عبد الله فيه قول وقد حكى عن ابراهيم انه رآه
معجبا بقول ابن عون والذين رووا عن ابي عبد الله في المسلم يبيع داره من الذمي انه كره ذلك كراهة
شديدة فلو نفذ لابي عبد الله قول في السكنى كان السكنى والبيع عندى واحدا والامر في ظاهر قول ابي

منها جاز عندنا كما دل عليه حديث تجارة ابى بكر رضى الله عنه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الشام وهى دار حرب وحديث عمر رضى الله عنه واحديث آخر بسطت القول فيها في غير هذا الموضع مع انه لابد ان تشتمل اسواقهم على بيع ما يستعان به على المعصية فاما بيع المسلم لهم في اعيادهم ما يستعينون به على عيدهم من الطعام واللباس والريحان ونحو ذلك او اهدى ذلك لهم فهذا فيه نوع اعانة على اقامة عيدهم المحرم وهو مبنى على أصل وهو ان يبيع الكفار عبدا او عصيرا يتخذونه خرا لا يجوز وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحا يقاتلون به مسلما وقد دل حديث عمر رضى الله عنه في اهداء الحلة السبراء الى أخ له بمكة مشركا على جواز بيعهم الحرير لكن الحرير مباح في الجملة وانما يحرم الكثير منه على بعض الأدميين ولهذا جاز التداوى به في اصح الروايتين ولم يحز بالخر بجال وجازت صنعته في الاصل والتجارة فيه فهذا الاصل فيه اشتباه فان قيل بالاحتمال الاول في كلام أحمد جوز ذلك وعن احمد في جواز حمل التجارة الى أرض الحرب روايتان منصوصتان فقد يقال بيعها لهم في العبد كحماها الى دار الحرب فان حمل الثياب والطعام الى أرض الحرب فيه اعانة على دينهم في الجملة واذا منعنا منها الى أرض الحرب فهذا أولى واكثر اصوله ونصوصه تقتضى المنع من ذلك لكن هل هو منع تحريم أو تنزيه مبنى على ما سياتى وقد ذكر عبد الملك بن حبيب ان هذا مما اجتمع على كراهته وصرح بان مذهب مالك ان ذلك حرام قال عبد الملك ابن حبيب في الواضحة كره مالك أكل ما ذبح النصارى لكنائسهم ونهى عنه من غير تحريم وقال وكذلك ما ذبحوا على اسم المسيح والصليب او اسماء من مضى من أحبارهم ورهبانهم الذين يعظمون فقد كان مالك وغيره ممن يقتدى به يكره أكل هذا كله من ذبائحهم وهو يضاهاى قول الله تعالى وما اهل به لغير الله وهى ذبائحهم التى كانوا يذبحون لاصنامهم التى كانوا يعبدون قال وقد كان رجال من العلماء يستخفون ذلك ويقولون قد احل الله لنا ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وما يريدون بها روى ذلك ابن وهب عن ابن عباس وعبد بن الصامت وابى الدرداء وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز وان شهاب وربيعة ويحيى بن سعيد ومكحول وعطاء وقال عبد الملك وترك ما ذبح لاعيادهم وأقسمتهم وموتاهم وكنائسهم أفضل قال وان فيه عيبا آخران كله من تعظيم شركهم ولقد سال سعيد المعافى مالكا عن الطعام الذى تصنعه النصارى لموتاهم يتصدقون به عنهم ايا كل منه انسلم فقال لا ينبغي أن ياخذ منهم لانه انما يعمل تعظيما للشرك فهو كالذبح للاعياد والكنائس وسئل ابن القاسم عن النصراني يوصى بشئ يباع من ملكة للكنيسة هل يجوز لمسلم شراؤه فقال لا يحل ذلك لانه تعظيم لشعائهم وشرائعهم ومشتريه مسلم سوء وقال ابن القاسم في أرض الكنيسة يبيع الاسقف منها شيئا في مرمتها وربما حبست تلك الارض على الكنيسة لمصلحتها انه لا يجوز لمسلم ان يشتريها من وجهين الواحد من العون على تعظيم الكنيسة والآخر من وجه بيع الخبس ولا يجوز لهم في أحباسهم الا ما يجوز للمسلمين ولا أرى لحاكم المسلمين ان يتعرض فيها بمنع ولا تنفيذ ولا شئ قال وسئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التى تركب فيها النصارى الى

للعادة في أعيادهم لم تجب اجابة دعوته ومن اهدى للمسلمين هدية في هذه الاعياد مخالفة للعادة في سائر
الافاق غير هذا العيد لم تقبل هديته خصوصا ان كانت الهدية مما يستعان به على التشبه بهم في مثل اهداء
الشمع ونحوه في الميلاد او اهداء البيض واللبن والغنم في الخيس الصغير الذي في آخر صومهم وكذلك
ايضا لا يهدى لاحد من المسلمين في هذه الاعياد هدية لاجل العيد لاسيما اذا كان مما يستعان بها على التشبه بهم
كما ذكرناه ولا يبيع المسلم ما يستعين به المسلمون على مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس ونحو ذلك لان
في ذلك اعانة على المنكرات فاما ما يعتقدهم ما يستعينون هم به على عيدهم او شهود اعيادهم للشراء فيها فقد قدعناه
قيل للامام احمد هذه الاعياد التي تكون عندنا بالشام مثل طور يابور وأوديرا يوب واشباهه يشهده المسلمون يشهدون
الاسواق ويحبون فيه الغنم والبقر والدقيق والبر وغير ذلك الا انه انما يكون في الاسواق يشترى ولا
يدخلون عليهم بيعهم قال اذا لم يدخلوا عليهم بيعهم وانما يشهدون السوق فلا بأس وقال أبو الحسن الآمدي
فاما ما يبيعون في الاسواق في أعيادهم فلا بأس بحضوره نص عليه أحد في رواية منها وقال انما يمنعون
ان يدخلوا عليهم بيعهم وكنائسهم واما ما يباع في الاسواق من المأكلا فلا وان قصد الى توفير ذلك
وتحسينه لاجلهم فهذا الكلام محتمل لان يكون أجاز شهود السوق مطلقا بائعا أو مشتريا لانه قال اذا لم
يدخلوا عليهم كنائسهم وانما يشهدون السوق فلا بأس وهذا يعم البائع والمشتري لاسيما ان كان الضمير
في قوله يجلبون عائدا الى المسلمين فيكون قد نص على جواز كونهم جالسين الى السوق ويحتمل وهو اقوى
انه انما أرخص في شهود السوق فقط ورخص في الشراء منهم ولم يتعرض للبيع منهم لان السائل انما
سأله عن شهود السوق التي تقيمها الكفار لعيدهم وقال في آخر مسألتهم يشترى ولا يدخلون عليهم بيعهم
وذلك لان السائل منها بز يحيى الشامي وهو فقيه عالم وكانه والله اعلم قد سمع ما جاء في النهي عن
شهود أعيادهم فسأل أحد هل شهود اسواقهم بمنزلة شهود اعيادهم فاجاب احمد بالرخصة في شهود
السوق ولم يسأل عن بيع المسلم لهم اما الظهور الحكم عنده واما لعدم الحاجة اليه اذ ذاك وكلام الآمدي
ايضا محتمل للوجهين لكن الاظهر فيه الرخصة في البيع ايضا لقوله انما يمنعون ان يدخلوا عليهم بيعهم
وكنائسهم وقوله وان قصد الى توفير ذلك وتحسينه لاجلهم فما أجاب به أحد من جواز شهود السوق
فقط للشراء منها من غير دخول الكنيسة فيجوز لان ذلك لبس فيه شهود منكروا اعانة على معصية لان
نفس الاتباع منهم جائز ولا اعانة فيه على المعصية بل فيه صرف لما لهم يتعاونونه لعيدهم عنهم الذي
يظهر انه اعانة لهم وتكثير لسوادهم فيكون فيه تقليل الشر وقد كانت أسواق في الجاهلية كان المسلمون
يشهدونها وشهد بعضها النبي عليه السلام ومن هذه الاسواق ما يكون في مواسم الحج ومنها ما يكون
لاعياد باطلة وايضا فان أكثر ما في السوق ان يباع فيها مما يستعان به على المعصية فهو كما لو حضر الرجل
سوقا يباع فيها السلاح لمن يقتل به معصوما أو العصير لمن يخمره فحضرها الرجل يشتري منها بل هو
أجود لان البائع في هذا السوق ذمي وقد اقرأ على هذه المبيعة ثم ان الرجل لو سافر الى دار الحرب ليشترى

الافعال او يوم أو مكان ان سبب هذا الفعل او تعظيم هذا المكان والزمان من جهتهم ولولم يعرف ان سببه من جهتهم فيكفيه ان يعلم انه لا أصل له في دين الاسلام فانه اذا لم يكن له اصل فاما ان يكون قد احدثه بعض الناس من تلقاء نفسه او يكون ماخوذا عنهم فاقول احواله ان يكون من البدع ونحن ننبه على ما رأينا كثيرا من الناس قد وقعوا فيه فمن ذلك الخميس الحقيق الذي في آخر صومهم فانه يوم عيد المائدة فيما يزعمون ويسمونه عيد العشاء وهو الاسبوع الذي يكون فيه من الاحد الى الاحد عيدهم الاكبر فجميع ما يحدثه الانسان فيه من المنكرات فنه خروج النساء وتبخير القبور ووضع الثياب على السطح وكتابة النورق والصاقها بالابواب واتخاذها موسما لبيع البخور وشراؤه وكذلك شراء البخور في ذلك الوقت اذا اتخذ وقتا لبيع ورقى البخور مطابقا في ذلك الوقت أو غيره أو قصد شراء البخور المرقى فان رقى البخور واتخاذ قربانا هو دين النصارى والصائبين وانما البخور يطيب يتطيب بدخانه كما يتطيب بسائر الطيب من المسك وغيره مما له أجزاء بخارية وان لطف أوله رائحة محضة ويستحب التبخر حيث يستحب التطيب وكذلك اختصاصه بطبخ ارز بلبن او بسمن أو بعدس أو صمغ بيض ونحو ذلك واما القمار بالبيض أو ببيع البيض لمن يقامر به أو شراؤه من المقامرین فحكمه ظاهر ومن ذلك ما يفعله الاكارون من نطق البقر بالنقط الحمر أو نكت الشجر أيضاً أو جمع أنواع الثياب والتبرك بها والاعتسال بمائها ومن ذلك ما قد يفعله النساء من اخذ ورق الزيتون او الاعتسال بمائه او قصد الاعتسال بشئ من ذلك فان أصل ذلك ماء المعمودية ومن ذلك ترك الوظائف الراتبية من الصنائع والتجارات او حلق العلم او غير ذلك واتخاذ يوم راحة وفرح والالعاب فيه بالخيل أو غيرها على وجه يخالف ما قبله وما بعده من الايام والضابط انه لا يحدث فيه امر اصلا بل يجعل يوما كسائر الايام فاما قد قدمنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهاهم عن اليومين اللذين كانوا يلعبون فيهما في الجاهلية وانه نهى عن الذبح بالمكان اذا كان المشركون يعيدون فيه ومن ذلك ما يفعله كثير من الناس في أثناء الشتاء في اثناء كانون الاول لاربع وعشرين خلت منه ويزعمون انه ميلاد عيسى عليه السلام فجميع ما يحدث فيه هو من المنكرات مثل ايقاد النيران واحداث طعام واصطناع شمع وغير ذلك فان اتخذ هذا الميلاد عيداً هو دين النصارى وليس لذلك اصل في دين الاسلام ولم يكن لهذا الميلاد ذكر اصلا على عهد السلف الماضين بل اصله ماخوذ عن النصارى وانضم اليه سبب طبيعي وهو كونه في الشتاء المناسب لايقاد النيران وانواع مخصوصة من الاطعمة ثم ان النصارى تزعم انه بعد الميلاد بايام اظنها أحد عشر يوما عمد يحيي لعيسى عليهما السلام في ماء المعمودية فهم يتعمدون في هذا الوقت ويسمونه عيد الغطاس وقد صار كثير من جهال النساء يدخان اولادهن الى الحمام في هذا الوقت ويزعمون أن هذا ينفع الولد وهذا من دين النصارى وهو من اقبح المنكرات المحرمة وكذلك اعياد الفرس مثل النيروز والمهرجان واعياد اليهود وغيرهم من انواع الكفار او الاعاجم او الاعراب حكمها كلها على ما ذكرناه من قبل • وكما لا يشبه بهم في الاعياد فلا يعان المسلم المتشبه بهم في ذلك بل ينهى عن ذلك فمن صنع دعوة مخالفة

يعرف صاحبه حكمه فان لم ينته والا صار من القسم الاول * النوع الثاني ما ليس في الاصل ما خوذ عنهم لكنهم يفعلونه أيضاً فهذا ليس في محذور المشابهة ولكن قد تفوت فيه منفعة المخالفة فتوقف كراهة ذلك وتحريمه على دليل شرعى وراء كونه من مشابهمهم اذ ليس كوننا تشبهنا بهم باولى من كونهم تشبهوا بنا فاما استحباب تركه لمصاحبة المخالفة اذا لم يكن في تركه ضرر فظاهر لما تقدم من المخالفة وهذا قد توجب الشريعة مخالفتهم فيه وقد توجب عليهم مخالفتنا كما في الزى ونحوه وقد يقتصر على الاستحباب كما في صبيغ اللحية والصلاة في النعلين والسجود وقد تبلغ الكراهة كما في تأخير المغرب والفطور بخلاف مشابهمهم فيما كان ماخوذا عنهم فان الاصل فيه التحريم لما قدمنا

فصل

العيد اسم جنس يدخل فيه كل يوم او مكان لهم فيه اجتماع وكل عمل يحدثونه في هذه الامكنة والازمنة فلبس النهى عن خصوص أعيادهم بل كلما يعظمونه من الاوقات والامكنة التي لأصل لها في دين الاسلام وما يحدثونه فيها من الاعمال يدخل في ذلك وكذلك تحريم العيد هو وما قبله وما بعده من الايام التي تحدث فيها اشياء لأجله او ما يحدث بسبب أعماله من اعمال حكمها حكمه فلا يفعل شيء من ذلك فان بعض الناس قد يمنع من احداث اشياء في ايام عيدهم كيوم الخميس واليولاء ويقول لعياله أنا اصنع لكم هذا في الاسبوع او الشهر الآخر وانما الحرك على احداث ذلك وجود عيدهم ولولا هو لم يقتضوا ذلك فهذا من مقتضيات المشابهة لكن يحال الاهل على عيد الله ورسوله ويقضى لهم فيه من الحقوق ما يقطع استشرافهم الى غيره فان لم يرضوا فلا حول ولا قوة الا بالله ومن اغضب اياه لله ارضاه الله وارضاهم وليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تركت بعدى على أمتي من فتنة اضر على الرجال من النساء واكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء وفي صحيح البخارى عن أبي بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وروى أيضا هلكت الرجال حين أطاعت النساء وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لاحدى أمهات المؤمنين حين راجعته في تقديم أبي بكر انكن صواحب يوسف يريد ان النساء من شأنهن مراجعة ذى اللب كما قال في الحديث الآخر ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لب ذى اللب من احدا كن ولما انشده الاعشى اعشى باهلة أبياته التي يقول فيها * وهن شر غالب لمن غلب * جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرددها ويقول هن شر غالب لمن غلب ولذلك امتن الله على زكريا عليه السلام حيث قال واصالحنا له زوجه قال بمض العاداء ينبغى للرجل ان يجتهد الى الله في اصلاح زوجه له



فصل

اعیاد الكفار كثيرة مختلفة وليس على المسلم ان يبحث عنها ولا يعرفها بل يكفيه ان يعرف في فعل من

يكونا متعارفين او كانا متهاجرين وذلك لان الاشتراك في البدنوع وصف اختصاصه عن بلد الغربة بل لو اجتمع رجلا في سفر او بلد غريب وكانت بينهما مشابة في العمامة او الثياب او الشعرا والمركوب ونحو ذلك لكان بينهما من الائتلاف اكثر مما بين غيرهما وكذلك تجدد ارباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا مالا يألفون غيرهم حتي ان ذلك يكون مع المعادة والمخاربة اما على الملك واما على الدين تجدد الملوك ونحوهم من الرؤساء وان تباعدت ديارهم وممالكهم بينهم مناسبة تورث مشابة ورعاية من بعضهم لبعض وهذا كله بموجب الطباع ومقتضاها الا ان يمنع عن ذلك دين او غرض خاص فاذا كانت المشابة في امور دنيوية تورث المحبة والمودة فكيف بالمشابة في امور دينية فان افضاءها الى نوع من المودة اكثر واشد والمحبة والمودة لهم تنافي الايمان قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين اقسوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) وقال تعالى فيما يذم به اهل الكتاب (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) فينبى سبحانه وتعالى ان الايمان بالله والنبي وما انزل اليه مستلزم لعدم ولايتهم فنبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان لان عدم اللازم يقتضى عدم المازوم وقال سبحانه وتعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) فاخبر سبحانه وتعالى انه لا يوجد مؤمن يود كافرا فن واد الكفار فليس بمؤمن فالمشابة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة كما تقدم تقرير مثل ذلك واعلم ان وجوه الفساد في مشابعتهم كثيرة فليقتصر على ما نبهنا عليه والله اعلم

فصل

مشابعتهم فيما ليس من شرعنا قسما أحدهما مع العلم بان هذا العمل هو من خصائص دينهم فهذا العمل الذى هو من خصائص دينهم اما أن يفعل لمجرد موافقتهم وهو قليل واما الشهوة تتعاقب بذلك العمل واما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا وفي الآخرة وكل هذا لاشك في تحريمه لكن يبلغ التحريم في بعضه الى ان يكون من الكبائر وقد يصير كفرا بحسب الأدلة الشرعية واما عمل لم يعلم الفاعل انه من عملهم فهو نوعان احدهما ما كان في الاصل ماخوذا عنهم اما على الوجه الذى يفعلونه واما مع نوع تغيير في الزمان او المكان او الفعل ونحو ذلك فهو غالب ما يبتلى به العامة في مثل ما يصنعونه في الخميس الحقيق والميلاد ونحوهما فانهم قد نشؤا على اعتياد ذلك وتلقاه الابناء عن الآباء واكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك فهذا

وانشراح صدورهم وربما اطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستدلال الضعفاء وهذا ايضا أمر محسوس لا يستريب فيه عاقل فكيف يجتمع ما يقتضى اكرامهم بلا موجب مع شرع الصغار في حقهم * الوجه السادس ان مما يفعلونه في عيدهم منه ما هو كفر وما هو حرام وما هو مباح لو تجرد عن مفسدة المشابهة ثم التمييز بين هذا وهذا يظهر غالبا وقد يخفى على كثير من العامة فالمشابهة فيما لم يظهر تحريمه للعالم يقع العامي في ان يشابه فيما هو حرام وهذا هو الواقع والفرق بين هذا الوجه ووجه الذريعة انا هناك قلنا الموافقة في القابل تدعو الى الموافقة في الكثير وهنا جنس الموافقة تابس على العامة دينهم حتى لا يميزوا بين المعروف والمنكر فذاك بيان الاقتضاء من جهة تقاضى الطباع بارادتها وهذا من جهة جهل القلوب باعتقاداتها * الوجه السابع ما قرره في وجه اصل المشابهة وذلك ان الله تعالى جبل بنى آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشئيين المتشابهين وكلما كانت المشابهة اكثر كان التفاعل في الاخلاق والصفات اتم حتى يؤول الامر الى ان لا يميز احدهما عن الآخر الابالعين فقط ولما كان بين الانسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه اشد ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة الجنس المتوسط فلا بد من نوع تفاعل بقدره ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلا فلا بد من نوع مامن المفاعلة ولاجل هذا الاصل وقع التاثر والتأثير في بنى آدم واكتساب بعضهم اخلاق بعض بالمشراكة والمعاشرة وكذلك الآدمي اذا عاشر نوعا من الحيوان اكتسب بعض اخلاقه ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الابل وصارت السكينة في أهل الغنم وصار الجمالون والبغالون فيهم اخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال وكذلك الكلابون وصار الحيوان الانسى فيه بعض اخلاق الانس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة فالمشابهة والمشاكل في الامور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكل في الامور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفى وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشرنا المسلمين هم اقل كفرا من غيرهم كما رأينا المسلمين الذين اكثرنا من معاشرة اليهود والنصارى هم اقل ايمانا من غيرهم ممن جرد الاسلام والمشاركة في الهدى الظاهر توجب ايضا مناسبة واثلافا وان بعد المكان والزمان فهذا ايضا امر محسوس فمشابهم في اعيادهم ولو بالقليل هو سبب لنوع مامن اكتساب اخلاقهم التي هي ملعونة وما كان مظنة لفساد خفى غير منضبط علق الحكم به ودار التحريم عليه فنقول مشابهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهم في عين الاخلاق والافعال المذمومة بل في نفس الاعتقادات وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط وقد يتعسر أو يتعذر رواه بعد حصوله لو تفتن له وكل ما كان سببا الى مثل هذا الفساد فان الشارع يحرمه كما دلت عليه الاصول المقررة * الوجه الثامن ان المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالة في الباطن كما ان المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا امر يشهد به الحس والتجربة حتى ان الرجلين اذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غريبة كان بينهما من المودة والموالة والاثلافا امر عظيم وان كانا في مصر هالما

ومنفعته به ويتم دينه ويكمل اسلامه ولهذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص
 رغبته في سماع القرآن حتي ربما يكرهه ومن أكثر من السفر الى زيارة المشاهد ونحوها لايتقي الحليج
 البيت في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنه ومن أدمن على أخذ الحكمة
 والآداب من كلام حكماء فارس والروم لايتقي لحكمة الاسلام وآدابه في قلبه ذلك الموضع ومن اد من
 على قصص الملوك وسيرهم لايتقي لقصص الانبياء وسيرهم في قلبه ذلك الاهتمام ونظائر هذه كثيرة ولهذا
 جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ابتدع قوم بدعة الا نزع الله عنهم من السنة
 مثلها رواه الامام احمد وهذا أمر يجده من نفسه من نظر في حاله من العلماء والعباد والامراء والعامه
 وغيرهم ولهذا عظمت الشريعة التكبير على من أحدث البدع وكرهها لان البدع لو خرج الرجل منها
 كفافا لا عليه ولا له لكان الامر خفيفا بل لا بد ان يوجب له فسادا ينشأ من نقص منفعة الشريعة في
 حقه اذ القلب لا يتسع للمعوض والمعوض عنه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في العيدين الجاهليين
 ان الله قد ابدلكم بهما يومين خيرا منهما فيبقى اغتذاء قلبه من هذه الاعمال المبتدعة مانعا من الاغتذاء
 أو من كمال الاغتذاء بتلك الاعمال النافعة الشرعية فيفسد عليه حاله من حيث لا يعلم كما يفسد جسد المقتدى
 بالاغذية الخبيثة من حيث لا يشعر وبهذا يتبين لك بعض ضرر البدع اذا تبين هذا فلا يخفى ما جعل الله
 في القلوب من التشوق الى العيد والسرور به والاهتمام بامره اتفاقا واجتماعا وراحة ولذة وسرورا وكل
 ذلك يوجب تعظيمه لتعلق الاغراض به فلماذا جاءت الشريعة في العيد باعلان ذكر الله فيه حتى جعل
 فيه من التكبير في صلاته وخطبته وغير ذلك مما ليس في سائر الصلوات فاقامت فيه من تعظيم الله وتنزيل
 الرحمة خصوصا العيد الاكبر ما فيه صلاح الخلق كما دل قوله تعالى (وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا
 وعلى كل ضامر يأنين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) فصار ما وسع على النفوس فيه من العادات
 الطبيعية عوننا على انتفاعها بما خص به من العبادات الشرعية فاذا اعطيت النفوس في غير ذلك اليوم حظها
 أو بعض الذي يكون في عيد الله فترت عن الرغبة في عيد الله وزال ما كان له عندها من المحبة والتعظيم
 فنقص بسبب ذلك تأثير العمل الصالح فيه فخرست خسرانا مبينا وأقل الدرجات انك لو فرضت رجائين
 أحدهما قد اجتمع اهتمامه بامر العيد على المشروع والاخر مهتم بهذا وبهذا فانك بالضرورة تجد المتجرد
 للمشروع اعظم اهتماما به من المشترك بينه وبين غيره ومن لم يدرك هذا فلغفلته او اعراضه وهذا امر يعلمه
 من يعرف بعض أسرار الشرائع واما الاحساس بفتور الرغبة فيجده كل أحد فانا نجد الرجل اذا كسا
 أولاده أو وسع عليهم في بعض الاعياد المسخوطة فلا بد ان تنقص حرمة العبد المرضي من قلوبهم حتي
 لو قيل بل في القلوب ما يسع هذين قيل لو تجردت لاحدهما لكان أكمل * الوجه الخامس ان مشابهمهم
 في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل خصوصا اذا كانوا مقهورين تحت ذل
 الجزية والصغار فرأوا المسلمين قد صاروا فرعا لهم في خصائص دينهم فان ذلك يوجب قوة قلوبهم

وسبب مشابهة الكفار في القليل من أمر عيدهم وعدم النهي عن ذلك وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة الى بعض هذه القبائح كانت محرمة فكيف إذا أفضت الى ما هو كفر بالله من التبرك بالصليب والتعميد في المعمودية أو قول القائل المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة ونحو ذلك من الاقوال والافعال التي تتضمن اما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة الى الله وأما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله أو التدين بذلك أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك وأصل ذلك المشابهة والمشاركة وبهذا يتبين لك كمال موقع الشريعة الخيفية وبعض حكمه ما شرعه الله لرسوله من مباينة الكفار ومخالفتهم في عامة أمورهم لتكون المخالفة أحسن لمادة الشر وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس واعلم اننا لم نر موافقتهم قد أفضت الى هذه القبائح لكان علمنا بالطبائع عليه واستدلنا باصول الشريعة يوجب النهي عن هذه الذريعة فكيف وقد رأينا من المنكرات التي أفضت اليها المشابهة ما قد يوجب الخروج من الاسلام بالكلية وسر هذا الوجه أن المشابهة تفضي الى كفر او معصية غالبا أو تقضي اليهما في الجملة وليس في هذا المفضى مصاحبة وما أفضى الى ذلك كان محرما فالمشابهة محرمة والمقدمة الثانية لا ريب فيها فان استقرار الشريعة في مواردها ومصادرها دل على أن ما أفضى الى الكفر غلبا حرام وما أفضى اليه على وجه خفي حرام وما أفضى اليه في الجملة ولا حاجة تدعو اليه حرام كما قد تكلمنا على قاعدة الذرائع في غير هذا الكتاب والمقدمة الاولى قد شهد بها الواقع شهادة لا تخفى على بصير ولا أعشى مع ان الافضاء امر طبيعي قد اعتبره الشارع في عامة الذرائع التي سدها كما قد ذكرنا من الشواهد على ذلك نحو ما من ثلاثين اصلا منصوصة أو مجمعا عليها في كتاب بطلان التحليل * الوجه الرابع ان الاعياد والمواسم في الجملة لها منفعة عظيمة في دين الخلق ودنياهم كانتفاعهم بالصلاة والزكاة والصيام والحج ولهذا جاءت بها كل شريعة كما قال تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه * ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) ثم ان الله شرع على لسان خاتم النبيين من الاعمال ما فيه صلاح الخلق على اتم الوجوه وهو الكمال المذكور في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم ولهذا أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الامة الخيفية فانه لا عيد في النوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكان والزمان وهو عيد النحر ولا عين من اعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامة المسلمين وقد نفى الله تعالى الكفر وأهله والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعا ان كل آدب يحب ان تؤتى مآدبته وان مآدبة الله هي القرآن ومن شأن الجسد اذا كان جائعا فاخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر حتي لا يأكله ان أكل منه الا بكراهة وتجشم وربما ضره اكله أو لم ينتفع به ولم يكن هو المغذى الذي يقيم بدنه فالعبد اذا أخذ من غير الاعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهيمته وهيمته الى المشروع فانه تعظم محبته له

عليه غوغاء الناس وكان اليهود قد وكلوا قوما معهم عصى يضربون بها فأورقت تلك العصى وسجد أولئك للمسيح فعيد الشعانين مشابهة لذلك الامر وهو الذى سعى فى شروط عمرو كتب الفقه ان لا يظهره فى دار الاسلام ويسمونه هذا العيد وكل مخرج يخرجونه الى الصحراء باعوثا فالباعوث اسم جنس اما يظهر به الدين كعيد الفطر والنحر فما يحكونه عن المسيح عليه السلام من المعجزات فى حيز الامكان لانكذبهم فيه لامكانه ولا تصدقهم لجهلهم وفسقهم واما موافقتهم فى التعييد فاحياء دين احدثوه أو دين نسخه الله ثم الخميس الذى يسمونه الخميس الكبير يزعمون ان فى مثله نزلت المائدة التى ذكرها الله فى القرآن حيث قال (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) فيوم الخميس هو يوم عيد المائدة ويوم الاحد ويسمونه عيد الفصح وعيد النور والعيد الكبير ولما كان عيدا صاروا يصنعون فيه لاولادهم البيض المصبوغ ونحو ذلك منهم فيه يأكلون ما يخرج من الحيوان من لحم ولبن ابيض اذ صومهم هو عن الحيوان وما يخرج منه وانما يأكلون فى صومهم الحب وما يصنع منه من زبيب وشيرج ونحو ذلك وعامة هذه الاعمال المحكية عن النصارى وغيرها مما لم يحك قد زينها الشيطان لكثير ممن يدعى الاسلام وجعل لها فى قلوبهم مكانة وحسن ظن وزادوا فى بعض ذلك ونقصوا وقدموا واخروا اما لان بعض ما يفعلونه قد كان يفعله بعض النصارى او غيروه هم من عند انفسهم كما كانوا يغيرون بعض أمر الدين الحق لكن لما اختصت به هذه الايام ونحوها من الايام التى ليس لها خصوص فى دين الله وانما خصوصها فى الدين الباطل انما أصل تخصيصها من دين الكافرين وتخصيصها بذلك فيها مشابهة لهم وليس لجاهل ان يعتقد ان بهذا تحصل المخالفة لهم كما فى صوم يوم عاشوراء لان ذلك فيما كان أصله مشروعا لنا وهم يفعلونه فانا نخالفهم فى وصفه فاما ما لم يكن فى ديننا بحال بل هو فى دينهم المبتدع والمنسوخ فليس لنا ان نشابههم لافى أصله ولا فى وصفه كما قدمنا قاعدة ذلك فيما مضى فاحداث امر ما فى هذه الايام التى يتعاق تخصيصها بهم لابنا هو مشابهة فى أصل تخصيص هذه الايام بشئ فيه تعظيم وهذا بين على قول من يكبره صوم يوم النيروز والمهرجان لاسيما اذا كانوا يعظمون ذلك اليوم الذى أحدث فيه ذلك العمل ويزيد ذلك وضوحا ان الامر قد آل الى ان كثيرا من الناس صاروا فى مثل هذا الخميس الذى هو عند الكفار عيد المائدة آخر خميس فى صوم النصارى الذى يسمونه الخميس الكبير وهو الخميس الحقيقى يجتمعون فى أماكن اجتماعات عظيمة ويصبغون البيض ويطبخون اللبن وينكتون بالحمرة دوابهم ويصطنعون الاطعمة التى لاتكاد تفعل فى عيد الله ورسوله ويتهادون الهدايا التى تكون فى مثل مواسم الحج وعامتهم قد نسوا أصل ذلك وعلمته وبقي عادة مطردة كاعتيادهم بعيد الفطر والنحر وأشد واستعان الشيطان فى اغوئهم بذلك ان الزمان زمان ربيع وهو مبدأ العام الشمسى فيكون قد كثر فيه اللحم واللبن والبيض ونحو ذلك مع ان عيد النصارى ليس هو يوما محدودا من السنة الشمسية وانما يتقدم فيها ويتأخر فى نحو ثلاثة وثلاثين يوما كما قدمناه وهذا كله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من كان قبلكم

وجهل كثير منهم انها من دين النصارى الملعون هو واهله وقد بلغنى أيضا انهم يخرجون يوم الخميس الذى قبل ذلك أو يوم السبت أو غير ذلك الى القبور ويبخرونها وكذلك يبخرون فى هذه الاوقات وهم يعتقدون ان فى البخور بركة ودفع اذى ورأى كونه طيبا ويعدون من القرايين مثل الذبائح ويرقونه بنحاس يضربونه كانه ناقوس صغير وبكلام مصنف ويصلبون على ابواب بيوتهم الى غير ذلك من الامور المنكرة ولست اعلم جميع مايفعلونه وانما ذكرته لما رأيت كثيرا من المسلمين يفعلونه واصله ماخوذ عنهم حتى انه كان فى مدة الخميس تبقى الاسواق مملوءة من اصوات هذه النواقيس الصغار وكلام الرقاين من المنجمين وغيرهم بكلام اكثره باطل وفيه ما هو محرم او كفر وقد اتى الى جماهير العامة او جميعهم الامن شاء الله وأعنى بالعامة هنا كل من يعلم حقيقة الاسلام فان كثيرا ممن يثبت الى فقه او دين أو قد شارك فى ذلك اتى اليهم ان البخور المرقى ينتفع ببركته من العين والسحر والادواء والهوام ويصورون فى اوراق صور الحيات والعقارب وباصطوتها فى بيوتهم زعماء منهم ان تلك الصور الملعون فاعاها التى لا تدخل الملائكة يتناهى فيه تمنع الهوام وهو ضرب من طلائم الصابئة ثم كثير منهم على ما بلغنى يصاب باب البيت ويخرج خلق عظيم فى الخميس المتقدم على هذا الخميس يبخرون المقابر ويسمون هذا المتأخر الخميس الكبير وهو عند الله الخميس الميهن الحقيق هو واهله ومن يعظمه فان كل ما عظم بالباطل من زمان أو مكان أو حجر أو شجرة أو بنية يجب قصدا هانته كما تهان الاوثان المعبودة وان كانت لولا عبادتها لكانت كسائر الاججار وبما يفعاله الناس من المنكرات انهم يوظفون على الاماكن وظائف أكثرها كرها من الغم والدجاج والبلن والبيض فيجتمع فيها تحريمان اكل مال المسلم أو المعاهد بغير حق واقامة شعار النصارى ويجعلونه ميقاتا لخراج الوكلاء على المزارع ويطحنون فيه ويصبغون فيه البيض وينفقون فيه النفقات الواسعة ويزينون أولادهم الى غير ذلك من الامور التى يقشع منها قلب المؤمن الذى لم يمت قلبه بل يعرف المعروف وينكر المنكر وخلق كثير منهم يضعون ثيابهم تحت السماء رجاء البركة من مريم عليها فهل يستريب من فى قلبه ادنى حياة من الايمان ان شريعة جاءت بما قدمنا بعضه من مخالفة اليهود والنصارى لا يرضى من شرعها ببعض هذه القبائح ويفعلون ما هو أعظم من ذلك يطلون أبواب بيوتهم ودوابهم بالخلق والمقر وغير ذلك من أعظم المنكرات عند الله فالله تعالى يكفيننا شر المبتدعة وبالله التوفيق واصل ذلك كله انما هو اختصاص أعياد الكفار بامر جديد أو مشابهتهم فى بعض أمورهم يوضح ذلك أن الاسبوع الذى يقع فى آخر صومهم يعظمونه جدا خمسه الخميس الكبير وجمعه الجمعة الكبيرة ويجتهدون فى التعبد فيه ما لا يجتهدون فى غيره بمنزلة العشر الاواخر من رمضان فى دين الله ورسوله والاخذ الذى هو أول الاسبوع يصنعون فيه عيدا يسمونه الشمانين هكذا تفل بعضهم عنهم ان الشمانين هو أول أحد فى صومهم يخرجون فيه بورق الزيتون ونحوه يزعمون ان ذلك مشابهة لما جرى للمسيح عايد السلام حين دخل الى بيت المقدس راكبا أمانا مع جمحشها فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فنار

فهذا الخميس الذي يكون في آخر صوم النصارى يدور بدوران صومهم الذي هو سبعة أسابيع وصومهم وان كان في أوائل الفصل الذي تسميه العرب الصيف وتسميه العامة الربيع فانه يتقدم ويتأخر ليس له حد واحد من السنة الشمسية كالمخمس الذي هو في أول نيسان بل يدور في نحو ثلاثة وثلاثين يوما لا يتقدم أوله عن ثاني شباط ولا يتأخر أوله عن ثاني اذار بل يتبدئون من الاثنين الذي هو أقرب الى اجتماع الشمس والقمر في هذه المدة ليراعوا التوقيت الشمسي والهلالي وكل ذلك بدع احدثوها باتفاق منهم خالفوا بها الشريعة التي جاءت بها الانبياء فان الانبياء ما وقتوا العبادات الا بالهلل وانما اليهود والنصارى حرفوا الشرائع تحريفا ليس هذا موضع ذكره ويلي هذا الخميس يوم الجمعة الذي جعلوه بازاء يوم الجمعة التي صلب فيها المسيح على زعمهم الكاذب يسمونها جمعة الصلبوت وبياه ليلة السبت التي يزعمون ان المسيح كان فيها في القبر واطنهم يسمونها ليلة النور وسبت النور ويصنعون مخرفة يروجونها على عامتهم لغلبة الضلال عليهم ويخيلون اليهم ان النور ينزل من السماء في كنيسة القمامة التي بيت المقدس حتى يحملوا ما يوقد من ذلك الضوء الى بلادهم متبركين به وقد علم كل ذى عقل انه مصنوع مفتعل ثم يوم السبت يطلبون اليهود ويوم الاحد يكون العيد الكبير عندهم الذي يزعمون ان المسيح قام فيه ثم الاحد الذي يلي هذا يسمونه الاحد الحديث يلبسون فيه الجدد من ثيابهم ويفعلون فيه أشياء وكل هذه الايام عندهم أيام العيد كما ان يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام وهم يصومون عن الدسم ثم في مقدمة فطرمهم يفطرون او بعضهم على ما يخرج من الحيوان من لبن وبيض ولحم وربما كان أول فطرمهم على البيض ويفعلون في أعيادهم وغيرها من أمور دينهم أقوالا واعمالا لا تنضبط ولهذا تجد تقل العلماء لمقالاتهم وشرائعهم تحتلف وعامتهم يحجج وذلك ان القوم يزعمون ان ما وضعه رؤساء دينهم من الاحبار والرهبان من الدين فقد لزمهم حكمه وصار شرعا شرعه المسيح في السماء فهم في كل مدة ينسخون اشياء ويشرعون اشياء من الايجابات والتحريمات وتأليف الاعتقادات وغير ذلك مخالفا لما كانوا عليه قبل ذلك زعماء منهم ان هذا بمنزلة نسخ الله شريعة بشريعة أخرى فهم واليهود في هذا الباب وغيره على طرفي النقيض اليهود تمنع ان ينسخ الله الشرائع او يبعث رسولا بشريعة تخالف ما قبلها كما أخبر الله عنهم بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبائهم التي كانوا عليها والنصارى تجيز لاجبارهم ورهبانهم شرع الشرائع ونسخها فكذلك لا ينضبط للنصارى شريعة محكمة مستمرة على الازمان وغرضنا لا يتوقف على معرفة تفاصيل باطاهم ولكن يكفينا أن نعرف المنكر معرفة تميز بينه وبين المباح والمعروف، والمستحب والواجب حتى نتمكن بهذه المعرفة من اتقائه واجتنابه كما نعرف سائر المحرمات اذ الفرض علينا تركها ومن لم يعرف المنكر لا جملة ولا تفصيلا لم يتمكن من قصد اجتنابه والمعرفة الجلمية كافية بخلاف الواجبات فان الفرض لما كان فعلا والنهل لا يتأتى الا مفصلا وجبت معرفتها على سبيل التفصيل وانما عدت أشياء من منكرات دينهم لما رأيت طوائف من المسلمين قد ابتلوا ببعضها

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال ولكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه كالقبة والصلاة والصيام فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج فان الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر بل الاعياد هي من أخص ما يميز به الشرائع ومن أظهر ما لها من الشعائر فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر وأظهر شعائره ولا ريب ان الموافقة في هذا قد تنتهي الى الكفر في الجملة وشروطه واما مبدؤها فاعل أحواله ان تكون معصية والى هذا الاختصاص أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان لكل قوم عيدا وان هذا عيدنا وهذا أقبح من مشاركتهم في لبس الزنار ونحوه من علاماتهم فان تلك علامة وضعية ليست من الدين وانما الغرض بها مجرد التمييز بين المسلم والكافر واما العيد وتوابعه فانه من الدين الملعون هو وأهله فالموافقة فيه موافقة فيما يميزون به من أسباب سخط الله وعقابه وان شئت ان تنظم هذا قياسا تمثيلا قلت شريعة من شرائع الكفر أو شعيرة من شعائره فحرمت موافقتهم فيها كسائر شعائر الكفر وشرائعه وان كان هذا ابيّن من القياس الجزئي ثم كلا يختص به ذلك من عبادة وعادة فانما سببه كونه يوما مخصوصا والا فلو كان كسائر الايام لم يختص بشئ وتخصيصه ليس من دين الاسلام في شئ بل كفر به * الوجه الثاني أن ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله لانه اما محدث مبتدع واما منسوخ وأحسن احواله ولا حسن فيه ان يكون بمنزلة صلاة المسلم الى بيت المقدس هذا اذا كان المفعول مما يتدين به واما ما يتبع ذلك من التوسع في العادات من الطعام واللباس واللعب والراحة فهو تابع لذلك العيد الديني كما أن ذلك تابع له في دين الاسلام فيكون بمنزلة ان يتخذ بعض المسلمين عيدا مبتدعا يخرج فيه الى الصحراء ويفعل فيه من العبادات والعادات من جنس المشروع في يومى الفطر والنحر أو مثل ان ينصب بنية يطاف بها ويحج ويصنع لمن يفعل ذلك طعاما ونحو ذلك فلو كره المسلم ذلك لكره غير عادته ذلك اليوم كما يغير أهل البدع عاداتهم في الامور العادية أو في بعضها بصنعه طعاما أو زينة لباس وتوسيع في نفقة ونحو ذلك من غير أن يتعبد بتلك العادة المحذرة لم يكن هذا من أقبح المنكرات فكذلك موافقة هؤلاء المقضوب عليهم والضالين وأشد . نعم هؤلاء بقرون على دينهم المبتدع والمنسوخ مستسرين به والمسلم لا يقر على مبتدع ولا منسوخ لاسرا ولا علانية وأما مشابهة الكفار فكهمشابهة أهل البدع واشد * الوجه الثالث انه اذا سوغ فعل القليل من ذلك ادى الى فعل الكثير ثم اذا اشتهر الشئ دخل فيه عوام الناس وتساوا أصله حتى يصير عادة للناس بل عيدا حتى يضاهي بعيد الله بل قد يزداد عليه حتى يكاد ان يفضى الى موت الاسلام وحياة الكفر كما قد سؤل الشيطان لكثير ممن يدعى الاسلام فيما يفعلونه في آخر صوم النصارى من الهدايا والافراح والنفقات وكسوة الاولاد وغير ذلك مما يصير به مثل عيد المسلمين بل البلاد المتصاقبة للنصارى التي قل علم اهلها وايمانهم قد صار ذلك اغلب عندهم واهبى في نفوسهم من عيد الله ورسوله على ما حدثني به الثقات وان مارأيت به دمشق وماحولها من أرض الشام مع انها اقرب الى العلم والايمان

زيد عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يحسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق وهذا الكلام يشبه كلام عمر بن الخطاب واما رفعه فوضع تين ونقل عن طائفة منهم انهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية قال أبو خلدة كلني ابو العالية بالفارسية وقال منذر انثوري سال رجل محمد بن الحنفية عن الخبز فقال يا جارية اذهبي بهذا الدرهم فاشترى به تينزا فاشترت به تينزا ثم جاءت به يعني الخبز وفي الجملة فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب واكثر ما كانوا يفعلون ذلك اما لكون المخاطب أعجميا أو قد اعتاد العجمية يريدون تقرب الافهام عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لام خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص وكانت صغيرة قد ولدت بارض الحبشة لما هاجر أبوها فكساها النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وقال يا أم خالد هذا سنا والسنا باغة الحبشة الحسن وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال لمن أوجعه بطنه اشكم بدرد وبعضهم يرويه مرفوعا ولا يصح واما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولاهل الدار وللرجل مع صاحبه ولاهل السوق أو للامراء أو لاهل الديوان أو لاهل الفقه فلا ريب ان هذا مكروه فانه من التشبه بالاعاجم وهو مكروه كما تقدم ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة اهلها رومية وارض العراق وخراسان ولغة اهلها فارسية واهل المغرب ولغة اهلها بربرية عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على اهل هذه الامصار مسلمهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ثم انهم تساهلوا في أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولا ريب ان هذا مكروه وانما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى تلقنها الصغار في الدور والمكاتب فيظهر شعار الاسلام وأهله ويكون ذلك أسهل على أهل الاسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد ان ينتقل الى أخرى فانه يصعب واعلم ان اعتياد اللغة تؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا وتؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق وايضا فان نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم الا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ثم منها ما هو واجب على الاعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية وهذا معنى ما رواه ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال كتب عمر الى ابي موسى رضى الله عنه اما بعد فنفقوها في السنة وتقهوا في العربية واعربوا القرآن فانه عربي وفي حديث آخر عن عمر رضى الله عنه انه قال تعلموا العربية فانها من دينكم وتعلموا الفرائض فانها من دينكم وهذا الذي أمر به عمر رضى الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج اليه لان الدين فيه أقوال وأعمال ففقه العربية هو الطريق الى فقه أقواله وفقه السنة هو فقه أعماله واما الاعتبار في مسألة العيد فمن وجوه أحدها ان الاعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه لكل

أحمد أنه لا يترجم وهو قول مالك واسحق والثاني يترجم وهو قول أبي يوسف ومحمد والشافعي وأما
سائر الأذكار فالمنصوص من الأوجهين أنه لا يترجمها ومتى فعل بطلت صلاته وهو قول مالك واسحق
وبعض أصحاب الشافعي والمنصوص عن الشافعي أنه يكره ذلك بغير العربية ولا يبطل ومن أصحابنا من
قال له ذلك إذا لم يحسن العربية وحكم النطق بالعجمية في العبادات من الصلاة والقراءة والذكر كالتلبية
والتسمية على الذبيحة وفي العقود والفسوخ كالنكاح واللعان وغير ذلك معروف في كتب الفقه وأما
الخطاب بها من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالنواحي ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى
بلا ريب وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضا فإنه كره آذمناه ونحوه ومعناه ليس شرما
وأظنه سئل عن الدعاء في الصلاة بالفارسية فكرهه وقال لسان سوء وهو أيضا قد أخذ يحدث عمر
رضي الله عنه الذي فيه النهي عن رطانتهم وعن شهود أعيادهم وهذا قول مالك أيضا فإنه قال لا يحرم
بالعجمية ولا يدعو بها ولا يخلف بها وقال نهى عمر عن رطانة الأعاجم وقال أنها خب فقد استدلل بنهي
عمر عن الرطانة مطلقا وقال الشافعي فيما رواه السلفي بإسناد معروف إلى محمد بن عبد الله بن الحكم قال
سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول سمى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع تجارا ولم تزل
العرب تسميهم التجار ثم ساءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمى الله به من التجارة بلسان العرب
والمعاملة اسم من أسماء العجم فلانحب ان يسمى رجل يعرف العربية تاجرا الا تاجرا ولا ينطق بالعربية
فيسمى شيئا بالعجمية وذلك ان اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب فانزل به كتابه العزيز
وحمله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا نقول ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية ان
يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد ان ينطق بالعجمية فقد كره
الشافعي لمن يعرف العربية ان يسمى بغيرها وان يتكلم بها خالطا لها بالعجمية وهذا الذي ذكره قاله الأئمة
مأثور عن الصحابة والتابعين وقد قدمنا عن عمر وعلى رضي الله عنهما ما ذكرناه وروى أبو بكر بن أبي
شيبه في المصنف حدثنا وكيع عن أبي هلال عن أبي بريدة قال قال عمر ما تعلم الرجل الفارسية الا خب
ولا خب رجل الانقصت مروءته وقال حدثنا وكيع عن ثور عن عطاء قال لا تعلموا رطانة الأعاجم ولا
تدخلوا عليهم كنائسهم فان السخط ينزل عليهم وهذا الذي روينا فيما تقدم عن عمر رضي الله عنه وقال
حدثنا اسماعيل بن علية عن داود بن أبي هند أن محمد بن سعد بن أبي وقاص سمع قوما يتكلمون بالفارسية
فقال ما بال المجوسية بعد الحنيفية وقد روى السلفي من حديث سعيد بن العلاء البردعي حدثنا اسحق بن
إبراهيم البلخي حدثنا عمر بن هارون البلخي حدثنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق ورواه
أيضا بإسناد آخر معروف إلى أبي سهيل محمود بن عمرو والعكبري حدثنا محمد بن الحسن بن محمد المقرئ
حدثنا أحمد بن خليل ببإرخ حدثنا اسحق بن إبراهيم الجريري حدثنا عمر بن هارون عن أسامة بن

الاسواق في اعيادهم فلا بأس بحضوره نص عليه أحمد في رواية منها وقال إنما يمتنعون ان يدخلوا عليهم
بيعهم وكنائسهم فلما ما يباع في الاسواق من المأكّل فلا وان قصد الى توفير ذلك وتحسينه لاجلهم وقال
الخلال في جامعه باب في كراهة خروج المسلمين في أعياد المشركين وذكر عن منها قال سألت أحمد عن
شهود هذه الأعياد التي تكون عندنا بالشام مثل طور يا بور ودير ايوب واشباهه يشهده المسلمون يشهدون
الاسواق ويحبون الغنم فيه والبقر والرقيق والبر والشعير وغير ذلك الا انهم انما يدخلون في الاسواق
يشترون ولا يدخلون عليهم بيعهم قال اذا لم يدخلوا عليهم بيعهم وانما يشهدون السوق فلا بأس وانما
رخص احمد رحمه الله في شهود السوق بشرط ان لا يدخلوا عليهم بيعهم فعلم منه من دخول بيعهم
وكذلك اخذ الخلال من ذلك المنع من خروج المسلمين في اعيادهم فقد نص احمد على مثل ما جاء عن
عمر رضى الله عنه من المنع من دخول كنائسهم في اعيادهم وهو كما ذكرنا من باب التنبيه على المنع من أن
يفعل كفعلهم واما الرطانة وتسمية شهرهم بالاسماء العجمية فقال ابو محمد الكرماني المسمى بحرب باب
تسمية الشهور بالفارسية قلت لاحمد فان للفرس اياما وشهورا يسمونها باسماء لا تعرف فكره ذلك اشد
الكراهة وروى فيه عن مجاهد انه يكره ان يقال آذرماء وذى ماه قلت فان كان اسم رجل اسميه به
فكرهه وقال سألت اسحق قلت تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية مثل آذرماء وذى ماه قال ان لم يكره في
تلك الاسماء اسم يكره فارجو قال وكان ابن المبارك يكره ايزدان يحلف به وقال لا آمن ان يكون اضيف
الى شئ بعيد وكذلك الاسماء الفارسية قال وكذلك اسماء العرب كل شئ مضاف قال وسألت اسحاق مرة
أخرى قلت الرجل يتعلم شهور الروم والفرس قال كل اسم معروف في كلامهم فلا بأس فاقاله أحمد من
كراهة هذه الأسماء له وجهان احدهما اذا لم يعرف معنى الاسم جاز ان يكون معنى محرما فلا ينطق
المسلم بما لا يعرف معناه ولهذا كرهت الرقى العجمية كالعبرانية أو السريانية أو غيرها خوفا ان يكون فيها
معان لا تجوز وهذا المعنى هو الذى اعتبره اسحاق لكن اذا علم أن المعنى مكروه فلا ريب في كراهته وان
جهل معناه فاحمد كرهه وكلام اسحاق يحتمل انه لم يكره والوجه الثاني كراهة أن يتعود الرجل النطق
بغير العربية فان اللسان العربى شعار الاسلام وأهله واللغات من اعظم شعائر الامم التي بها يتميزون ولهذا
كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الادعية التي في الصلاة والذكر ان يدعى الله اويذكر
بغير العربية وقد اختلف الفقهاء في اذكاء الصلاة هل تقال بغير العربية وهي ثلاث درجات اعلاها
القرآن ثم الذكر الواجب غير القرآن كالتحرمة بالاجماع وكالتحليل والتشهد عند من اوجبها ثم الذكر
غير الواجب من دعاء او تسبيح او تكبير وغير ذلك فلما القرآن فلا يقرأه بغير العربية سواء قدر عاينها
أو لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذى لا ريب فيه بل قد قال غير واحد انه يمتنع ان يترجم سورة او ما
يقوم به الاعجاز واختلف ابو حنيفة واصحابه في القادر على العربية واما الاذكار الواجبة فاختلف في
منع ترجمة القرآن هل يترجمها للعاجز عن العربية وعن تعلمها وفيه لاصحاب احمد وجهان اشبههما بكلام

عمر لاتعاموارطاة الاعاجم ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فان السخطة تنزل عليهم وبالسناد عن الثوري عن عوف عن الوليد أو أبي الوليد عن عبد الله بن عمر وقال من بنى ببلاد الاعاجم وصنع نيروزهم ومهرجاناتهم ونشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة وروى بإسناده عن البخاري صاحب الصحيح قال قال لي ابن أبي مريم أنبأنا نافع بن يزيد سمع سليمان بن أبي زبيب وعمرو ابن الحارث سمع سعيد بن سامة سمع أباه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اجتنبوا اعداء الله في عيدهم وروى بإسناد صحيح عن أبي اسامة خدشنا عون عن أبي المغيرة عن عبد الله بن عمرو قال من بنى ببلاد الاعاجم فصنع نيروزهم ومهرجاناتهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة وقال هكذا رواه يحيى بن سعيد وابن أبي عدي وغندر وعبد الوهاب عن عوف بن أبي المغيرة عن عبد الله بن عمرو ومن قوله وبالسناد الى أبي اسامة عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد بن سيرين قال أتني على رضي الله عنه بمثل النيروز فقال ما هذا قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم النيروز قال فاصنعوا كل يوم نيروزا قال أسامة كره رضي الله عنه ان يقول النيروز قال البيهقي وفي هذا الكراهة لتخصيص يوم بذلك لم يجعله الشرع مخصوصا به وهذا عمر رضي الله عنه نهى عن لسانهم وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم فكيف بفعل بعض افعالهم أو بفعل ما هو من مقتضيات دينهم أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة أو ليس بعض أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم فمن يشركهم في العمل أو بعرضه اليس قد يعرض لعقوبة ذلك ثم قوله اجتنبوا اعداء الله في عيدهم اليس نهيا عن لقاءهم والاجتماع بهم فيه فكيف عن عمل عيدهم وأما عبد الله بن عمرو فصرح انه من بنى ببلادهم وصنع نيروزهم ومهرجاناتهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم وهذا يقتضي انه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الامور او جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار وان كان الاول ظاهرا لفظه فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية لانه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزاء من المقتضى اذ المباح لا يعاقب عليه وليس الذم على بعض ذلك مشروطا ببعض لان ابعاض ما ذكره يقتضي الذم مفردا وانما ذكر والله أعلم من بنى ببلادهم لانهم على عهد عبد الله بن عمرو وغيره من الصحابة كانوا ممنوعين من اظهار عيدهم بدار الاسلام وما كان احد من المسلمين يتشبه بهم في عيدهم وانما كان يتمكن من ذلك بكونه في ارضهم وأما على رضي الله عنه فذكره موافقتهم في اسم يوم العيد الذي ينفردون به فكيف بموافقتهم في العمل وقد نص أحمد على معنى ما جاء عن عمر وعلى رضي الله عنهما في ذلك وذكر أصحابه مسألة العيد وقد تقدم قول القاضي ابى يعلى مسألة في المنع من حضور اعيادهم وقال الامام ابو الحسن الآمدي المعروف بابن البغدادي في كتابه عمدة الحاضر وكفاية المسافر فصل لا يجوز شهود اعياد النصارى واليهود نص عليه أحمد في رواية منها واحتج بقوله تعالى والذين لا يشهدون الزور قال الشعاين واعيادهم فالما يبيعون في

في الخلق السابقون في الحساب والدخول الى الجنة كما قد جاء في الصحيح ان هذه الامة أول من يدخل الجنة من الامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم أول من يفتح له باب الجنة وذلك لاننا اوتينا الكتاب من بعدهم فهدينا لما اختلفوا فيه من العيد السابق للعبدن الآخرين وصار عملنا الصالح قبل علمهم فلما سبقناهم الى الهدى والعمل الصالح جمعنا سابقين لهم في ثواب العمل الصالح ومن قال بيدها هنا بمعنى غير فقد أبعد * الوجه السادس من السنة ماروى كريب مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة رضى الله عنها اسأله اى الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت كان يصوم يوم السبت ويوم الاحد اكثر ما كان يصوم من الايام ويقول انهما يوما عيد للمشركين فانا أحب أن أخالفهم رواد أحمد والنسائي وابن أبي عاصم وهو محفوظ من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن كريب وصححه بعض الحفاظ وهذا نص في شرع مخالفتهم في عيدهم وان كان على طريق الاستحباب وسند كريب حديث نهيه عن صوم يوم السبت وتعليل ذلك أيضا لمخالفتهم ونذكر حكم صومه مفردا عند العلماء وانهم متفقون على شرع مخالفتهم في عيدهم وانما اختلفوا هل مخالفتهم يوم عيدهم بالصوم لمخالفة فعابهم أو بالاهمال حتى لا يقصد بصوم ولا يفطر او يفرق بين العيد العربى وبين العيد المعجمى على ما سند كره ان شاء الله تعالى * وأما الاجماع والآثار فمن وجوه * أحدها ما قدمت التنبيه عليه من أن اليهود والنصارى والجوس ما زالوا في أمصار المسلمين بالجزية يفعلون اعيادهم التى لهم والمقتضى لبعض ما يفعلونه قائم في كثير من النفوس ثم لم يكن على عهد السلف من المسلمين من يشركهم في شئ من ذلك فلولا قيام المانع في نفوس الامة كراهة ونهيهم عن ذلك والالوع ذلك كثيرا اذ الفعل مع وجود مقتضيه وعدم مافيه واقع لاحالة والمقتضى واقع فعلم وجود المانع والمانع هنا هو الدين فعلم ان الدين دين الاسلام هو المانع من الموافقة وهو المطلوب * الثانى انه قد تقدم في شروط عمر رضى الله عنه التي اتفقت عليها الصحابة وسائر الفقهاء بعدهم ان أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون اعيادهم في دار الاسلام وسماوا الشعانين والباعوث فاذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من اظهارها فكيف يسوغ للمسلمين فعلها أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها مظهرها لها وذلك انما منعناهم من اظهارها لما فيه من الفساد امالانها معصية أو شعار المعصية وعلى التقديرين فالمسلم ممنوع من المعصية ومن شعائر المعصية ولو لم يكن في فعل المسلم لها من الشر الا تجربة الكافر على اظهارها لقوة قلبه بالمسلم فكيف بالمسلم اذا فعلها فكيف وفيها من الشر ما سنبينه على بعضه ان شاء الله تعالى * الثالث ما تقدم من رواية أبي الشيخ الاصبهاني عن عطاء بن يسار هكذا رأيته ولعله دينار قال قال عمر اياكم ورطانة الاعاجم وان تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم وروى البيهقي بإسناد صحيح في باب كراهة الدخول على أهل الذمة في كنائسهم والتشبه بهم يوم نيروزهم ومهرجاناتهم عن سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن عطاء بن دينار قال قال

كلها اذا لم يوجد مانع خصوصا نفوس الصبيان والنساء واكثر الفارغين من الناس ثم من كان له خبرة بالسيرة علم يقينا ان المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا بشركونهم في شيء من امرهم ولا يغيرون لهم عادة في أعياد الكافرين بل ذلك اليوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين يوم من الايام لا يختصون بشيء اصلا الا ما قد اختلف فيه من مخالفتهم فيه كصومه على ما سياتي ان شاء الله تعالى فلو لا ان المسلمين كان من دينهم الذي تلقوه عن نبيهم منع من ذلك وكف عنه لوجب ان يوجد من بعضهم فعل بعض ذلك لان المقتضى الى ذلك قائم كما يدل عليه الطبيعة والعادة فلو لا المانع الشرعي لوجد مقتضاه ثم على هذا جرى عمل المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين غاية ما كان يوجد من بعض الناس ذهاب اليهم يوم العيد للتزهد بالنظر الى عيدهم ونحو ذلك فهي عمر رضى الله عنه وغيره من الصحابة عن ذلك كما سنده فكيف لو كان بعض الناس يفعل بعض ما يفعلونه او ما هو سبب عيدهم بل لما ظهر من بعض المسلمين اختصاص يوم عيدهم بصوم مخالفة لهم نهى الفقهاء او كثير منهم عن ذلك لاجل ما فيه من تعظيم ما لعيدهم فلا يستدل بهذا على أن المسلمين تلقوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم المنع عن مشاركتهم في أعيادهم وهذا بعد التأمل بين جدا * الوجه الخامس من السنة ما رواه ابو هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالتاس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد متفق عليه وفي لفظ صحيح بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له وعن أبي هريرة وحذيفة رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبانا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبعنا لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم وفي رواية بينهم قبل الخلائق رواه مسلم وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة عيدا في غير موضع ونهى عن افراذه بالصوم لما فيه من معنى العيد ثم ان في هذا الحديث ذكر ان الجمعة لنا كما ان السبت لليهود والاحد للنصارى واللام تقتضى الاختصاص ثم هذا الكلام يقتضى الاقسام اذا قيل هذه ثلاثة أثواب أو ثلاثة غلمان هذا الى وهذا لزيد وهذا لعمر وأوجب ذلك ان يكون كل واحد مختصا بما جعل له لا يشركه فيه غيره فاذا نحن شاركناهم في عيدهم يوم السبت أو عيد يوم الاحد خالفنا هذا الحديث واذا كان في العيد الاسبوعي فكذلك في العيد الحولي اذ لا فرق بل اذا كان هذا في عيد يعرف بالحساب العربي فكيف باعياد الكافرين العجمية التي لاتعرف الا بالحساب الرومي القبطي أو الفارسي أو العبري ونحو ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله اى من أجل كما يروى انه قال انا افصح العرب بيد اى من قریش واسترضعت في بني سعد بن بكر والمعنى والله أعلم أى نحن الآخرون

هو موليتها وقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اوجب ذلك اختصاص كل قوم بوجهتهم وبشرعتهم وذلك ان اللام تورث الاختصاص فاذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد كانوا مختصين به فلا نشركم فيه كما لا نشركم في قبائهم وشرعتهم وكذلك أيضا على هذا لاندعهم يشركوننا في عيدنا * الثاني قوله وهذا عيدنا فانه يقتضى حصر عيدنا في هذا فليس لنا عيد سواء وكذلك قوله وان عيدنا هذا اليوم فان التعريف باللام والاضافة يقتضى الاستغراق فيقتضى ان يكون جنس عبيدنا منحصر في جنس ذلك اليوم كما في قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم وليس غرضه صلى الله عليه وسلم الحصر في عين ذلك العيد او عين ذلك اليوم بل الاشارة الى جنس المشروع كما تقول الفقهاء باب صلاة العيد وصلاة العيد كذا وكذا ويندرج فيها صلاة العيدين وكما يقال لا يجوز صوم يوم العيد وكذا قوله وان هذا اليوم اى جنس هذا اليوم كما يقول القائل لما يعاينه من الصلاة هذه صلاة المسلمين ويقال لخرج المسلمين الى الصحراء وما يفعلونه من التكبير والصلاة ونحو ذلك هذا عيد المسلمين ونحو ذلك ومن هذا الباب حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم عرفة ويوم النحر وايام منى عيدنا أهل الاسلام وهى ايام أكل وشرب رواه أبو داود والنسائي والترمذى وقال حديث حسن صحيح فانه دليل على مفارقتنا كغيرنا في العيد والتخصيص بهذه الايام الخمسة لانه يجتمع فيها العيد ان المكاني والزمانى ويطول زمنه وبهذا يسمى العيد الكبير فلما كانت صفة التعميد حصر الحكم فيه لكامله او لانه هو عد الايام وليس لنا عيد هو ايام الالهة الخمسة * الوجه الثالث انه رخص في لعب الجوارى بالدف وتغنين معللا بان لكل قوم عيدا وان هذا عيدنا وذلك يقتضى ان الرخصة معللة بكونه عيد المسلمين وانها لا تنهدى الى اعياد الكفار ولانه لا يرخص في اللعب في اعياد الكفار كما يرخص فيه في اعياد المسلمين اذ لو كان مافعل في عيدنا من ذلك اللعب يسوغ مثله في اعياد الكفار ايضا لما قيل فان لكل قوم عيدا وان هذا عيدنا لان تعقيب الحكم بالوصف بحرف الفاء دليل على انه علة فيكون علة الرخصة ان كل امة مختصة بعيد وهذا عيدنا وهذه العلة مختصة بالمسلمين فلو كانت الرخصة معلقة باسم عيد لكان الاعم مستقلا بالحكم فيكون الاخص عديم التأثير فلما علل بالاخص علم ان الحكم لا يثبت بالوصف الاعم وهو مسمى عيد فلا يجوز لنا أن نفعل في كل عيد للناس من اللعب ما نفعل في عيد المسلمين وهذا هو المطلوب وهذا فيه دلالة على النهى عن التشبه بهم في اللعب ونحوه * الوجه الرابع من السنة ان ارض العرب مازال فيها يهود ونصارى حتى اجلاهم عمر رضى الله عنه في خلافته وكان اليهود بالمدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد هادهم حتى نقضوا العهد طائفة بعد طائفة وما زال بالمدينة يهود وان لم يكونوا كثيرا فانه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى وكان في اليمن يهود كثير والنصارى بنجران وغيرهما والفرس بالبحرين ومن المعلوم ان هؤلاء كانت لهم اعياد يتخذونها ومن المعلوم ايضا ان المقتضى لما يفعل في العيد من الاكل والشرب واللباس والزينة واللعب والراحة ونحو ذلك قائم في النفوس

صلى الله عليه وسلم بين كونها مكان وثن وكونها مكان عيد وهذا نهى شديد عن ان يفعل شئ من اعياد الجاهلية على اى وجه كان واعياد الكفار من الكتابيين والاميين في دين الاسلام من جنس واحد كما ان كفر الطائفتين سواء في التحريم وان كان بعضه اشد تحريما من بعض ولا يختلف حكمهما في حق المسلم لكن اهل الكتابيين اقرؤا على دينهم مع ما فيه من أعيادهم بشرط ان لا يظهروها ولا شيئاً من دينهم واولئك لم يقرؤا بل اعياد الكنايين التي تتخذ دينا وعبادة اعظم تحريما من عيد يتخذ هوا ولعبا لان التعبد بما يسخطه الله ويكرهه اعظم من اقتضاء الشهوات بما حرمه ولهذا كان الشرك اعظم اثما من الزنا ولهذا كان جهاد اهل الكتاب افضل من جهاد الوثنيين وكان من قتلوله من المسلمين له اجر شهيد وان كان الشارع قد حسم مادة أعياد اهل الاوثان خشية ان يتدنس المسلم بشئ من امر الكفار الذين قد ايس الشيطان ان يقيم امرهم في جزيرة العرب فالخشية من تدينسه باوصاف الكتابيين الباقين اشد والنهى عنه او كد كيف وقد تقدم الخبر الصادق بسلوك طائفة من هذه الامة سيلهم * الوجه الثالث من السنة أن هذا الحديث وغيره قد دل على انه كان للناس في الجاهلية اعياد يجتمعون فيها ومعلوم أنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محاذ الله ذلك عنه فلم يبق شئ من ذلك ومعلوم انه لو لانيه ومنعه لما ترك الناس تلك الاعياد لان المقتضى لها قائم من جهة الطبيعة التي تحب ما يصنع في الاعياد خصوصا أعياد الباطل من اللعب واللذات ومن جهة العادة التي ألفت ما يعود من العيد فان العادة طبيعة ثانية واذا كان المقتضى قائما قويا فالولا المانع القوي لما درست تلك الاعياد وهذا يوجب العلم اليقيني بان امام المتقين كان يمنع امته منعاً قويا عن اعياد الكفار ويسعى في دروسها وطموسها بكل سبيل وليس في اقرار اهل الكتاب على دينهم ابقاء لشئ من اعيادهم في حق امته كما انه ليس في ذلك ابقاء في حق امته لما هم عليه من سائر أعمالهم من سائر كفرهم ومعاصيهم بل قد بالغ صلى الله عليه وسلم في امر امته بمخالفتهم في كثير من المباحات وصفات الطاعات لئلا يكون ذلك ذريعة الى موافقتهم في غير ذلك من امورهم ولتكون المخالفة في ذلك حازما ومانعا من سائر امورهم فان كلما كثرت المخالفة بينك وبين اهل الجحيم كان ابعد عن اعمال اهل الجحيم فليس بعد حرصه على امته ونصحه لهم بابى هو وامى غاية وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون * الوجه الرابع من السنة ما خرجاه في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل على أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تناولت به الانصار يوم بعث قالت وليستا بمغنيات فقال ابو بكر اجزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا وفي رواية ياأبا بكر ان لكل قوم عيدا وان عيدنا هذا اليوم وفي الصحيحين أيضا انه قال دعهما ياأبا بكر فانها ايام عيد وتلك الايام ايام منى فالدلالة من وجوه أحدها قوله ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا فان هذا يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم كما أنه سبحانه لما قال لكل وجهة

على سبب فلا بد ان يكون السبب مندرجا فيه * الثالث انه لو كان الذبح في موضع العيد جائزا لسوغ صلى الله عليه وسلم للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف ان تضرب به بل لا واجب الوفاء به اذا كان الذبح بالمكان المندور واجبا وادا كان الذبح بمكان عيدهم منها عنه فكيف الموافقة في نفس العيد بفعل بعض الاعمال التي تعمل بسبب عيدهم يوضح ذلك ان العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا مابعد السنة او بعود الاسبوع او الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع امورا منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه ومنها اعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقا وكل من هذه الامور قد يسمى عيدا فالزمان كقوله صلى الله عليه وسلم ليوم الجمعة ان هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا والاجتماع والاعمال كقول ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمكان كقوله صلى الله عليه وسلم لاتخذوا قبري عيدا وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وان هذا عيدنا فقول النبي صلى الله عليه وسلم هل بها عيد من اعيادهم يريد اجتماعا معتادا من اجتماعاتهم التي تكون عيدا فلما قال لا قال له اوف بنذرك هذا يقتضى ان كون البقعة مكانا لعيدهم مانع من الذبح بها وان نذر كما ان كونها موضع اوثانهم كذلك والاما انتظم الكلام ولاحسن الاستفصال ومعلوم ان ذلك انما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها بالتعبد فيها او لمشاركتهم في التعبد فيها او لاجياء شعار عيدهم فيها ونحو ذلك اذ ليس الامكان الفعل أو نفس الفعل او زمانه فان كان من اجل تخصيص البقعة وهو الظاهر فالتامه عن تخصيص البقعة لاجل كونها موضع عيدهم ولهذا لما خات عن ذلك اذن في الذبح فيها وقصد التخصيص باق فعلم ان المحذور تخصيص بقعة عيدهم واذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذورا فكيف نفس عيدهم هذا كما انه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الاوثان كان ذلك ادل على النهي عن الشرك وعبادة الاوثان وان كان النهي لان في الذبح هناك موافقة لهم في عمل عيدهم فهو عين مسئلتنا اذ مجرد الذبح هناك لم يكره على هذا التقدير الا بموافقتهم في العيد اذ ليس فيه محذور آخر وانما كان الاحتمال الاول اظهر لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسأله الا عن كونها مكان عيدهم ولم يسأله هل يذبح وقت عيدهم ولانه قال هل كان بها عيد من اعيادهم فعلم انه وقت السؤال لم يكن العيد موجودا وهذا ظاهر فان في الحديث الاخير ان القصة كانت في حجة الوداع وحينئذ لم يكن قد بقي عيد للمشركين فاذا كان صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يذبح بمكان كان الكفار يعملون فيه عيدا وان كان اولئك الكفار قد اسلموا وتركوا ذلك العيد والسائل لا يتخذ المكان عيدا بل يذبح فيه فقط فقد اظهر ان ذلك سد للذريعة الى بقاء شيء من اعيادهم خشية ان يكون الذبح هناك سببا لاجياء امر تلك البقعة وذريعة الى اتخاذها عيدا مع ان ذلك العيد انما كان يكون والله اعلم سوا يتبايعون فيها ويلعبون كما قالت له الانصار يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية لم تكن اعياد الجاهلية عبادة لهم ولهذا فرق النبي

ولافها لا يملك ابن آدم أصل هذا الحديث في الصحيحين وهذا الاسناد على شرط الصحيحين واسناده كلهم ثقات مشاهير وهو متصل بلا عنقنة وبوابة بضم الباء الموحدة من أسفل موضع فيه يقول وضاح الين ايا نخلتى وادى بوابة حبذا * اذا نام حراس النخيل جنا كما

وسياتى وجه الدلالة منه وقال أبو داود فى سننه حدثنا الحسن بن على حدثنا يزيد بن هرون أبانا عبد الله بن يزيد بن مقسم الثقفى من أهل الطائف حدثنى سارة بنت متمم أنها سمعت ميمونة بنت كرم قالت خرجت مع أبى فى حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت الناس يقولون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت ابد بصرى فدنا اليه أبى وهو على ناقه له معه درة كدرة الكتاب فسمعت الاعراب والناس يقولون الطبطبية الطبطبية فدنا اليه أبى فاخذ بقدمه قالت فاقر له ووقف واستمع منه فقال يا رسول الله انى نذرت ان ولد لى ولد ذكر ان انجر على رأس بوابة فى عقبه من الثنايا عدة من الغنم قال لا أعلم الا أنها قالت خمسين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من هذه الاوتان شئ قال لا قال فاوف بما نذرت به لله قال فجمعها فجعل يذبجها فانفلتت منه شاة فطلبها وهو يقول اللهم اوف بنذرى فظفر بها فذبجها قال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن عمرو بن شعيب عن ميمونة بنت كرم بن ثوبان عن ابيها نحوه مختصر شئ منه قال هل بها وثن أو عيد من أعياد الجاهلية قال لا قال قلت ان أمى هذه عليها نذر مشى أفأقضيه عنها وربما قال ابن بشار أنقضيه عنها قال نعم وقال حدثنا مسدد حدثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة عن عبيد الله بن الاخنس عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف قال اوف بنذكرك قالت انى نذرت ان اذبح بمكان كذا وكذا مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية قال لضم قالت لا قال وثن قالت لا قال اوف بنذكرك فوجه الدلالة ان هذا الناذر كان قد نذر ان يذبح نعما اما ابلا واما غنما واما كانت قضيتين بمكان سماه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم هل كان بها وثن من أوتان الجاهلية يعبد قال لا قال فهل كان بها عيد من اعيادهم قال لا فقال اوف بنذكرك ثم قال لاوفاء لنذر فى معصية الله وهذا يدل على ان الذبح بمكان عيدهم ومحل اوتانهم معصية لله من وجوه أحدها ان قوله فاوف بنذكرك تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على ان الوصف هو سبب الحكم فيكون سبب الامر بالوفاء وجود النذر خاليا من هذين الوصفين فيكون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به * الثانى انه اذا عقب ذلك بقوله لاوفاء لنذر فى معصية الله ولولا اندراج الصورة المسئول عنها فى هذا اللفظ العام والالم يكن فى الكلام ارتباط والمنذور فى نفسه وان لم يكن معصية لكن لما سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن الصورتين قال له فاوف بنذكرك يعنى حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك فكان جوابه صلى الله عليه وسلم فيه امراً بالوفاء عند الخلو من هذا ونهى عنه عند وجود هذا واصل الوفاء بالنذر معلوم فبين مالاوفاء فيه واللفظ العام اذا ورد

عدو بس للظالمين بدلا وقوله تعالى وبدلناهم بجنتين الآية وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وقوله تعالى ولا تبدلوا الحديث بالطيب ومنه الحديث في المقبور فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابد لك الله به خيرا منه مقعدا في الجنة ويقال للآخر انظر الى مقعدك من الجنة ابد لك الله به مقعدا من النار وقول عمر رضى الله عنه لبيد ما فعل شعرك قال ابدلني الله به البقرة وآل عمران وهذا كثير في الكلام فقوله صلى الله عليه وسلم قد ابدلكم بهما خيرا يقتضى ترك الجمع بينهما لاسيا وقوله خيرا منهما يقتضى الاعتياض لنا بما شرع لنا عما كان في الجاهلية وايضا فقوله لم ان الله قد ابدلكم لما سألهم عن اليومين فاجابوه بانهما يومان كانوا يلعبون فيهما في الجاهلية دليل على انه نهاهم عنهما اعتياضا بيومى الاسلام اذ لو لم يقصد النهى لم يكن ذكر هذا الابدال مناسبا اذا صل شرع اليومين الواجبين الاسلاميين كانوا يعملونه ولم يكونوا ليتركوه لاجل يومى الجاهلية وفي قول انس ولم يومان يلعبون فيهما وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد ابدلكم بهما يومين خيرا منهما دليل على ان انسا رضى الله عنه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم ابدلكم بهما تعويضا باليومين المبدلين وايضا فان ذينك اليومين الجاهليين ماتا في الاسلام فلم يبق لهما اثر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد خلفائه ولو لم يكن قد نهى الناس عن اللعب فيهما ونحوه مما كانوا يفعلونه لكانوا قد بقوا على العادة اذ العادات لا تغير الا بمغير يزيلها لاسيا وطباع النساء والصبيان وكثير من الناس متشوقة الى اليوم الذى يتخذونه عيداً للبطالة واللعب ولهذا قد يعجز كثير من الملوك والرؤساء عن نقل الناس عن عاداتهم في أعيادهم لقوة مقتضيتها من نفوسهم وتوفر هم الجماهير على اتخاذها فلولا قوة المانع من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانت باقية ولو على وجه ضعيف فعلم ان المانع القوى منه كان ثابتا وكل مانع منه الرسول منعا قويا كان محرماً اذ لا يعنى بالمحرّم الا هذا وهذا امر بين لاشبهة فيه فان مثل ذينك العبيدين لو عاد الناس اليهما بنوع مما كان يفعل فيهما ان رخص فيه كان مراغمة بينه وبين مانهى عنه فهو المطلوب والمحدور في اعياد أهل الكتائب التي نقرهم عليها أشد من المحدور في اعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها فان الامة قد حذروا مشابهة اليهود والنصارى واخبروا ان سيفعل قوم منهم هذا المحدور بخلاف دين الجاهلية فانه لا يعود الا في آخر الدهر عند اخترام انفس المؤمنين عموماً ولو لم يكن أشد منه فانه مثله على ما لا يخفى اذ الشر الذى له فاعل موجود يخاف على الناس منه أكثر من شر لا مقتضى له قوى

* الحديث الثانى مارواه أبو داود حدثنا أبو داود بن رشيد حدثنا شعيب بن اسحق عن الازاعى حدثني يحيى بن ابى كثير حدثني أبو قلابة حدثني ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخر ابلا ببوانة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى نذرت ان انخر ابلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من اعيادهم قالوا لا قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله

مظهر كلاما يخالف الباطن ولهذا فسره السالف تارة بما يظهر حسنه لشبهة اول شهوة وهو قبيح في الباطن فالشرك ونحوه يظهر حسنه للشبهة والغناء نحوه يظهر حسنه لاشهوة واما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة والباطل ولا منفعة فيها في الدين وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها الى ألم فصارت زور او حضورها شهودها واذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية او سماع فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده ثم مجرد هذه الآية فيها الحمد لهؤلاء والثناء عليهم وذلك وحده يفيد الترغيب في ترك شهود أعيادهم وغيرها من الزور ويقتضي الندب الى ترك حضورها وقد يفيد كراهية حضورها لتسمية الله لها زورا فاما تحريم شهودها من هذه الآية ففيه نظر ودلائلها على تحريم فعلها اوجه لان الله سماها زورا وقد ذم من يقول الزور وان لم يضر غيره بقوله في المنظاهرين وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا او قال تعالى واجتنبوا قول الزور ففاعل الزور كذ لك وقد يقال قول الزور ابلغ من فعله لانه اذا مدحهم على مجرد تركهم شهوده دل على ان فعله مذموم عنه معيب اذ لو كان فعله جائزا او الافضل تركه لم يكن في مجرد شهوده او ترك شهوده كبير مدح اذ شهود المباحات لا منفعة فيها وعدم شهودها قليل التأثير وقد يقال هذا مبالغة في مدحهم اذ كانوا لا يحضرون مجالس البطالة وان كانوا لا يفعلون هم الباطل والله تعالى قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا فجعل هؤلاء المنعوتين هم عباد الرحمن وعودية الرحمن واجبة فتكون هذه الصفات واجبة وفيه نظر اذ قد يقال في هذه الصفات مالا يجب ولان المنعوتين هم المستحقون لهذا الوصف على وجه الحقيقة والكمال قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان الحديث وقال ما تدعون المفلس ما تدعون الرقوب ونظائره كثيرة فسواء كانت الآية دالة على تحريم ذلك او كراهته او استحباب تركه حصل أصل المقصود اذا لمقصود بيان استحباب ترك موافقتهم ايضا فان بعض الناس قد يظن استحباب فعل ما فيه موافقة لهم لما فيه من التوسيع على العيال او من اقرار الناس على اكتسابهم ومصالح دنياهم فاذا علم استحباب ترك ذلك وكان اول المقصود واما السنة فروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان قالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد ابد لكم بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر رواه ابو داود بهذا اللفظ حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن حميد عن انس ورواه احمد والنسائي وهذا اسناد على شرط مسلم فوجه الدلالة ان اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة بل قال ان الله قد ابد لكم بهما يومين آخرين والابدال من الشيء يقتضى ترك المبدل منه اذ لا يجمع بين البديل والمبدل منه ولهذا لا تستعمل هذه العبارة الا فيما ترك اجتماعهما كقوله سبحانه وتعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم

التشبه بهم في ذلك فان اقل احوال التشبه بهم ان يكون مكروها وكذلك اقل احوال البدع ان تكون مكروهة ويدل كثير منها على تحريم التشبه بهم في العيد مثل قوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فان موجب هذا تحريم التشبه بهم مطلقا وكذلك قوله خالفوا المشركين ونحو ذلك مثل ما ذكرناه من دلالة الكتاب والسنة على تحريم سبيل المغضوب عليهم والضالين واعبادهم من سبيلهم الى غير ذلك من الدلائل فمن انعطف على ما تقدم من الدلائل العامة نصا واجماعا وقياسا تبين له دخول هذه المسئلة في كثير مما تقدم من الدلائل وتبين له ان هذا من جنس اعمالهم التي هي دينهم أو شعار دينهم الباطل وان هذا محرم كله بخلاف ما لم يكن من خصائص دينهم ولا شعار اله مثل نزع النعائين في الصلاة فانه جائز كما ان لبسهما جائز فتبين له أيضا الفرق بيننا بقينا فيه على عادتنا لم نحدث شيئا نكون موافقين لهم فيه وبين ان نحدث اعمالا اصلها ماخوذ عنهم وقصدنا موافقتهم او لم نقصد واما الطريق الثاني الخاص في نفس اعياد الكفار فالكتاب والسنة والاجماع والاعتبار اما الكتاب فمما تأوله غير واحد من التابعين وغيرهم في قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) فروى أبو بكر الخلال في الجامع بإسناده عن محمد بن سيرين في قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) قال هو الشعانين وكذلك ذكر عن مجاهد قال هو اعياد المشركين وكذلك عن الربيع بن أنس قال هو اعياد المشركين وفي معنى هذا ما روى عن عكرمة قال لعب كان لهم في الجاهلية وقال القاضي أبو يعلى مسئلة في النهي عن حضور أعياد المشركين وروى أبو الشيخ الاصبهاني بإسناده في شروط اهل الذمة عن الضحاك في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور قال اعياد المشركين وبإسناده عن أبي سنان عن الضحاك والذين لا يشهدون الزور كلام الشرك وبإسناده عن جوير عن الضحاك والذين لا يشهدون الزور قال اعياد المشركين وروى بإسناده عن عمرو بن مرة لا يشهدون الزور لا يماثلون اهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم وبإسناده عن عطاء بن يسار قال قال عمر اياكم ورطانة الاعاجم وان تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم وقول هؤلاء التابعين انه اعياد الكفار ليس مخالفا لقول بعضهم انه الشرك أو صنم كان في الجاهلية ولقول بعضهم انه مجالس الخنا وقول بعضهم انه الغناء لان عادة السائف في تفسيرهم هكذا يذكر الرجل نوعا من أنواع المسمى لحاجة المستمع اليه او لينبه به على الجنس كما لو قال العجمي الخبز فيعطى رغيفا ويقال له هذا بالاشارة الى الجنس لا الى عين الرغيف لكن قد قال قوم ان المراد شهادة الزور التي هي الكذب وهذا فيه نظر فانه قال لا يشهدون الزور ولم يقل لا يشهدون بالزور والعرب تقول شهدت كذا اذا حضرته كقول ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول عمر الغنيمة لمن شهد الواقعة وهذا كثير في كلامهم واما شهدت بكذا فعناه اخبرت به ووجهه تفسير التابعين المذكورين أن الزور هو المحسن الموه حتى يظهر بخلاف ما هو عليه في الحقيقة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المتشعب بما لم يعط كلا بس ثوبى زور لما كان يظهر مما يعظم به ما ليس عنده والشاهد بالزور

في الصلاة شريعة كانت لموسى عليه السلام وكذلك اعتزال الحيز ونحو ذلك من الشرائع التي جامعناهم في أصلها وخالفناهم في وصفها ﴿ القسم الثاني ﴾ ما كان مشروعاً ثم نسخ بالكلية كالسبت أو إيجاب صلاة أو صوم ولا يخفى النهي عن موافقتهم في هذا سواء كان واجبا عليهم فيكون عبادة أو محرماً عليهم فينتعلق بالعبادات فليس للرجل أن يمتنع من أكل الشحوم وكل ذي ظفر على وجه الدين بذلك وكذلك ما كان مركباً منهما وهي الأعياد التي كانت مشروعة لهم فإن العيد المشروع يجمع عبادة وهو ما فيه من صلاة أو ذكر أو صدقة أو نسك ويجمع عادة وهو ما يفعل فيه من التوسع في الطعام واللباس وما يتبع ذلك من ترك الأعمال الواصلة واللعب المأذون فيه في الأعياد لمن ينتفع باللعب ونحو ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما زجر أبو بكر رضي الله عنه الحويرثين عن الغناء في بيته قل دعهما يا أبابكر فإن لكل قوم عيداً وإن هذا عيدنا وكان الحبشة يلعبون بالحراب يوم العيد والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم فالأعياد المشروعة يشرع فيها وجوباً واستحباباً من العبادات ما لا يشرع في غيرها ويباح فيها أو يستحب أو يجب من العادات التي للنفس فيها حظ ما لا يكون في غيرها كذلك ولهذا وجب فطر يوم العيد وقرن بالصلاة في أحدهما الصدقة وقرن بها في الآخر الذبح وكلاهما من أسباب الطعام فوافقتهم في هذا القسم المنسوخ من العبادات أو العادات أو كلاهما أقبح من موافقتهم فيما هو مشروع الأصل ولهذا كانت الموافقة في هذا محرمة كما سنذكره وفي الأول قد لا تكون إلا مكروهة ﴿ وأما القسم الثالث ﴾ وهو ما أحدثوه من العبادات أو العادات أو كليهما فهو أقبح وأقبح فأنه لو أحدثه المسلمون لمتد كان يكون قبيحاً فكيف إذا كان مما لم يشرع به قط بل قد أحدثه الكافرون فالموافقة فيه ظاهرة القبح فهذا أصل * وأصل آخر وهو أن كل ما يتشبهون فيه من عبادة أو عادة أو كلاهما فهو من المحدثات في هذه الأمة ومن البدع إذا الكلام فيما كان من خصائصهم وأما ما كان مشروعاً لنا وقد فعله سلفنا السابقون فلا كلام فيه فجميع الأدلة الدالة من الكتاب والسنة والاجماع على قبح البدع وكرامتها تحريماً أو تنزيهاً تدرج هذه المشابهات فيها فيجتمع فيها أنها بدعة محدثة مشابة للكافرين وكل واحد من الوصفين يوجب النهي إذا المشابهة منهي عنها في الجملة ولو كانت في السلف والبدعة المنهي عنها في الجملة ولو لم يفعلها الكفار فإذا اجتمع الوصفان صاراً عاتين مستقلتين في القبح والنهي



فصل

إذا تقرر هذا الأصل في مشابهة الكفار فنقول موافقتهم في أعيادهم لا تجوز من الطريقين الطريق الأول العام هو ما تقدم من أن هذا موافقة لاهل الكتاب فيما ليس من ديننا ولا عادة سلفنا فيكون فيه مفسدة موافقتهم وفي تركه مصلحة مخالفتهم حتى لو كان موافقتهم في ذلك أمراً اتفاقياً ليس مأخوذاً عنهم لكان المشروع لنا مخالفتهم لما في مخالفتهم من المصلحة كما تقدمت الإشارة إليه فمن وافقهم فوات على نفسه هذه المصلحة وإن لم يكن قد أتى بمنسدة فكيف إذا جمعها ومن جهة أنه من البدع المحدثة وهذه الطريق لا ريب أنها تدل على كراهة

الظاهر اذا كان في ذلك مصلحة دينية من دعوتهم الى الدين والاطلاع على باطن امرهم لاجبار المسلمين بذلك أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الصالحة فاما في دار الاسلام والهجرة التي أعز الله فيها دينه وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية ففيها شرعت المخالفة واذا ظهرت الموافقة والمخالفة لهم باختلاف الزمان ظهرت حقيقة الاحاديث في هذا (الوجه الثاني) لو فرضنا ان ذلك لم ينسخ فالتبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان له ان يوافقهم لانه يعلم حقهم من باطلهم بما يعلمه الله اياه ونحن نتبعه فاما نحن فلا يجوز لنا ان نأخذ شيئا من الدين عنهم لا من اقوالهم ولا من أفعالهم باجماع المسلمين المعلوم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ولو قال رجل يستحب لنا موافقة اهل الكتاب الموجودين في زماننا لكان قد خرج عن دين الامة (الوجه الثالث) ان نقول بموجبه كان يعجبه موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم انه امر بمخالفتهم وامرنا نحن ان نتبع هديه وهدى اصحابه السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والكلام انما هو في أنا منهيون عن التشبه بهم فيما لم يكن سلف الامة عليه فاما ما كان سلف الامة عليه فلا ريب فيه سواء فعلوه أو تركوه فانا لانترك ما أمر الله به لاجل ان الكفار تفعله مع ان الله لم يأمرنا بشيء يوافقونا عليه الا ولا بد من نوع مغايرة يتميز بها دين الله المحكم مما قد نسخ أو بدل

فصل

قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة والاجماع والآثار والاعتبار ما دل على ان التشبه بهم في الجملة منهي عنه وان مخالفتهم في هديهم مشروع اما اجبا واما استحبابا بحسب المواضع وقد تقدم بيان ان ما أمر به من مخالفتهم مشروع سواء كان ذلك الفعل مما قصد فعله التشبه بهم أو لم يقصد وكذلك ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما اذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد فان عامة هذه الاعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها وفيها ما لا يتصور قصد المشابهة فيه كيباض الشعرو طول الشارب ونحو ذلك ثم اعلم أن أعمالهم ثلاثة اقسام قسم مشروع في ديننا مع كونه كان مشروعاً لهم ولا يعلم انه كان مشروعاً لهم لكنهم يفعلونه الآن وقسم كان مشروعاً ثم نسخه شرع القرآن وقسم لم يكن مشروعاً بحال وانما هم احدثوه وهذه الاقسام الثلاثة اما أن تكون في العبادات المحضة واما ان تكون في العادات المحضة وهي الآداب واما ان تجمع العبادات والعبادات فهذه تسعة اقسام فاما القسم الاول وهو ما كان مشروعاً في الشريعتين أو ما كان مشروعاً لما وهم يفعلونه فهذا كصوم عاشوراء أو كاصل الصلاة والصيام فهنا تقع المخالفة في صفة ذلك العمل كما سن لنا صوم تاسوعاء وعاشوراء وكما أمرنا بتعجيل الفطر والمقرب مخالفة لاهل الكتاب وبتأخير السحور مخالفة لاهل الكتاب وكما أمرنا بالصلاة في النعالين مخالفة لليهود وهذا كثير في العبادات وكذلك في العادات قال صلى الله عليه وسلم لا أحد لنا والشق لغيرنا وسن توجيه قبور المسلمين الى الكعبة تميزا لها عن مقابر الكافرين فان أصل الدفن من الامور المشروعة في الامور العادية ثم قد اختلفت الشرائع في صفته وهو ايضا فيه عبادات ولباس النعل في الصلاة فيه عبادات وعادة وزرع النعل

أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ وهو الذي روى قوله نحن أحق بموسى منكم أشد الصحابة رضى الله عنهم أمرا بمخالفة اليهود في صوم يوم عاشوراء وقد ذكرنا أنه هو الذي روى شرع المخالفة وروى أيضا مسلم في صحيحه عن الحكم بن الأعرج قال انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداء في زمزم فقلت له أخبرني عن صيام يوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صائما قلت هكذا كان يصومه محمد قال نعم وروى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع يعني يوم عاشوراء ومعنى قول ابن عباس صم التاسع يعني والعاشر خالفوا اليهود هكذا ثبت عنه وعليه بمخالفة اليهود قال يحيى بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع عطاء سمع ابن عباس يقول صوموا التاسع والعاشر خالفوا اليهود وروينا في فوائد داود بن عمرو عن اسمعيل بن علية قال ذكروا عند ابن أبي نجيح أن ابن عباس كان يقول يوم عاشوراء يوم التاسع فقال ابن أبي نجيح إنما قال ابن عباس أكره أن تصوم يوما فارقا ولكن صوموا قبله يوما أو بعده يوما ويحقق ذلك ما رواه الترمذى عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم عاشوراء العاشر من المحرم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى سعيد في سننه عن هشيم عن ابن أبي ليلى عن دواد بن علي عن أبيه عن جده ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا يوما قبله أو يوما بعده رواه أحمد ولفظه صوموا قبله يوما أو بعده يوما ولهذا نص أحمد على مثل ما رواه ابن عباس وافق به فقال في رواية الأثرم أنا اذهب في يوم عاشوراء أن يصام يوم التاسع والعاشر حديث ابن عباس صوموا التاسع والعاشر وقال حرب سألت أحمد عن صوم يوم عاشوراء فقال نصوم التاسع والعاشر وقال في رواية الميموني وأبى الحارث من أراد أن يصوم عاشوراء صام التاسع والعاشر إلا أن تشكل الشهور فيصوم ثلاثة أيام ابن سيرين يقول ذلك وقد قال بعض أصحابنا أن الأفضل صوم التاسع والعاشر وإن اقتصر على العاشر لم يكره ومقتضى كلام أحمد أنه يكره الافتصار على العاشر لأنه سئل عنه فأفتي بصوم اليومين وأمر بذلك وجعل هذا هو السنة لمن أراد صوم عاشوراء وتابع في ذلك حديث ابن عباس وابن عباس كان يكره أفراد العاشر على ما هو مشهور عنه ومما يوضح ذلك أن كل ما جاء من التشبه بهم مما كان في صدر الهجرة ثم نسخ ذلك لأن اليهود إذا كانوا لا يميزون عن المسلمين لا في شعور ولا في لباس لا بعلامة ولا غيرها ثم أنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والاجماع الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما شرعه الله من مخالفة الكافرين ومفارقة قتهم في الشعائر والهدى وسبب ذلك أن المخالفة لهم لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد والزمامم بالجزية والصغار فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لم يشرع المخالفة لهم فلم يكل الدين وظهر وعلا شرع ذلك ومثل ذلك اليوم لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب لم يكن مأمورا بالمخالفة لهم في الهدى الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر بل قد يستحب للرجل أو يجب عليه أن يشاركهم أحيانا في هديهم

تصدقوهم ولا تكذبوهم * المقدمة الثانية أن لا يكون في شرعنا بيان خاص لذلك فاما اذا كان فيه بيان خاص بالموافقة أو بالخلافة استغنى عن ذلك فيما ينهى عنه من موافقتهم ولم يثبت انه شرع لمن كان قبلنا وان ثبت فقد كان هدى نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بخلافه وبهم أمرنا نحن أن نتبع ونقتدى وقد أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن يكون هدينا مخالفاً لهدى اليهود والنصارى وانما تجيء الموافقة في بعض الاحكام العارضة لافي الهدى الراتب والشعار الدائم ثم ذلك بشرط أن لا يكون قد جاء عن نبينا وأصحابه خلافه أو ثبت أصل شرعه في ديننا وقد ثبت عن نبي من الانبياء أصله أو وصفه مثل فداء من نذر أن يذبح ولده بشاة ومثل الختان المأمور به في ملة ابراهيم عليه السلام ونحو ذلك وليس الكلام فيه وأما حديث عاشوراء فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه قبل استخباره لليهود وكانت قريش تصومه ففي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصومه فلما فرض صوم شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه وفي رواية وكان يوم تستر فيه الكعبة وأخرجاه من حديث هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه وفيها عن عبد الله بن عمر ان أهل الجاهلية كانوا يصومون عاشوراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان فلما فرض رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه فاذا كان أصل صومه لم يكن موافقاً لأهل الكتاب فيكون قوله فنحن أحق بموسى منكم تأكيذا لصومه وبياناً لليهود ان الذي يفعلونه من موافقة موسى نحن أيضاً نفعله فنكون أولى بموسى منكم ثم الجواب عن هذا وعن قوله كان يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ من وجوه أحدها ان هذا كان متقدماً ثم نسخ الله ذلك وشرع له مخالفة أهل الكتاب وأمره بذلك وفي متن هذا الحديث انه سدل شعره موافقة لهم ثم فرق شعره ولهذا صار الفرق شعار المسلمين وكان من الشروط المشروطة على أهل الذمة لا يفرقوا شعورهم وهذا كما ان الله شرع في أول الامر استقبال بيت المقدس موافقة لأهل الكتاب ثم انه نسخ ذلك وأمره باستقبال الكعبة وأخبر عن اليهود وغيرهم من السفهاء انهم سيقولون ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وأخبر انهم لا يرضون عنه حتى يتبع قبلتهم وأخبره انه ان اتبع أهواءهم من بعد ما جاءه من العلم ماله من الله من ولى ولا نصير وأخبر أن لكل وجهة هو موليها وكذلك أخبره في غير موضع انه جعل لكل شرعة ومنهاجا فالشعار من جملة الشرعة والذي يوضح ذلك أن هذا اليوم عاشوراء الذي صامه وقال نحن احق بموسى منكم فقد شرع قبيل موته مخالفة اليهود في صومه وأمر صلى الله عليه وسلم بذلك ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما وهو الذي كان يقول كان يعجبه موافقة

يجر رداءه حتى دخل المسجد ثم نودى أن الصلاة جامعة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس إن الرب رب واحد والاب اب واحد والدين دين واحد وإن العربية ليست لأحدكم باب ولا أم إنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي فقام معاذ بن جبل فقال بيم تأمرنا في هذا المناق فقال دعه إلى النار فكان قيس ممن ارتد فقتل في الردة هذا الحديث ضعيف وكانه مركب على مالك لكن معناه ليس ببعيد بل هو صحيح من بعض الوجوه كما قدمناه ومن تأمل ما ذكرناه في هذا الباب عرف مقصود الشريعة فيما ذكرنا من الموافقة المأمور بها والمخالفة المنهى عنها كما تقدمت الدلالات عليه وعرف بعض وجوه ذلك وأسبابه وبعض مافيه من الحكمة

فصل

فإن قيل ما ذكرتموه من الأدلة معارض بما يدل على خلافه وذلك أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه ولقوله فبهذا هم اقتده وقوله أتبع ملة إبراهيم وقوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وغير ذلك من الدلائل المذكورة في غير هذا الموضع مع أنكم مسلمون لهذه القاعدة وهي قول عامة السانف وجمهور الفقهاء ومعارض بما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكراً لله فنحن نصومه تعظيماً له فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أحق بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بصيامه متفق عليه وعن أبي موسى قال كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيداً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصوموه أتم متفق عليه وهذا لفظ مسلم ولفظ البخاري تعظمه اليهود وتتخذ عيداً وفي لفظ له كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حلبيهم وشارتهم وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يسدلون أشرعهم وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ وسدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناصيته ثم فرق بعد متفق عليه قيل أما المعارضة بكون شرع من قبلنا شرعاً لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه فذاك مبنى على مقدمتين كلتاها منفية في مسألة التشبه بهم أحدهما أن يثبت أن ذاك شرع لهم بنقل موثوق به مثل أن يخبرنا الله في كتابه أو على لسان رسوله أو ينقل بالتواتر ونحو ذلك فأما مجرد الرجوع إلى قولهم أو إلى ما في كتبهم فلا يجوز بالاتفاق والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان قد استخبرهم فأخبروه ووقف على ما في التوراة فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما يصدقون كما أخبرهم بكتبهم غير مرة وأما نحن فلا نؤمن أن يحدثونا بالكذب فيكون فاسق بل كافر قد جاءنا نبأ فاتبعناه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا حدثكم أهل الكتاب فلا

الانساب ثلاثة أقسام قوم من نسل العرب وهم باقون على العربية لسانا وداراً أو لسانا لا داراً أو داراً لا لسانا وقوم من نسل العرب بل من نسل بنى هاشم ثم صارت العربية لسانهم ودارهم أو أحدهما وقوم مجهولون الاصل لا يدرون أمن نسل العرب هم أم من نسل العجم وهم أكثر الناس اليوم سواء كانوا عرب الدار واللسان أو نجماً في أحدهما وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام قوم يتكلمون بالعربية لفظاً ونعمة وقوم يتكلمون بها لفظاً لانعمة وهم المتعربون الذين ماتعلموا اللغة ابتداء من العرب وانما اعتادوا غيرها ثم تعلموها كغالب أهل العلم ممن تعلم العربية وقوم لا يتكلمون بها الا قليلا وهذا القسمان منهم من تغلب عليه العربية ومنهم من تغلب عليه العجمية ومنهم من قد يتكافأ في حقه الامران اما قدرة واما عادة فاذا كانت العربية قد انقسمت نسباً ولساناً وداراً فان الاحكام تختلف باختلاف هذا الانقسام خصوصاً النسب واللسان فان ما ذكرناه من تحريم الصدقة على بنى هاشم واستحقاق نصيب من الخمس ثبت لهم باعتبار النسب وان صارت ألسنتهم عجمية وما ذكرنا من حكم اللسان العربي واخلاق العرب يثبت لمن كان كذلك وان كان أصله فارسياً ويتنقى عن لم يكن كذلك وان كان أصله هاشمياً والمقصود هنا أن ما ذكرته من النهي عن التشبه بالاعاجم انما العبرة بما كان عليه صدر الاسلام من السابقين الاولين فكل ما كان الى هداهم أقرب فهو المفضل وكل ما خالف ذلك فهو المخالف سواء كان المخالف ذلك اليوم عربي النسب أو عربي اللسان وهكذا جاء عن السلف فروى الحافظ أبو طاهر السلفي في فضل العرب باسناده عن ابن شهاب الخطاط حدثنا جبار بن موسى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال من ولد في الاسلام فهو عربي وهذا الذي يروى عن أبي جعفر لان من ولد في الاسلام فقد ولد في دار العرب واعتاد خطابها هكذا كان الامر وروى السلفي عن المؤتمر الساجي عن أبي القاسم الخلال انبأنا أبو محمد الحسن بن الحسين التوحي حدثنا علي بن عبدالله بن بشر حدثنا محمد بن حرب النشائي حدثنا اسحاق الازرق عن هشام بن حسان عن الحسن بن علي هريرة يرفعه قال من تكلم بالعربية فهو عربي ومن ادرك له اثنان في الاسلام فهو عربي هكذا فيه واطنه ومن ادرك له أبوان فهذا ان صح هذا الحديث فقد علقت العربية فيه بمجرد اللسان وعلقت في النسب بأن يدرك له أبوان في الدولة الاسلامية العربية وقد يحتاج بهذا القول أبو حنيفة ان من ليس له أبوان في الاسلام او في الحرية ليس كفواً لمن له أبوان في ذلك وان اشتركوا في العجمية والعنافة وهو مذهب أبي يوسف ذوالاب كندى الابوين ومذهب الشافعي وأحمد لاعتبار بذلك ونص عليه أحمد وقد روى السلفي من حديث الحسن بن رشيق حدثنا أحمد بن الحسن بن هارون حدثنا العلاء بن سالم حدثنا قرة بن عيسى الواسطي حدثنا أبو بكر الهذلي عن مالك بن انس عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جاء قيس بن مطاطة الى حلقه فيها صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي فقالوا هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلاييه ثم اتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضباً

أحدهما أن الذي يجب على المسلم إذا نظر في الفضائل أو تكلم فيها أن يسلك سبيل العاقل الذي غرضه أن يعرف الخير ويحراه جهده وليس غرضه الفخر على أحد ولا الغمط من أحد فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حماد الجاشعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد فهي سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق وهي الفخر والبغي لأن المستطيل أن استطال بحق فقد افتخر وإن كان بغير حق فقد بنى فلا يحل لاهذا ولا هذا فإن كان الرجل من الطائفة الفاضلة مثل أن يذكر فضل بني هاشم أو قریش أو العرب أو الفرس أو بعضهم فلا يكون حظه استشعار فضل نفسه والنظر إلى ذلك فانه مخطئ في هذا لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص كما قدمناه قرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قریش ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل فضلا عن أن يستعلى عبد أو يستطيل وإن كان من الطائفة الأخرى مثل العجم أو غير قریش أو غير بني هاشم فليعلم أن تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وطاعته فيما أمر ومحبة ما أحبه والتشبه بمن فضله الله والقيام بالدين الحق الذي بعث الله به محمداً يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة وهذا هو الفضل الحقيقي وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان وقائواله يبدأ أمير المؤمنين بنفسه فقال لا ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى فبدأ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من يليهم حتى جاءت نوبته في بني عدي وهم متأخرون عن أكثر بطون قریش ثم هذا الاتباع للحق ونحوه قدمه على عامة بني هاشم فضلا عن غيرهم من قریش الثاني أن اسم العرب والعجم قد صار فيه اشتباه فانا قد قدمنا أن اسم العجم يعم في اللغة كل من ليس من العرب ثم لما كان العلم والإيمان في أبناء فارس أكثر منه في غيرهم من العجم كانوا أفضل الاعاجم فغلب لفظ العجم في عرف العامة المتأخرين عليهم فصارت حقيقة عرفية عامة فيهم واسم العرب في الأصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف أحدها أن لسانهم كان باللغة العربية الثاني أنهم كانوا من أولاد العرب الثالث أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة ومن أقصى حبر باليمن إلى وائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام وفي هذه الأرض كانت العرب حيناً للبعث وقبله فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر وغيرهم ثم انقسمت هذه البلاد قسمين منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى لا تعرف عامتهم غيره أو يعرفونه وغيره مع ما دخل في لسان العرب من اللحن وهذه غالب مساكن الشام والعراق ومصر والاندلس ونحو ذلك واطن أرض فارس وخراسان كانت هكذا قديماً ومنها ما للعجمية كثيرة فيهم أو غالبية عليهم كبلاد الترك وخراسان وأرمينية وأذربيجان ونحو ذلك فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو عربي ابتداء وإلى ما هو عربي انتقلا وإلى ما هو عجمي وكذلك

وما عاد اليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها ومن تشبه من العرب بالعجم لحق بهم ومن تشبه من العجم بالعرب لحق بهم ولهذا كان الذين تناولوا العلم والايمان من أبناء فارس انما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف بلوازمه من العربية وغيرها ومن نقص من العرب انما هو بخلفهم عن هذا واما بموافقتهم للعجم فيما السنة ان يخالفوا فيه فهذا أوجه * وايضا فان الله لما انزل كتابه بالاسان العربي وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بالسانه العربي وجعل السابقين الى هذا الدين متكلمين به لم يكن سييل الى ضبط الدين ومعرفة الا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين وصار اعتياد التكلم به اسهل على أهل الدين في معرفة دين الله واقرب الى اقامة شعائر الدين واقرب الى مشابعتهم للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار في جميع امورهم وسندكر ان شاء الله بعض ما قاله العلماء من الامر بالخطاب العربي وكراهة مداومة غيره لغير حاجة واللسان تقارنه أمور أخرى من العلوم والاخلاق فان العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله وفيما يبكره فلهذا ايضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم واعمالهم وكراهة الخروج عنها الى غيرها من غير حاجة فخالصه ان النهى عن التشبه بهم لما يفضي اليه من فوت الفضائل التي جعلها الله للسابقين الاولين او حصول النقائص التي كانت في غيرهم ولهذا لما علم المؤمنون من أبناء فارس وغيرهم هذا الامر أخذ من وفقه الله منهم نفسه بالاجتهاد في تحقيق المشابهة بالسابقين فصار أولئك من أفضل التابعين باحسان الى يوم القيامة وصار كثير منهم أئمة لكثير من غيرهم ولهذا كانوا يفضلون من الفرس من رأوه اقرب الى متابعة السابقين حتي قال الاصمعي فيما رواه عنه أبو طاهر الساني في كتاب فضل الفرس على عجم اصبهان قريش العجم وروى أيضا الساني باسناد معروف عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن اسامة بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لو اني لم أكن من قريش لاجبت أن اكون من فارس ثم اجبت أن اكون من اصبهان وروى باسناد آخر عن سعيد بن المسيب قال لو لا أني رجل من قريش لتميت أن اكون من أهل اصبهان لقول النبي صلى الله عليه وسلم لو كان الدين معلقا بالثرى لتناوله ناس من فارس من أبناء العجم اسعد الناس بها فارس وأصبهان قالوا وكان سلمان الفارسي من أهل اصبهان وكذلك عكرمة مولى ابن عباس وغيرها فان آثار الاسلام كان باصبهان اظهر منها بغيرها حتي قال الحافظ عبد القادر الرهاوي رحمه الله ما رأيت بلدا بعد بغداد أكثر حديثا من اصبهان وكان أئمة السنة علما وفقهاً والعارفون بالحديث وسائر الاسلام المحض فيهم أكثر من غيرهم حتي انه قيل ان قضائهم كانوا من فقهاء الحديث مثل صالح بن احمد بن حنبل ومثل أبي بكر بن أبي عاصم ومن بعدهم وانا لأعلم حالهم بآخره وكذلك كل مكان او شخص من أهل فارس يمدح المدح الحقيقي انما يمدح لمشابهة السابقين حتي قد يختلف في فضل شخص على شخص أو قول على قول أو فعل على فعل لاجل اعتقاد كل من المختلفين ان هذا أقرب الى طريق السابقين الاولين فان الأمة مجمعة على هذه القاعدة وهي فضل طريقة العرب السابقين وان الفاضل من تبعهم وهو المطلوب هنا وانما يتم الكلام بامريرين

باقر بهم فاقربهم نسبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضت العرب ذكر العجم هكذا كان الديوان
 على عهد الخلفاء الراشدين وسائر الخلفاء من بنى أمية وولد العباس الى أن تغير الامر بعد ذلك ﴿وسبب﴾
 هذا الفضل والله أعلم ما اختصوا به في عقولهم والسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم وذلك ان الفضل اما بالعلم النافع
 واما بالعمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والنهم وتنام وهو قوة المنطق الذي
 هو البيان والعبارة والعرب هم افهم من غيرهم واحفظ واقدر على البيان والعبارة ولسانهم اتم الالسنه
 بيانا وتميزا للمعاني جمعا وفرقا يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اذا شاء المتكلم الجمع ثم يميز بين كل
 شيئين مشتبهيين بلفظ آخر يميز مختصرا كما نجد في لغتهم من جنس الحيوان فانهم مثلا يعبرون عن القدر المشترك
 بين الحيوان بعبارات جامعة ثم يميزون بين أنواعه في اسماء كل أمر من أموره من الاصوات والاولاد
 والمساكن والاظفار الى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا يستراب فيها وأما العمل فان مبناه
 على الاخلاق وهي الفرائض المخلوقة في النفس وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم فهم أقرب للسخاء
 والحلم والشجاعة والوفاء وغير ذلك من الاخلاق المحمودة لكن كانوا قبل الاسلام طبيعة قابلة للخير
 معطاة عن قوه ليس عندهم علم منزل من السماء ولا شريعة موروثة عن نبي ولا هم ايضا مشغولون ببعض
 العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب ونحوهما انما علمهم ماسمحت به قرائنهم من الشعر والخطب وما
 حفظوه من أنسابهم وأيامهم وما احتاجوا اليه في دنياهم من الانواء والنجوم او من الحروب فلما بعث
 محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي ما جعل الله في الارض ولا يجعل منه اعظم قدرا وتلقوه عنه بعد
 مجاهدته الشديدة لهم ومعالجتهم على نقاهتهم عن تلك العادات الجاهلية والظلمات الكفرية التي كانت قد
 أحالت قلوبهم عن فطرتها فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم زالت تلك الريبون عن قلوبهم واستنارت
 بهدى الله الذي انزل فاحذوا هذا الهدى العظيم بتلك الفطرة الجيدة فاجتمع لهم الكمال بالقوة
 المخلوقة فيهم والكمال الذي انزل الله اليهم بمنزلة ارض جيدة في نفسها لكن هي معطاة عن الحرث
 أو قد نبت فيها شجر العوض والعوسج وصارت مأوى الخنازير والسباع فاذا ظهرت عن المؤذى من
 الشجر والدواب وازدعر فيها أفضل الجبوب والثمار جاء فيها من الحرث مالا يوصف مثله فصار السابقون
 الاولون من المهاجرين والانصار افضل خلق الله بعد الانبياء وصاروا افضل الناس بعدهم من تبعهم
 باحسان الى يوم القيامة من العرب والعجم وكان الناس اذ ذاك الخارجون عن هذا الكمال قسمين اما
 كافر من اليهود والنصارى لم يقبل هدى الله واما غيرهم من العجم الذين لم يشركوهم فيما فطروا عليه وكان
 عامة العجم حينئذ كفارا من الفرس والروم فجاءت الشريعة باتباع أولئك السابقين على الهدى الذي
 رضيه لهم وبمخالفة من سواهم اما لمعصيته واما لتقيسته واما لانه مظنة النقيصة فاذا نهت الشريعة عن مشابهة
 الاعاجم دخل في ذلك ما عليه الاعاجم الكفار قديما وحديثا ودخل في ذلك ما عليه الاعاجم المسلمون مما
 لم يكن عليه السابقون الاولون كما يدخل في مسمى الجاهلية العربية ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الاسلام

روى عبد الله بن أحمد في مسند أبيه حدثنا اسماعيل ابو معمر حدثنا اسماعيل بن عياش عن زيد بن جيرة عن داود بن الحصين عن عبيد الله بن أبي نافع عن علي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفيض العرب الا منافق وزيد بن جيرة عندهم منكر الحديث وهو مدني ورواية اسماعيل بن عياش عن غير الشاميين مضطربة * وكذلك روى ابو جعفر محمد بن عبد الله الحافظ الكوفي المعروف بمطين حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي حدثنا يحيى بن يزيد الاشعري حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي قال الحافظ السلفي هذا حديث حسن فما أدري أراد حسن اسناده على طريقة المحدثين او حسن مثنه على الاصطلاح العام وأبو الفرج بن الجوزي ذكر هذا الحديث في الموضوعات وقال قال الثعابي لأصله وقال ابن حبان يحيى بن يزيد يروى المقلوبات عن الاثبات فبطل الاحتجاج به والله اعلم * وايضا في المسئلة ماروى أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ابو أحمد حدثنا عبد الجبار ابن العباس وكان رجلا من اهل الكوفة يميل الى الشيعة وهو صحيح الحديث مستقيم وهذا والله أعلم كلام البزار عن أبي اسحق عن أوس بن ضميج قال قال سلمان نفضلكم يا معاشر العرب لتفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم لا تكبح نساءكم ولا تؤمكم في الصلاة وهذا اسناد جيد وابو أحمد هو والله أعلم محمد بن عبد الله الزيري من أعيان العلماء الثقات وقد أتى على شيخه والجوهري وابو اسحق السبيعي اشهر من ان يثنى عليهما واوس بن ضميج ثقة روى له سلم وقد اخبر سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العرب فاما انشاء واما اخبار فانشاءه صلى الله عليه وسلم حكم لازم وخبره حديث صادق وتام الحديث قد روى عن سلمان من غير هذا الوجه رواه الثوري عن أبي اسحق عن أبي ليلى الكندي عن سلمان الفارسي انه قال فضلتهمونا يا معاشر العرب بأئسين لانؤمكم ولا تكبح نساءكم رواه محمد بن أبي عمر العدني وسعيد في سننه وغيرهما وهذا مما احتج به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة الى المعجمي واحتج به أحمد في إحدى الروايتين على ان الكفاءة ليست حقا لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى انه يفرق بينهما عند عدمها واحتج أصحاب الشافعي وأحمد بهذا على أن الشرف مما يستحق به التقديم في الصلاة ومثل ذلك مارواه محمد بن أبي عمر العدني * حدثنا سعيد بن عبيد انبا ناعلي بن ربيعة عن ربيع بن فضالة انه خرج في اثني عشر ركبا كلهم قد صحب محمد صلى الله عليه وسلم وغيره وفيهم سلمان الفارسي وهم في سفر فحضرت الصلاة فتدافع القوم اليهم يصلي بهم فصلى بهم رجل منهم أربعة فلما انصرف قال سلمان ماهذا ماهذا مرارا نصف المربوعة قال مروان يعني نصف الاربع نحن الى التخفيف أفقر فقال له القوم صل بنا يا أبا عبد الله أنت أحننا بذلك فقال لا أتم بنو اسماعيل الاثمة ونحن الوزراء وفي المسئلة آثار غير ما ذكرته في بعضها نظر وبعضها موضوع وأيضا فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما وضع ديوان العطاء كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ

عنك من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم كان في هذا تنبيه لمن انتسب بهؤلاء الثلاثة ان لا يغتروا بالنسب ويتكروا الكلم الطيب والعمل الصالح وهذا دليل على ان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر أو سبب الكفر ومقتضاه انهم أفضل من غيرهم وان محبتهم سبب قوة الايمان لانه لو كان تحريم بغضهم كتحريم بغض سائر الطوائف لم يكن ذلك سببا لفراق الدين ولا لبغض الرسول بل كان يكون نوع عدوان فلما جعله سببا لفراق الدين وبغض الرسول دل على ان بغضهم أعظم من بغض غيرهم وذلك دليل على انهم أفضل لان الحب والبغض يتبع الفضل فمن كان بغضه أعظم دل على أنه أفضل ودل حينئذ على ان محبته دين لاجل ما فيه من زيادة الفضل ولان ذلك ضد البغض ومن كان بغضه سببا للعدا ب لخصوصه كان حبه سببا للثواب وذلك دليل على الفضل وقد جاء ذلك مصر حاه في حديث آخر رواه أبو طاهر السلفي في فضل العرب من حديث أبي بكر بن أبي داود حدثنا عيسى بن حماد زغبة حدثنا علي بن الحسن الشامي حدثنا خليد بن دعاج عن يونس بن عبيد عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما من الكفر وحب العرب من الايمان وبغضهم من الكفر وقد احتج حرب الكرماني وغيره بهذا الحديث وذكروا لفظه حب العرب ايمان وبغضهم نفاق وكفر وهذا الاسناد وحده فيه نظر لكن لعله روى من وجه آخر وانما كتبه لموافقته معنى حديث سلمان فانه قد صرح في حديث سلمان بان بغضهم نوع كفر ومقتضى ذلك ان حبه نوع ايمان فكان هذا موافقا له ولذلك قد رويت أحاديث التكررة ظاهرة عليها مثل ما رواه الترمذي من حديث حصين بن عمر عن مخارق بن عبد الله عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حصين بن عمر الاحمسي عن مخارق وليس حصين عند أهل الحديث بذلك القوي ﴿ قلت ﴾ هذا الحديث معناه قريب من معنى حديث سلمان فان الغش للنوع لا يكون مع محبتهم بل لا يكون الا مع استخفاف او مع بغض فليس معناه بعيدا لكن حصين هذا الذي رواه قد انكر أكثر الحفاظ أحاديثه قال يحيى بن معين ليس بشيء وقال ابن المديني ليس بالقوي روى عن مخارق عن طارق أحاديث منكورة قال البخاري وابو زرعة منكر الحديث وقال يعقوب بن شيبة ضعيف جدا ومنهم من يجاوز به الضعف الى الكذب وقال ابن عدى عامة أحاديثه معاضيل ينفرد عن كل من روى عنه ﴿ قلت ﴾ ولذلك لم يتحدث احمد ابنه بهذا الحديث في الحديث المسند فانه قد كان كتبه عن محمد بن بشر عن عبد الله بن عبد الله بن الاسود عن حصين كما رواه الترمذي فلم يتحدث به وانما رواه عبد الله عنه في المسند وأجاده قال وجدت في كتاب أبي حدثنا محمد بن بشر وذكره وكان أحمد رحمه الله على ما يدل عليه طريقته في المسند اذا رأى أن الحديث موضوع أو قريب من الموضوع لم يتحدث به ولذلك ضرب على أحاديث رجال فلم يتحدث بها في المسند لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين وكذلك

الفضل على هؤلاء فعلى غيرهم بطريق الاولى وهذا جيد الآن يقال الحديث يقتضى ان اسماعيل هو المصطفى من ولد ابراهيم وان بني كنانة هم المصطفون من ولد اسماعيل وليس فيه ما يقتضى أن ولد اسماعيل أيضاً مصطفون على غيرهم اذا كان أبوهم مصطفى وبعضهم مصطفى على بعض فيقال لو لم يكن هذا مقصوداً فى الحديث لم يكن لذكر اصطفاء اسماعيل فائدة اذا كان اصطفاءه لم يدل على اصطفاء ذريته اذ يكون على هذا التقدير لافرق بين ذكر اسماعيل وذكر اسحق ثم هذا منضماً الى بقية الاحاديث دليل على ان المعنى فى جميعها واحد واعلم ان الاحاديث فى فضل قريش ثم فى فضل بني هاشم فيها كثرة وليس هذا موضعها وهى تدل أيضاً على ذلك اذ نسبة قريش الى العرب كنسبة العرب الى الناس وهكذا جاءت الشريعة كما سنومى الى بعضه فان الله تعالى خص العرب ولسانهم باحكام تميزوا بها ثم خص قريشاً على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغير ذلك من الخصائص ثم خص بني هاشم بتحرير الصدقة واستحقاق قسط من الفى الى غير ذلك من الخصائص فاعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها والله اعلم حكيم (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقد قال الناس فى قوله (وانه لذكر لك ولقومك) وفى قوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) اشياء ليس هذا موضعها ومن الاحاديث التى تذكر فى هذا ما روينا من طرق معروفة الى محمد بن اسحق الصنعانى * حدثنا عبد الله بن بكر السهمى حدثنا يزيد بن عوانة عن محمد بن ذكوان خال حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم اذ مرت بنا امرأة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان مثل محمد فى بني هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن فانطلقت المرأة فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال ما بال أقوام تبغى عن أقوام ان الله خلق السموات سبعة فاختر العاليا منها واسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختر من الخلق بنى آدم واختر من بنى آدم العرب واختر من العرب مضر واختر من مضر قريشاً واختر من قريش بنى هاشم واخترانى من بنى هاشم فانا خيار من خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وأيضاً فى المسئلة ما رواه الترمذى وغيره من حديث أبي شجاع بن الوليد عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداى الله قال تبغض العرب فتبغضنى قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا يعرف الا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم بغض العرب سبباً لفراق الدين وجعل بغضهم متمتضياً لبغضه ويشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خاطب بهذا سلمان وهو سابق الفرس ذو الفضائل الماثورة تنبها لغيره من سائر الفرس لما أعلمه الله من أن الشيطان قد يدعو النفوس الى شئ من هذا كما أنه صلى الله عليه وسلم لما قال يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً يا صفية عمه رسول الله لا أغنى

فكان فيه تفضيل جنس بني آدم على جنس الملائكة وله وجه صحيح ثم جعل بني آدم فرقتين والفرقتان العرب والعجم ثم جعل العرب قبائل فكانت قريش افضل قبائل العرب ثم جعل قريشاً بيوتاً فكانت بنو هاشم افضل البيوت ويحتمل انه اراد بالخلق بني آدم فكان في خيرهم اى في ولد ابراهيم اوفى العرب ثم جعل بني ابراهيم فرقتين بني اسماعيل وبني اسحق او جعل العرب عدنان وخطان فجعلني في بني اسماعيل أو بني عدنان ثم جعل بني اسماعيل أو بني عدنان قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وهم قريش وعلى كل تقدير فالحديث صريح بتفضيل العرب على غيرهم وقد بين صلى الله عليه وسلم ان هذا التفضيل يوجب المحبة لبني هاشم ثم لقريش ثم للعرب فروى الترمذى من حديث أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد أيضاً عن عبد الله بن الحرث حدثني المطلب بن أبي ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ان العباس ابن عبد المطلب دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً وأنا عنده فقال ما غضبك فقال يا رسول الله مالنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال والذي نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من آذى عمى فقد آذاني فاتما عم الرجل صنو أبيه قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ورواه أحمد في المسند مثل هذا من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد هذا ورواه أيضاً من حديث جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا لنخرج فزى قريشاً نتحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم لله ولقريشتي فقد كان عند يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث هذان الحديثان احدهما في فضل القبيل الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني في محبتهم وكلاهما رواه عنه اسماعيل بن أبي خالد وما فيه من كون عبد الله بن الحرث يروى الاول تارة عن العباس وتارة عن المطلب بن أبي وداعة والثاني عن عبد المطلب بن ربيعة وهو ابن الحرث بن عبد المطلب وهو من الصحابة قد يظن ان هذا اضطراب في الاسماء من جهة يزيد وليس هذا موضع الكلام فيه فان الحجة قائمة بالحديث على كل تقدير لاسيما وله شواهد تؤيد معناه ومثله أيضاً في المسئلة مارواه أحمد ومسلم والترمذى من حديث الاوزاعي عن شداد بن عمار عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم هكذا رواه الوليد وأبو المغيرة عن الاوزاعي ورواه أحمد والترمذى من حديث محمد بن مصعب عن الاوزاعي ولفظه ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة الخ قال الترمذى هذا حديث صحيح وهذا يقتضى أن اسماعيل وذريته صفوة ولد ابراهيم فيقتضى انهم افضل من ولد اسحق ومعلوم أن ولد اسحق الذين هم بنو اسرائيل افضل العجم لما فيهم من النبوة والكتاب فتن ثبت

تفاق اما في الاعتقاد واما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك ولهذا جاء في الحديث حب العرب ايمان وبغضهم تفارق مع ان الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوى للنفس ونصيب للشيطان من الطرفين وهذا محرم في جميع المسائل فان الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعا ونهاهم عن التفرق والاختلاف وامر باصلاح ذات البين وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر وقال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله وهذان حديثان صحيحان وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة ما لا يحصى * والدليل على فضل جنس العرب ثم جنس قريش ثم جنس بني هاشم ما رواه الترمذى من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطالب رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فنادوا كروا احسابهم بينهم ففعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم ثم خير القبائل فجعلنى في خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلنى في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا قال الترمذى هذا حديث حسن وعبد الله بن الحارث هو ابن نوفل * الكتاب * بالكسر والقصر والكبة الكناسة وفي الحديث الكبوة وهى مثل الكبة والمعنى ان النخلة طيبة في نفسها وان كان أصلها ليس بذاك فاخبر صلى الله عليه وسلم انه خير الناس نفسا ونسبا وروى الترمذى أيضا من حديث الثورى عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن المطالب بن أبي وداعة قال جاء العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه سمع شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال من أنا فقالوا أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطالب قال ان الله خلق الخلق فجعلنى في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلنى في خير فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلنى في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلنى في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا قال الترمذى هذا حديث حسن كذا وجدته في الكتاب وصوابه فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا (وقد روى) أحمد هذا الحديث في المسند من حديث الثورى عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطالب بن أبي وداعة قال قال العباس رضى الله عنه بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس قال فصعد المنبر فقال من أنا قالوا أنت رسول الله فقال انا محمد بن عبد الله ابن عبد المطالب ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير خاقه وجعلهم فرقتين فجعلنى في خير فرقة وخاب القبائل فجعلنى في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلنى في خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا اخبر صلى الله عليه وسلم انه ما انقسم الخلق فرقتين الا كان هو في خير الفريقين (وكذلك) جاء حديث بهذا اللفظ وقوله في الحديث خلق الخلق فجعلنى في خيرهم ثم خيرهم فجعلهم فرقتين فجعلنى في خير فرقة يحتمل شيئين (أحدهما) ان الخلق هم انشقاقا وهم جميع ما خاق في الارض وبنو آدم خيرهم وان قيل بعموم الخلق حتى يدخل فيه الملائكة

الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن ورواه أبو داود أيضاً من حديث الحسن بن الحكم النخعي عن
عدي بن ثابت عن شيخ من الانصار عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه
وقال ومن لزم السلطان افتتن وزاد وما ازداد عبد من السلطان دنوا الا ازداد من الله عز وجل بعدا ولهذا
كانوا يقولون لمن يستغلظونه انك لاعرابي جاف انك لجلف جاف يشيرون الى غلظ عقله وخلقه ثم
ليظ الاعراب هو في الاصل اسم لبادية العرب فان كل أمة لها حاضرة وبادية فبادية العرب الاعراب
ويقال ان بادية الروم الارمن ونحوهم وبادية الفرس الاكراد ونحوهم وبادية الترك التتار ونحوهم
وهذا والله أعلم هو الاصل وان كان قد يقع فيه زيادة ونقصان والتحقيق ان سكان البوادي لهم حكم
الاعراب سواء دخلوا في لفظ الاعراب ام لم يدخلوا فهذا الاصل يوجب ان يكون جنس الحاضرة أفضل
من جنس البادية وان كان بعض أعيان البادية أفضل من أكثر الحاضرة مثلاً ويتقضى ان ما انفرد به البادية
عن جميع جنس الحاضرة أعني في زمن السلف من الصحابة والتابعين فهو ناقص عن فضل الحاضرة
أو مكروه فاذا وقع التشبه بهم فيما ليس من فضل الحاضرة المهاجرين كان ذلك اما مكروهاً أو مفضيا الى
المكروه ولهذا العرب والعجم فان الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من
جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم وان قريشاً أفضل العرب وان بنى هاشم أفضل
قريش وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل بنى هاشم فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً وليس
فضل العرب ثم قريش ثم بنى هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم وان كان هذا من
الفضل بل هم في أنفسهم أفضل وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه أفضل نفساً ونسباً والا
لزم الدور ولهذا ذكر أبو محمد حرب بن اسماعيل السكرماني صاحب الامام أحمد في وصفه للسنة التي
قال فيها هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها وأدركت من
أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن
فيها أو عاب قائلاً فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد
واسحق بن ابراهيم بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا
عنهم العلم فان من قولهم ان الايمان قول وعمل ونية وساق كلاماً طويلاً الى ان قال ونعرف للعرب
حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق
ولا نقول بقول الشعوبية وارذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم فان قولهم بدعة
وخلاف ويروون هذا الكلام عن أحمد نفسه في رسالة أحمد بن سعيد الاصطخرى عنه ان صحته وهو
قوله وقول عامة اهل العلم ودعت فرقة من الناس الى ان لا يفضل لجنس العرب على جنس العجم وهؤلاء
يسمون الشعوبية لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل كما قيل للقبائل للعرب والشعوب للعجم ومن
الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب والغالب ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عن نوع

الايان والدين والعلم حتى صار هؤلاء المبرزون في ذلك أفضل من أكثر العرب وكذلك في سائر اصناف المعجم من الحبشة والروم والترك وبينهم سابقون في الايمان والدين لا يحصون كثرة على ما هو معروف عند العلماء اذ الفضل الحقيقي هو اتباع ما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان والعلم باطنيا وظاهرا فكل من كان فيه أمكن كان أفضل والفضل انما هو بالاسماء المحموده في الكتاب والسنة مثل الاسلام والايمان والبر والتقوى والعلم والنعل الصالح والاحسان ونحو ذلك لا بمجرد كون الانسان عربيا أو عجميا أو اسود أو أبيض ولا بكونه قرويا أو بدويا وانما وجه النهي عن مشابهة الاعراب والاعاجم مع ما ذكرناه من الفضل فيهم وعدم العبرة بالنسب والمكان مبني على أصل وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل سكنى القرى يقتضي من كمال الانسان في العلم والدين ورقة القلوب ما لا يقتضيه سكنى البادية كما ان البادية توجب من صلابة البدن والخلق ومثانة الكلام ما لا يكون في القرى هذا هو الاصل وان جاز تخلف هذا المقتضى لمنع وكانت البادية أحيانا انفع من القرى ولذلك جعل الله الرسل من أهل القرى فقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى) وذلك لان الرسل لهم الكمال في عامة الامور حتى في النسب ولهذا قل سبحانه الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ذكر هذا بعد قوله (انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتسرون اليكم اذا رحمتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله علمكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيجافون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله اعلم حكيم) فلما ذكر المنافقين الذين استأذنوه في التخلف عن الجهاد في غزوة تبوك وذمهم وهؤلاء كانوا من أهل المدينة قال سبحانه (الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) فان الخير كله أصله وفصله منحصر في العلم والايمان كما قال سبحانه (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وقال تعالى (وقال الذين اوتوا العلم والايمان) وضد الايمان اما الكفر الظاهر أو النفاق الباطن وتبيض العلم عدمه فقال سبحانه عن الاعراب بانهم أشد كفرا ونفاقا من أهل المدينة واخرى منهم أن لا يعلموا حدود الكتاب والسنة والحدود هي حدود الاسماء المذكورة فيما أنزل الله من الكتاب والحكمة مثل حدود الصلاة والزكاة والصوم والحج والمؤمن والكافر والزاني والسارق والشارب وغير ذلك حتى يعرف من الذي يستحق ذلك الاسم الشرعي ممن لا يستحقه وما يستحقه مسميات تلك الاسماء من الاحكام ولهذا روى ابو داود وغيره من حديث الثوري حدثني ابو موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سفيان مرة ولا أعلمه الا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن تبع

فقال سبحانه (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم
سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) فينبى ان المنافقين فى الاعراب وذوى القرى وعامة سورة
فيها الذم للمنافقين من أهل المدينة ومن الاعراب كما فيها الثناء على السابقين الاولين من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان وعلى الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وصلوات
الرسول وكذلك العجم وهم من سوى العرب من الفرس والروم والترك والبربر والحبشة وغيرهم
ينقسمون الى المؤمن والكافر والبر والفاجر كأنقسام الاعراب قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) وقال النبي صلى
الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وغررها بالآباء مؤمن تقى
وفاجر شتى أتم بنو آدم وآدم من تراب وفى حديث آخر رويناه باسناد صحيح من حديث سعد الجريرى
عن أبى نصره حدثنى او قال حدثنا من شهد خطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمنى فى وسط ايام
التشريق وهو على بعير فقال يا أيها الناس الا ان ربكم عز وجل واحد الا وان اباكم واحد الا لافضل
لعربي على عجمي الا لافضل لاسود على أحمر الا بالتقوى الا قد بلغت قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد
الغائب وروى هذا الحديث عن أبى نصره عن جابر وفى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي فلان ليسوا لى باولياء انما لى الله وصالحو المؤمنين
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن بطن قريب النسب انهم ليسوا بمجرد النسب اولياءه انما لى الله وصالحو
المؤمنين من جميع الاصناف (ومثل) ذلك كثير بين فى الكتاب والسنة ان العبرة بالاسماء التى حدها
الله وذهما كالمؤمنين والكافرين والبر والفاجر والعالم والجاهل ثم قد جاء الكتاب والسنة بمدح بعض
الأعاجم قال تعالى (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وان كانوا من قبل لى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) وفى الصحيحين
عن أبى الغيث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلت
عليه سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال قائل منهم يا رسول الله فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا فبينما
سألنا النار سئى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال لو كان الايمان
عند النريا لما له رجال من هؤلاء وفى صحيح مسلم عن يزيد بن الاصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كان الدين عند النريا لذهب به رجل من فارس او قال من أبناء فارس حتى يتناولوه وفى
رواية ثالثة لو كان العلم عند النريا لتناولوه رجال من أبناء فارس * وقد روى الترمذى عن أبى هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم) أنهم من أبناء فارس الى غير ذلك من
آثار رويت فى فضل رجال من أبناء فارس ومصادق ذلك ما وجد فى التابعين ومن بعدهم من أبناء فارس الاحرار
والموالى مثل الحسن وابن سيرين وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم الى من وجد بعد ذلك فيهم من المبرزين فى

النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرين بها فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها وفي لفظ اذا أكل أحدكم فليأكل بيمنه واذا شرب فليشرب بيمنه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله رواد مسلم أيضاً عن الليث عن الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال فانه علل النهي بالاكل والشرب بالشمال بان الشيطان يفعل ذلك فعلم ان مخالفة الشيطان امر مقصود مأمور به ونظائره كثيرة وقريب من هذا مخالفة من لم يكمل دينه من الاعراب ونحوهم لان كمال الدين الهجرة فكان من آمن ولم يهاجر من الاعراب ونحوهم ناقصا قال الله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله) ومثل ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم الا انها العشاء وهم يعمون بالابل وفي لفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم العشاء فانها في كتاب الله العشاء فانها تغم بحلاب الابل ورواه البخاري عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم المغرب قال والاعراب تقول هي العشاء فقد كره موافقة الاعراب في اسم المغرب والعشاء بالعشاء والعتمة وهذه الكراهة عند بعض علمائنا تقتضي كراهة هذا الاسم مطلقاً وعند بعضهم انما تقتضي كراهة الاكثار منه حتى يغلب على الاسم الآخر وهو المشهور عندنا وعلى التقديرين ففي الحديث النهي عن موافقة الاعراب في ذلك كما نهى عن موافقة الاعاجم

فصل

واعلم ان بين التشبه بالكفار والشياطين وبين التشبه بالاعراب والاعاجم فرقا يجب اعتباره واجالا يحتاج الى تفسير وذلك ان نفس الكفر والتشيطان مذموم في حكم الله ورسوله وعباده المؤمنين ونفس الاعرابية والاعجمية ليست مذمومة في نفسها عند الله تعالى وعند رسوله وعند عباده المؤمنين بل الاعراب منقسمون الى اهل جناء قال الله فيهم (الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعادوا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) وقال تعالى فيهم (سيقول لك الخلفون من الأعراب شغلنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم مالى في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم ان لن يتقلب الرسول والمؤمنون الى اهلهم ابداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً) والى اهل ايمان وبر قال الله فيهم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم وقد كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وفد عليه ومن غيرهم من الاعراب من هو افضل من كثير من القرويين فهذا كتاب الله يحمد بعض الاعراب ويذم بعضهم وكذلك فعل بأهل الامصار

الناس العربية ثم قال ان بعض الناس احتج بحديث عمر رضى الله عنه جواب وادم ﴿ قلت ﴾ حديث أبى عمرو بن حماس قال نعم قال أبو عبد الله يقول فلا تكون جعبة الالفارسية والنبل فانما هو قرن قال الأثرم قلت لأبى عبد الله فى تفسير مجاهد قلوبنا فى اكنة قال كالجعبة للنبل قال فان كان يسمى جعبة لنبل فإيس ما احتج به الذى قال هذا بشئ ثم قال ينبغي ان يسأل عن هذا أهل العربية قال أبو بكر قيل لأبى عبد الله الدراعة تكون لها فرج فقال كان لخالد بن معدان دراعة لها فرج من بين يديها قدر ذراع قيل لأبى عبد الله فيكون لها فرج من خلفها قال ما أدري اما من بين يديها فتمدسمت واما من خلفها فلم أسمع قال الا ان فى ذلك سعة له عند الركوب ومنفعة قال وقد احتج بض الناس فى هذا بقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ثم قال الأثرم قلت لأبى عبد الله واحتج بهذه الآية بعض الناس فى القوس الفارسية ثم قلت ان أهل خراسان يزعمون انه لامنفعة لهم فى القوس العربية وانما النكاية عندهم للفارسية قال كيف وانما فتحت الدنيا بالعربية قال الأثرم قلت لأبى عبد الله ورأيتم بالنضر لا يكادون يعدلون بالفارسية قال انما رأيت الرجل بالشام متكبها قوسا عربية وروى الأثرم عن حفص بن عمر حدثنا رجاء بن مرجى حدثني عبد الله بن بشر عن أبى راشد الحبراني وأبى الحجاج السكسكى عن على قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوكأ على قوس له عربية اذ رأى رجلا معه قوس فارسية فقال القها فهى ملعونة ولكن عليكم بالقوس العربية وبرماح الذنا فيها يؤيد الله الدين وبها يمكن لكم فى الارض ولا تخافنا فى القوس الفارسية ونحوها كلام طويل ليس هذا موضعه وانما نبهت بذلك على ان ما لم يكن من هدى المسلمين بل هو من هدى العجم او نحوهم وان ظهرت فائدته ووضحت منفعته تراهم يترددون فيه ويختلفون لتعارض الدليلين دليل ملازمة الهوى الاول ودليل استعمال هذا الذى فيه منفعة بلا مضرة مع انه ليس من العبادات او توابها وانما هو من الامور الدنيوية وأنت ترى عامة كلام أحمد انما يثبت الرخصة بالأثر عن عمر او بفعل خالد بن معدان ليثبت بذلك ان ذلك كان يفعل على عهد السلف ويقرون عليه فيكون من هدى المسلمين لا من هدى الاعاجم وأهل الكتاب فهذا هو وجه الحجة لا أن مجرد فعل خالد بن معدان حجة واما ما فى هذا الباب عن سائر أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وسائر النخبة فاكثر من ان يمكن ذكر عشره وقد قدمنا فى أثناء الاحياء كلام بعضهم الذى يدل على كلام الباقيين وبدون ما ذكرناه يعلم اجماع الأمة على كراهة التشبه بأهل الكتاب والاعاجم فى الجملة وان كانوا قد يختلفون فى بعض الفروع اما لاعتقاد بعضهم انه ليس من هدى الكفار او لاعتقاده ان فيه دليلا راجحا أو لغير ذلك كما انهم مجمعون على اتباع الكتاب والسنة وان كان قد يخالف بعضهم شيئا من ذلك لنوع تأويل والله أعلم

فصل

ومما يشبه الامر بمخالفة الكفار الامر بمخالفة الشياطين كما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عمر ان

فلم يكرهه إنما كره الخيط وقال هو اشنع قلت وكذلك كره أصحابه ان يشد وسطه على الوجه الذي يشبه فعل أهل الكتاب فاما ماسوى ذلك فانه لا يكره في الصلاة على الصحيح المنصوص بل يؤمر من صلى في قميص واسع الجيب ان يحترم كما جاء في الحديث لثلاث يرى عورة نفسه وقال الفقهاء من أصحاب الامام أحمد وغيره منهم القاضي أبو يعلى وابن عقيل والشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي وغيرهم في اصناف اللباس وأقسامه ومن اللباس المسكروه ما خالف زى العرب واشبه زى الاعاجم وعادتهم ولفظ عبد القادر ويكره كما خالف زى العرب وشابه زى الاعاجم وقال أيضاً أصحاب أحمد وغيرهم منهم أبو الحسن الآمدي المعروف بابن البغدادى واظنه نقله أيضاً عن أبي عبد الله بن حامد ولا يكره غسل اليدين في الاناء الذي لا كل فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم فعله وقد نص أحمد على ذلك وقال لم تزل العلماء يفعلون ذلك ونحن نفعله وانما تذكره العامة وغسل اليدين بعد الطعام مسنون رواية واحدة واذا قدم ما يغسل فيه اليد فلا يرفع حتى يغسل الجماعة ايديهم لان الرفع من زى الاعاجم وكذلك قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي ويستحب ان يحمل ماء اليد في طشت واحد لما روى في الخبر لا تبددوا بيدد الله شملكم وروى انه صلى الله عليه وسلم نهى ان يرفع الطشت حتى يطفئ يمينه بيمينه وقالوا أيضاً ومنهم أبو محمد عبد القادر في تعميل كراهة حاق الرأس على احدى الروايتين ولان في ذلك تشبهاً بالاعاجم وقد صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم بل وقد ذكر طوائف من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما كراهة اشياء لما فيها من التشبه باهل البدع مثل ما قال غير واحد من الطائفتين ومنهم عبد القادر ويستحب ان يتختم في يساره للآثار ولان خلاف ذلك عادة وشعار للمبتدعة وحتى ان طوائف من أصحاب الشافعي يستحبون تسليم القبور وان كانت السنة عندهم تسطيعها قالوا لان ذلك صار شعاراً للمبتدعة وليس الغرض هنا تقرير أعيان هذه المسائل ولا الكلام على ما قيل فيها بنفي ولا اثبات وانما الغرض بيان ما اتفقت عليه العلماء من كراهة التشبه بغير أهل الاسلام وقد يتردد العلماء في بعض فروع هذه القاعدة لتعارض الأدلة فيها او لعدم اعتقاد بعضهم اندراجها في هذه القاعدة مثل ما نقله الأثرم قال سمعت ابا عبد الله يسأل عن لبس الحرير في الحرب فقال ارجو ان لا يكون به باس قال وسمعت ابا عبد الله يسأل عن المنطقة والحلية فيها فقال اما المنطقة فقد كرهها قوم يقولون هي زى الاعاجم وكانوا يحتجزون العمام وهذا انما علق القول فيه لان في المنطقة منفعة عارضت ما فيها من التشبه * ونقل عن بعض السلف انه كان يتنطق فلهذا حكى الكلام عن غيره وأمسك ومثل هذا هل يجعل قولاً له اذا سئل عن مسألة فحكي فيها جواب غيره ولم يردفه بموافقة ولا مخالفة فيه لأصحابه وجهان أحدهما نعم لانه لولا موافقته له كان قد أجاب السائل لانه انما ساله عن قوله ولم يسأله ان يحكي له مذاهب الناس والثاني لا يجعل بمجرد ذلك قولاً له لانه انما حكاه فقط وبمجرد الحكاية لا يدل على الموافقة وفي لبس المنطقة أثر وكلام ليس هذا موضعه * وبمثل هذا تردد كلامه في القوس الفارسية فقال الأثرم سألت ابا عبد الله عن القوس الفارسية فقال انما كانت تسمى

بان يوسع له في مجاسه قال وقيام المرأة لزوجها حتى يجلس من فعل الجبارة وربما يكون الناس ينتظرونه فاذا طاع قاموا فليس هذا من فعل الاسلام وهو فيما ينهى عنه من التشبه باهل الكتاب والاعاجم وفيما ليس من عمل المسلمين أشد من عمل الكوفيين وأبلغ مع أن الكوفيين ببالعون في هذا الباب حتى تكلم أصحاب أبي حنيفة في تكفير من تشبه بالكفار في لباسهم واعبادهم وقال بعض أصحاب مالك من ذبح بطيخة في اعيادهم فكانما ذبح خنزيرا وكذلك أصحاب الشافعي ذكروا هذا الاصل في غير موضع من مسائلهم كما جاءت به الآثار كما ذكر غيرهم من العلماء مثل اذكروه في النهي عن الصلاة في الاوقات التي ينتهي عن الصلاة فيها مثل طلوع الشمس وغروبها ذكروا تعليل ذلك بان المشركين يسجدون للشمس حينئذ كما في الحديث انها ساعة يستجد لها الكفار وذكروا في السحور وتأخيرته أن ذلك فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب وذكروا في اللباس النهي عما فيه تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال وذكروا أيضاً ما جاء من ان المشركين كانوا يقفون بعرفات الى اصفرار الشمس ويفضون من جمع بعد طلوع الشمس وان السنة جاءت بمخالفة المشركين في ذلك بالتعريف الى الغروب والوقوف بجمع الى قبيل طلوع الشمس كما جاء في الحديث خالفوا المشركين وخالف هدينا هدى المشركين وذكروا أيضاً الشروط على أهل الذمة منعهم عن التشبه بالمسلمين في لباسهم وغيره مما يتضمن منع المسلمين أيضاً عن مشابهتهم في ذلك تفريقاً بين علامة المسلمين وعلامة الكفار وبالغ طائفة منهم فنهوا عن التشبه باهل البدع عما كان شعارا لهم وان كان مسنونا كما ذكره طائفة منهم في تسنيم القبور فان مذهب الشافعي ان الافضل تسطيحها ومذهب أحمد وأبي حنيفة ان الافضل تسنيمها ثم قال طائفة من أصحاب الشافعي بل ينبغي تسنيمها في هذه الاوقات لان الرافضة تسطيحها في تسطيحها تشبه بهم فيما هو شعارهم وقالت طائفة بل نحن نسطيحها فاذا سطحنها لم يكن تسطيحها شعارا لهم وافقت الطائفتان على ان النهي عن التشبه باهل البدع فيما هو شعارهم وانما تنازعوا في ان التسطيح هل يحصل به ذلك ام لا فاذا كان هذا في التشبه باهل البدع فكيف بالكفار (واما) كلام أحمد وأصحابه في ذلك فكثير جداً أكثر من ان يحصر قد قدنا منه طائفة من كلامه عند ذكر النصوص عند قوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم وقوله احذوا الشوارب واعفوا الاعشى لانتهبوا بالمشركين وقوله انها لهم في الدنيا ولحكم في الآخرة مثل قول أحمد ما أحب لاحد ان يغير الشيب ولا يشبه باهل الكتاب وقال لبعض أصحابه أحب لك أن تحضب ولا تشبه باليهود وكره حاق القفا وقال هو من فعل المجوس وقال من تشبه بقوم فهو منهم وقال اكروه النعل الصرار وهو من زى العجم وكره تسمية الشهور بالعجمية والاشخاص بالاسماء الفارسية مثل اذ رماء وقال لذي دعاذي المجوس ونفض يده في وجهه وهذا كثير في نصوصه لا يحصر وقال حرب الكرماني قالت لأحمد الرجل يشد وسطه بحبل ويصلي قال على القباء لا بأس به وكرهه على القميص وذهب الى انه من زى اليهود فذكرت له السفر وانا نشد ذلك على أوساطنا فرخص فيه قليلا واما المنطقة والعمامة ونحو ذلك

والسنة وان كان قد يختلف في بعض اعيان المسائل لتناول فعلهم اتفاقهم على كراهة التشبه بالكفار والاعاجم الوجه الثالث في تقرير الاجماع ما ذكره عامة علماء الاسلام من المتقدمين والائمة المتبوعين وأصحابهم في تعليل النهى عن اشياء بمخالفة الكفار أو مخالفة الاعاجم وهو أكثر من ان يمكن استقصاؤه وما من أحده ادنى نظر في الفقه الا وقد بلغه من ذلك طائفة وهذا بعد التأمل والنظر يورث علما ضروريا باتفاق الائمة على النهى عن موافقة الكفار والاعاجم والامر بمخالفتهم وأنا أذكر من ذلك نكتا في مذاهب الائمة المتبوعين اليوم مع ما تقدم في أثناء الكلام عن غير واحد من العلماء فن ذلك أن الاصل المستقر عليه في مذهب أبي حنيفة أن تأخير الصلوات افضل من تعجيلها الا في مواضع يستثنونها كاستثناء يوم الغيم وكتعجيل الظهر في الشتاء وان كان غيرهم من العلماء يقول ان الاصل أن التعجيل أفضل فيستحبون تأخير الفجر والعصر والعشاء والظهر الا في الشتاء في غير الغيم ثم قالوا يستحب تعجيل المغرب لان تأخيرها مكروه لما فيه من التشبه باليهود وهذا أيضاً قول سائر الائمة وهذه العلة منصوصة كما تقدم وقالوا أيضاً يكره السجود في الطاق لانه يشبه صنع أهل الكتاب من حيث تخصيص الامام بالمكان بخلاف ما اذا كان سجوده في الطاق وهذا أيضاً ظاهر مذهب أحمد وغيره وفيه آثار صحيحة عن الصحابة ابن مسعود وغيره وقالوا لباس ان يصلى وبين يديه مصحف معلق أو سيف معلق لانها لا يعبدان وباعتباره ثبت الكراهة ولا بأس ان يصلى على بساط فيه تصاوير لان فيه استهانة بالصورة ولا يسجد على الصورة لانه يشبه عبادا للصور واطاق الكراهة في الاصل لان المصلى معظم قالوا ولولبس ثوبا فيه تصاوير كره لانه يشبه حامل الصنم ولا يكره تماثيل غير ذى روح لانه لا يعبدوا قالوا أيضاً أن صام يوم الشك ينوى انه من رمضان كره لانه تشبه باهل الكتاب لانهم زادوا في مدة صومهم وقالوا فاذا غربت الشمس افاض الامام والناس معه على هيتنهم حتى ياتوا مزدلفة لان فيه اظهار مخالفة المشركين وقالوا أيضاً لا يجوز الأكل والشرب والادهان والتطيب في آنية الذهب والفضة للرجال والنساء للنصوص ولانه تشبه بزي المشركين وتنعيم المترفين والمسرفين وقالوا في تعليل المنع من لباس الحرير في حجة أبي يوسف ومحمد على أبي حنيفة في المنع من افتراشه وتعليقه والستر به لانه من زى الاكاسرة والجبايرة والتشبه بهم حرام قال عمر اياكم وزى الاعاجم وقال محمد في الجامع الصغير ولا يتختم الا بالفضة قالوا وهذا نص على ان التختم بالحجر والحديد والصفر حرام للحديث المأثور ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى على رجل خاتم صفر فقال مالي أجدمنك ربح الاصنام ورأى على آخر خاتم حديد فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار ومثل هذا كثير في مذهب أبي حنيفة وأصحابه واما مذهب مالك وأصحابه ففيه ما هو أكثر من ذلك حتى قال مالك فيها رواد ابن القاسم في المدونة لا يحرم بالاعجمية ولا يدعوبها ولا يحالف قال ونهى عمر رضى الله عنه عن رطانة الاعاجم وقال انها خب قال وأكره الصلاة الى حجر منزه في الطريق واما احبار كثيرة فجاز قال ويكره ترك العمل يوم الجمعة كفعل أهل الكتاب يوم السبت والاحد قال ويقال من معظم الله تعظيم ذى الشبهة المسلم قيل فالرجل يقوم للرجل له الفضل والفقه قال أكره ذلك ولا بأس

الجوهري وكذلك ذكر ابن فارس وغيره ان فهر اليهود مدراسهم وفي العين عن الخليل بن احمد فهر اليهود مدراسهم وسندكر عن علي رضي الله عنه من كراهية التكلم بكلامهم ما يؤيد هذا (واما) ما في الحديث المذكور من النهي عن تغطية الفم فقد عاله بعضهم بأنه فعل المجوس عند نيرانهم التي يعبدونها فعلى هذا تظهر مناسبة الجمع بين النهي عن السدل وعن تغطية النعم بما في كلاهما من مشابهة الكفار مع ان في كل منهما معنى آخر يوجب الكراهة ولا محذور في تعليل الحكم بعلتين فهذا عن الخلفاء الراشدين (واما) سائر الصحابة رضي الله عنهم فكثير مثل ما قدمناه عن حذيفة بن اليمان انه لما دعي الى وليمة فرأى شيئا من زى العجم خرج وقال من تشبه بقوم فهو منهم وروى أبو محمد الخلال باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال سأل رجل احتقن قال احتقن لا تبد العورة ولا تستن بسنة المشركين قوله لا تستن بسنة المشركين عام وقال أبو داود حدثنا الحسن بن علي حدثنا يزيد بن هرون انبأنا الحجاج بن حسان قال دخلنا على أنس بن مالك فحدثني أخى المغيرة قال وانت يومئذ غلام ولك قرنان او قصتان فسح رأسك وبرك عليك وقال احلقوا مدين أو قصوها فان هذا زى اليهود وعلل النهي عنهما بان ذلك زى اليهود وتعليل النهي بعلته يوجب ان تكون العلة مكروهة مطلوبا عدمها فعلم ان زى اليهود حتي في الشعر مما يطلب عدمه وهو المقصود وروى ابن أبي عاصم حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد الواسطي عن عمران ابن حدير عن أبي مجلز أن معاوية قال ان تسوية القبور من السنة وقد رفعت اليهود والنصارى فلا تشبهون بهم يشير معاوية الى ما رواه مسلم في صحيحه عن فضالة ابن عبيد انه أمر بقبر فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها رواه مسلم وعن علي أيضاً قال أمرني النبي صلى الله عليه وسلم ان لادع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته رواه مسلم وسندكر ان شاء الله تعالى عن عبد الله بن عمر بن العاص انه قال من بني ببلاد المشركين وضع نيروزهم ومهر جانهم حتي يموت حشر معهم يوم القيامة وقد ثبت عن عائشة رضى الله عنها انها كرهت الاختصار في الصلاة وقالت لا تشبهوا باليهود هكذا رواه بهذا اللفظ سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة وقد تقدم من رواية البخارى في المرفوعات وروى سعيد حدثنا سفيان عن أبي نعيم عن اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب قال دخلت مع ابن عمر مسجدا بالحجفة فنظر الى شرفات فخرج الى موضع فصلي فيه ثم قال لصاحب المسجد اني رأيت في مسجدك هذا يعني الشرفات شبهتها بانصاب الجاهلية فران تكسر وروى سعيد أيضا عن ابن مسعود انه كان يكره الصلاة في الطاق وقال انه من الكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب وعن عبيد بن أبي الجعد قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون ان من أشرط الساعة ان تتخذ المذابح في المسجد يعني الطاقات وهذا الباب فيه كثرة عن الصحابة وهذه القضايا التي ذكرناها بعضها في مظنة الاشهار وما علمنا أحدا خالف ما ذكرناه عن الصحابة رضي الله عنهم من كراهة التشبه بالكفار والاعاجم في الجملة وان كان بعض هذه المسائل المعينة فيها خلاف وتأويل ليس هذا موضعه وهذا كما انهم مجمعون على اتباع الكتاب

عن تعلم رطانة الاعاجم ما يبين به ثبوت قوة شكيمته في النهي عن مشابهة الكفار والاعاجم ثم ما كان عمر قد قرره من السنن والاحكام والحدود فعثمان رضى الله عنه أقر ما فعله عمر وجري على سنته في ذلك فقد علم موافقة عثمان لعمر في هذا الباب وورى سعيد في سننه حديثا هشيم عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن أبيه قال خرج على رضى الله عنه فرأى قوما قد سدلو ابقال ما لهم كأنهم اليهود خرجوا من فهورهم ورواه ابن المبارك وحفص بن غياث عن خالد وفيه انه رأى قوما قد سدلو في الصلاة فقال كأنهم اليهود خرجوا من فهورهم وقد رويناه عن ابن عمر وابى هريرة انهما كانا يكرهان السدل في الصلاة وقد روى أبو داود عن سليمان الاحول وعسل بن سفيان عن عطاء عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السدل في الصلاة وان يغطى الرجل فاه ومنهم من رواه عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مراسلا لكن قال هشيم حديثنا عامر الاحول قال سألت عطاء عن السدل في الصلاة فكرهه فقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن النبي صلى الله عليه وسلم والتابي اذا أفتى بما رواه دل على ثبوته عنده لكن قد روى عن عطاء من وجوه جيدة انه كان لا يرى بالسدل بأسا وانه كان يصلى سادلا فلعل هذا كان قبل ان يبلغه الحديث ثم لما بلغه رجع او لعله نسي الحديث والمسئلة مشهورة وهو عمل الراوى بخلاف روايته هل يقدح فيها والمشهور عن أحمد وأكثر العلماء أنه لا يقدح فيها لما تحتمله المخالفة من وجوه غير ضعف الحديث وقد روى عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن يحيى بن أبي كثير عن أبي عبيدة بن عبد الله أن أباه كره السدل في الصلاة قال ابو عبيدة وكان أبى يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه وأكثر العلماء يكرهون السدل مطلقا وهو مذهب أبى حنيفة والشافعى والمشهور عن أحمد وعنه انه انما يكرهه فوق الازار دون القميص توفيقا بين الآثار في ذلك وحملنا النهى على لباسهم المعتاد * ثم اختلف هل السدل محرم يبطل الصلاة فقال ابن أبى موسى فان صلى سادلا ففي الاعادة روايتان أظهرهما لا يعيد وقال أبو بكر عبد العزيز ان لم تبد عورته فلا يعيد باتفاق ومنهم من لم يكره السدل وهو قول مالك وغيره والسدل المذكور هو ان يطرح الثوب على أحد كتفيه ولا يرد أحد طرفيه على كتفه الاخرى هذا هو المنصوص عن أحمد وعلمه بانه فعل اليهود وقال حنبل قال أبو عبد الله والسدل أن يسدل أحد طرفي الازار ولا ينغطف به عليه وهو لبس اليهود وهو على الثوب وغيره ~~مكروه~~ في الصلاة وقال صالح بن احمد سألت أبى عن السدل في الصلاة فقال باللبس الثوب فاذا لم يطرح أحد طرفيه على الآخر فهو السدل وهذا هو الذى عليه عامة العلماء * واما ما ذكره أبو الحسن الأمدى وابن عقيل من ان السدل هو اسبال الثوب بحيث ينزل عن قدميه ويجره فيكون هو اسبال الثوب وجره المنهى عنه فغلط مخالف لعامة العلماء وان كان الاسبال والجر منهياعنه بالاتفاق والاحاديث فيه أكثر وهو محرم على الصحيح لكن ليس هو السدل وليس الغرض عن هذه المسئلة وانما الغرض ان عليا رضى الله عنه شبه السادلين باليهود ميئنا بذلك كراهة فعلهم فعلم ان مشابهة اليهود امر كان قد استقر عندهم كراهته وفهر اليهود بضم الفاء مدراسهم واصالها بهرو هى عبرانية فعربت هكذا ذكره

فرقد اياكم والتمم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن لبوس الحرير وقال الا هكنا ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبعيه وهذا ثابت على شرط الصحيحين وفيه ان عمر رضى الله عنه أمر بالمعدية وهي زى بني معد بن عدنان وهم العرب فالمعدية نسبة الى معد ونهى عن زى العجم وزى المشركين وهذا عام كما لا يخفى وقد تقدم هذا مرفوعا والله أعلم وروى الامام أحمد فى المسند حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مریم وأبي شعيب ان عمر كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال حماد بن سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لكعب أين ترى ان اصلى فقال ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم الى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكس الكناسة فى ردائه وكس الناس قلت فصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بيت المقدس فى ليلة الاسراء قد رواه مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أثبت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركنه حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بآء من خمر وآناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء وذكر الحديث وقد كان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ينكر ان يكون صلى فيه لانه لم يبلغه ذلك واعتقد أنه لو صلى فيه لوجب على الامة الصلاة فيه فعمر رضى الله عنه عاب على كعب مضاهاة اليهودية أى مشابهتها فى مجرد استقبال الصخرة لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية وان كان المسلم لا يقصد ان يصلى اليها وقد كان لعمر رضى الله عنه فى هذا الباب من السياسات المحكمة ما هى مناسبة لسائر سيرته المرضية فانه رضى الله عنه هو الذى استحالت ذنوب الاسلام بيده غربا فلم يفرع بقرى فريه حتى صدر الناس بعطن فاعز الاسلام واذل الكفر وأهله وأقام شعائر الدين الحنيف ومنع من كل امر فيه نزوع الى نقض عرى الاسلام مطيعا فى ذلك لله ورسوله وقافا عند كتاب الله متمثلا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم محتذيا حذو صاحبيه مشاورا فى أموره للسابقين الاولين مثل عثمان وعلى وطاحنة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضى الله عنهم وغيرهم ممن له علم أوفقه او رأى أو نصيحة للإسلام واهله حتى ان العمدة فى الشروط على أهل الكتاب على شروطه وحتى منع من استعمال كافر او أئمانه على أمر الامة واعزازة بعد ان اذله الله وحتى روى عنه انه حرق الكتب العجمية وغيرها وهو الذى منع أهل البدع من ان ينبغوا والبسهم ثوب الصغار حيث فعل بصبيغ بن عسل التميمي ما فعل فى قصته المشهورة وسيأتي عنه ذكرها ان شاء الله تعالى فى خصوص أعياد الكفار من النهى عن الدخول عليهم فيها ومن النهى

ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم كاصواتهم بكتابهم فاتفق عمر رضى الله عنه والمسلمون معه وسائر العلماء
بمده ومن وفقه الله تعالى من ولادة الامور على منعمهم من ان يظهر وافي دار الاسلام شيئا مما يختصون به بمبالغة في
ان لا يظهر وافي دار الاسلام خصائص المشركين فكيف اذا عملها المسلمون واطهروها هم ومنها ما يعود
بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذى شرعه الله تعالى ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة
فيها نوع من اكرامهم فانهم يفرحون بذلك ويسرون به كما يفتخرون باهل أمر دينهم الباطل * الوجه
الثاني من دلائل الاجماع ان هذه القاعدة قد امر بها غير واحد من الصحابة والتابعين في أوقات متفرقة
وقضايا متعددة وانتشرت ولم ينكرها منكر فعن قيس بن أبي حازم قال دخل أبو بكر الصديق رضى الله
عنه على امرأة من أحبس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال ما لها لا تتكلم قالوا حجت مصمتة فقال
لها تكلمى فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت فقالت من أنت قال امرؤ من المهاجرين فقالت
اى المهاجرين قال من قريش قالت من أى قريش قال انك لسؤل وقال أنا أبو بكر قالت ما بقاؤنا على
هذا الامر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية قال بقاؤكم عليه ما استقامت لكم ائمتكم قالت وما الأئمة
قال اما كان لقومكم رؤس واشراف يأمرهم فيطيعونهم قالت بلى قال فهم اولئك على الناس رواه البخارى
في صحيحه فاخبر أبو بكر ان الصمت المطلق لا يحل وعقب ذلك بقوله هذا من عمل الجاهلية قاصدا بذلك
عيب هذا العمل وذمه وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة فدل على أن كونه من عمل
الجاهلية وصف يوجب النهى عنه والمنع منه ومعنى قوله من عمل الجاهلية اى انه مما انفرد به أهل الجاهلية
ولم يشرع في الاسلام فيدخل في هذا كل ما اتخذ من عبادة مما كان أهل الجاهلية يتعبدون به ولم
يشرع الله التعبد به في الاسلام وان لم ينوه عنه بعينه كالنكاح والتصدية فان الله تعالى قال عن الكافرين
(وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) والملكاء الصغير ونحوه والتصدية التصنيق فأتخاذ هذا قرينة
وطاعة من عمل الجاهلية الذى لم يشرع في الاسلام * وكذلك بروز المحرم وغيره للشمس حتى لا يستظل
بظل او ترك الطواف بالثياب المتقدمة أو ترك كل ما عمل في غير الحرم ونحو ذلك من أمور الجاهلية التى
كانوا يتخذونها عبادات وان كان قد جاء نهى خاص فى عامة هذه الامور بخلاف السعى بين الصفا والمروة
 وغيره من شعائر الحج فان ذلك من شعائر الله وان كان أهل الجاهلية قد كانوا يفعلون ذلك فى الجملة
* وقد قدمنا ما رواه البخارى فى صحيحه عن عمر رضى الله عنه انه كتب الى المسلمين المقيمين ببلاد
فارس اياكم وزى أهل الشرك وهذا نهى للمسلمين عن كل ما كان من زى المشركين وقال الامام
أحمد فى المسند حدثنا يزيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن عمر انه قال اتزروا وارثدوا وانتعلوا
والبسوا الخفاف والسر او يلات والقوا الركب وانزوا نزوا وعليكم بالمعدية وارموا الاغراض وذروا التمتع
وزى العجم واياكم والحريز فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عنه وقال لا تلبسوا من الحرير
الا ما كان هكذا وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم باصبعه وقال أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا
زهير حدثنا عاصم الاحول عن أبي عثمان قال جاءنا كتاب عمر رضى الله عنه ونحن بأذربيجان يا عتبة بن

تفرق نواصينا ونشد الزنا نرى على أوساطنا وهذه الشروط اشهر شئ في كتب الفقه والعلم وهي مجمع عليها في
الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل
طائفة فيها وهي أصناف الصنف الاول مامقصوده التمييز عن المسلمين في الشعور واللباس والاسماء والمراكب
والكلام ونحوها ليميز المسلم من الكافر ولا يشبه أحدهما بالآخر في الظاهر ولم يرض عمر رضى الله عنه
والمسلمون باصل التميز بل بالتمييز في عامة الهدى على تفاصيل معروفة في غير هذا الموضع وذلك يقتضى اجماع
المسلمين على التميز عن الكفار ظاهرا وترك التشبه بهم ولقد كان امراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون
في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود ومقصودهم من هذا التميز كما روى الحافظ أبو الشيخ الاصبهاني باسناده
في شروط أهل الذمة عن خالد بن عرفة قال كتب عمر رضى الله عنه الى الامصار ان لا يجزوا نواصيههم
يعنى النصرارى ولا يلبسوا لبس المسلمين حتى يعرفوا وقال القاضى أبو يعلى في مسألة حدثت في وقته اهل
الذمة مأمورون باللبس الغيار فان امتنعوا لم يجز لاحد من المسلمين صبغ ثوب من ثيابهم لانه لم يتعين عليهم
صبغ ثوب بعينه قلت وهذا فيه خلاف هل يلزمون بالتغيير او الواجب علينا اذا امتنعوا ان نغير نحن واما
وجوب اصل المغيرة فما علمت فيه خلافا وقد روى أبو الشيخ الاصبهاني في شروط أهل الذمة باسناده
أن عمر كتب ان لا تكتبوا أهل الذمة فيجرب بينكم وبينهم المودة ولا تكنوهم وأذلوهم ولا تغلوهوهم
ومروا نساء أهل الذمة ان لا يعقدن زنا راتهن ويرخين نواصيهن ويرفعن عن سوقهن حتى تعرف ذبهن
من المسلمات فان رغبين عن ذلك فليدخلن الى الاسلام طوعا أو كرها وروى ايضا أبو الشيخ باسناده
عن محمد بن قيس وسعيد بن عبد الرحمن بن حبان قال دخل ناس من بني تغلب على عمر بن عبد العزيز
وعليهم العمام كهيئة العرب فقالوا يا أمير المؤمنين الحقنا بالعرب قال فن اتم قالوا نحن بنو تغلب قال او لستم من
أواسط العرب قالوا نحن نصرارى قال على يجلم فاخذ من نواصيههم والقي العمام وشق رداء كل واحد شبرا
يحتزم به وقال لا تركبوا السروج واركبوا على الاكف ودلوا أرجلكم من شق واحد وعن مجاهد بن
الاسود قال كتب عمر بن عبد العزيز ان لا يضرب الناقوس خارجا من الكنيسة وعن معمر أن عمر بن
عبد العزيز كتب ان امنع من قبلك فلا يابس نصرانى قباء ولا ثوب خز ولا عصب وتقدم في ذلك أشد
التقدم واكتب فيه حتى لا يخفى على أحد نهى عنه وقد ذكر لى ان كثيرا ممن قبلك من النصرارى قد
راجعوا لبس العمام وتركوا لبس المناطق على أوساطهم واتخذوا الوفروا الجمائم وتركوا التقصيص ولعمري
ان كان يصنع ذلك فيما قبلك ان ذلك لك ضعف وعجز فانظر كل شئ كنت نهيت عنه وتقدمت فيه
الا تعاهدته وأحكمته ولا ترخص فيه ولا تعد عنه شيئا ولم اكتب سائر ما كانوا يأمررون به في أهل
الكتاب اذ الغرض هنا التميز وكذلك فعل جعفر بن محمد بن هرون المتوكل باهل الذمة في خلافته واستشارة
في ذلك الامام أحمد بن حنبل وغيره وعهوده في ذلك وجوابات أحمد بن حنبل له معروفة ومن جملة الشرط
ما يعود باخفاء منكرات دينهم وترك اظهارها كمنعهم من اظهار الحمر والناقوس والنيران والاعياد ونحو ذلك

انه في الحديث قال انهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا وهي للمؤمنين في الآخرة ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبها بالكفار في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي قال كتب الينا عمر رضى الله عنه ونحن باذريجان مع عتبة بن فرقد ياعتبه انه ليس من كذابيك ولا من كدامك فاشبع المسلمين في رحا لهم مما تشبع منه في رحلك وإياك والتنعيم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير وقال الا هكذا ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما وروى أبو بكر الخلال باسناده عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان أتى بيتا فرأى فيه حادثين فيه أباريق الصفر والرصاص فلم يدخله وقال من تشبه بقوم فهو منهم وفي لفظ آخر فرأى شيئا من زى العجم فخرج وقال من تشبه بقوم فهو منهم وقال علي بن أبي صالح السواق كنا في وليمة فجاء أحمد بن حنبل فلما دخل نظر الى كرسى في الدار عليه فضة فخرج فلحقه صاحب الدار فنفض يده في وجهه وقال زى المجوس زى المجوس وقال في رواية صالح اذا كان في الدعوة مسكر أو شئ من منكر آنية المجوس الذهب والفضة أو ستر الجدران بالثياب خرج ولم يطعم ولو تبعنا ما في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم مع ما دل عليه كتاب الله لطال

فصل

واما الاجماع فمن وجوه من ذلك ان أمير المؤمنين عمر في الصحابة رضى الله عنهم ثم عامة الأئمة بعده وسائر الفقهاء جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم ان تقرر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا ان ارادوا الجلوس ولا تشبه بهم في شئ من ملابسهم قلنسوة أو عمامة او نعلين او فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكلم بكلماتهم ولا نركب السروج ولا نقتصد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحملة ولا نقش نخواتينا بالعربية ولا نبيع الخمر وان نجز مقدم رؤسنا وان نازم زينا حينما كان وأن نشد الزناير على اوساطنا وان لا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صليبا ولا كتبنا في شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب بنواقيسنا في كمائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في شئ من طرق المسلمين رواه حرب باسناد جيد وفي رواية أخرى رواها الخلال وأن لا نضرب بنواقيسنا الا ضربا خفيفا في جوف كنائسنا ولا نظهر عليها صليبا ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون وان لا نخرج صليبا ولا كتابا في سوق المسلمين ولا نخرج باعوثا والباعوث يخرجون مجتمعون كما نخرج يوم الاضحى والفطر ولا شعائنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في اسواق المسلمين وان لا نجاورهم بالجنايز ولا نبيع الخمر الى ان قال وان نازم زينا حينما كنا وان لا تشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكلم بكلماتهم وان نجز مقدم رؤسنا ولا

ذكر الوصف عقيب الحكم يدل على انه علة له وهذا يقتضى نفيه عما هو من أمر اليهود والنصارى هذا مع أن قرن اليهود يقال ان أصله مأخوذ عن موسى عليه السلام وانه كان يضرب بالبوق في عهده وأما ناقوس النصارى فثبت عند اذ عامة شرائع النصارى احدثها أبحارهم وورهبانهم وهو يقتضى كراهة هذا النوع من الاصوات مطلقاً في غير الصلاة أيضاً لانه من أمر اليهود والنصارى فان النصارى يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة غير أوقات عباداتهم وانما شعار الدين الحنيف الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه الذى به تفتح أبواب السماء وتهرب الشياطين وتنزل الرحمة وقد ابتلى كثير من هذه الامة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار شعار اليهود والنصارى حتى اننا رأيناهم في هذا الخميس الحقيق الصغير يرمون البخور ويضربون له بنواقيس صغار حتى ان من الملوك من كان يضرب بالابواق والدباب في أوقات الصلوات الخمس وهو نفس ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يضرب بها طرفى النهار تشبهاً منه كما زعم بذى القرنين ووكّل مادون ذلك الى ملوك الاطراف وهذه المشابهة لليهود والنصارى والاعاجم من الروم والفرس لما غلبت على ملوك الشرق هي وامثالها مما خالفوا به هدى المسلمين ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله سلط عليهم الترك الكافرون الموعود بقتلهم حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجز في دولة الاسلام مثله وذلك تصديق قوله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم كما تقدم وكان المسلمون على عهد نبيهم وبعده لا يعرفون وقت الحرب الا بالسكينة وذكر الله تعالى قال قيس بن عباد وهو من كبار التابعين كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند القتال وعند الجناز وكذلك سائر الآثار تقتضى أنهم كانت عليهم السكينة في هذه المواطن مع امتلاء القلوب بذكر الله واجلاله واكرامه كما ان حالهم في الصلاة كذلك وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاث عادة اهل الكتاب والاعاجم ثم قد ابتلى بها كثير من هذه الأمة وليس هذا موضع استقصاء ذلك (وايضاً) فمن عمر بن ميمون الازدى قال قال عمر رضى الله عنه كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق ثبير كما نغير قال يخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وأفاض قبل طلوع الشمس وقد روى في هذا الحديث فيما أظنه انه قال خالف هدينا هدى المشركين * وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالافاضة بعد الغروب وبهذا صار الوقوف الى ما بعد الغروب واجبا عند جماهير العلماء وركنا عند بعضهم وكرهوا شدة الاسفار صبيحة جمع ثم الحديث قد ذكر فيه قصد المخالفة للمشركين * وايضاً فمن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشر بواقي آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة متفق عليه وعن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمر وقال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار لا تلبسها رواء مسلم وعلل النهى عن لبسها بانها من ثياب الكفار وسواء أراد انها مما يستحلها الكفار بانهم يستمتعون بخلافهم في الدنيا او بما يعتاده الكفار لذلك كما

وحرّموا ما رزقهم الله) إلى آخر السورة خطاب مع هؤلاء الضرب ولهذا يقول تعالى في شأنها (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ومعلوم أن مبداه هذا التحريم ترك الأمور المباحة تدنياً وأصل هذا الدين هو من التشبه بالكفار وإن لم يقصد التشبه بهم فقدتين لك أن من أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين كما أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار فكيف إذا جمعت الوصفين ولهذا جاء في الحديث ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها وأيضاً فروى أبو داود في سننه وغيره من حديث هشيم أخبرنا أبو بشر عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال أهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها فقليل له انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضاً فلم يعجبه ذلك قال فذكره والقهقش شهور اليهود فلم يعجبه ذلك وقال هو من أمر اليهود قال فذكر له الناقوس فقال هو من فعل النصارى فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهمهم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فأرى الأذان في منامه قال فعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال يا رسول الله أني لبين نائم ويقظان إذا أتاني آت فاراني الأذان قال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتبته عشرين يوماً قال ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما منعك أن تخبرنا فقال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله قال فاذن بلال قال أبو بشر فحدثني أبو عمير أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد لولا أنه كان يومئذ مريراً أيضاً لحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو عوانة عن مغيرة عن عامر الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهتم بأمر الصلاة اهتماماً شديداً ليتبين ذلك فيه وكان فيما أهتم به من أمر الصلاة أن ذكر الناقوس ثم قال هو من فعل النصارى ثم أراد أن يبعث رجلاً يؤذنون الناس بالصلاة في الطرق ثم قال أكره أن أشغل رجلاً عن صلاتهم بأذان غيرهم وذكر رؤيا عبد الله بن زيد ويشهد لهذا ما أخرجه في الصحيحين عن أبي قلابة عن أنس قال لما كثر الناس ذكرهم أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه فذكروا أن ينوروا نارا ويضربوا ناقوساً فامر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة وفي الصحيحين عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى بها أحد فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر أو تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة * ما يتعاق بهذا الحديث من شرح الأذان ورؤيا عبد الله بن زيد وعمر وأمر عمر أيضاً بذلك وما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سمع الأذان ليلة أسرى به إلى غير ذلك * ليس هذا موضع ذكره وذكر الجواب عما قد يستشكل منه وإنما الغرض هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كره بوق اليهود المنفوخ بالقلم وناقوس النصارى المضروب باليد علل هذا بأنه من أمر اليهود وعلل هذا بأنه من أمر النصارى لأن

اسقاط لامور معينة يعتقد انها حقوق لا لسن عامة لهم فلا تدخل في الاول كما لم تدخل الديون
 اتي ثبت بيع صحيح أو قرض ونحو ذلك ولا يدخل في هذا اللفظ ما كانوا عليه في الجاهلية
 وأقره الله في الاسلام كالتناسك وكدية المقتول بمائة وكالقسامة ونحو ذلك لان أمر الجاهلية
 معناه المفهوم منه ما كانوا عليه مما لم يقره الاسلام فيدخل في ذلك ما كانوا عليه وان لم يثبته في الاسلام
 عنه بعينه وايضا ما روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عباس بن عياش عن أبي الحصين يعني
 الهيثم بن شفي قال خرجت أنا وصاحب لي يكنى ابا عامر رجل من المعافر لنصلي بإيلاء وكان قاضيه رجل
 من الازد يقال له أبو ريحانة من الصحابة قال أبو الحصين فسبقتني صاحبي الى المسجد ثم ردفته فجلست
 الى جنبه فسألني هل أدركت قصص أبي ريحانة قلت لا قال سمعته يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن عشر عن الوشر والوشم والتنف وعن مكامعة الرجل الرجل بغير شعار ومكامعة المرأة المرأة بغير
 شعار وان يجعل الرجل باسفل ثيابه حريرا مثل الاعاجم او يجعل على منكبيه حريرا مثل الاعاجم وعن
 النهي وركوب التور ولبوس الخاتم الا الذي سلطان وفي رواية عن أبي ريحانة قال بلغني أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث محفوظ من حديث عباس بن أبي عياش رواه عنه المنضل بن
 فضالة وحيوة بن شريح المصري ويحيى بن أيوب وكل منهم ثقة وعباس بن أبي عياش روى له مسلم وقل يحيى
 ابن معين ثقة وقال أبو حاتم صالح واما أبو الحصين الهيثم بن شفي قال الدارقطني شفي بفتح الشين وتخفيف
 الفاء وأكثر الحديثين يقولون شفي وهو غلط وأبو عامر الحجري فشيخان قد روى عن كل واحد منهما
 أكثر من واحد واما من الشيوخ القدماء وهذا الحديث قد اشكل على أكثر الفقهاء من جهة ان يسير
 الحرير قد دل على جوازه نصوص متعددة ويتوجه تحريمه على الاصل وهو ان يكون صلى الله عليه وسلم
 انما كره أن يجعل الرجل على اسفل ثيابه أو على منكبيه حريرا مثل الاعاجم فيكون المنهي عنه نوعا كان
 شعارا للاعاجم فهى عنه لذلك لا لكونه حريرا فانه لو كان النهى عنه لكونه حريرا لم الثوب كله ولم
 يخص هذين الموضعين ولهذا قال فيه مثل الاعاجم والاصل في الصفة ان تكون لتقيد الموصوف لا لتوضيحه
 وعلى هذا يمكن تحريج ما رواه أبو داود باسناد صحيح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن
 عمران بن حصين أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأركب الارجوان ولا البس المعصر ولا اليس
 القميص المكفف بالحرير فاوما الحسن الى جيب قميصه قال قال ألا وطيب الرجال ريح لونه ألا
 وطيب النساء لون لاريج له قال سعيد اراه قال انما حملوا قوله في طيب النساء على أنها اذا خرجت فاما
 اذا كانت عند زوجها فالتطيب بما شاءت أو يخرج هذا الحديث على الكراهية فقط وكذلك قد يقال في
 الحديث الاول لكن في ذلك نظروا ايضا في الصحيحين عن رافع بن خديج قال قال يا رسول الله انا لا قو
 العدو غدا وليس معنا مدى افندج بالقصب فقال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن
 والظفر وساحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
 الذبح بالظفر معالا بانها مدي الحبشة كما علل السن بانه عظم وقد اختلف الفقهاء في هذا فذهب اهل

الآثار ما لا يليق ذكره هنا حتى روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يزيد ابن الجباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذى الجناحين حدثنا على بن عمر عن أبيه عن على بن الحسين انه رأى رجلاً يحى الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فيها فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان تسليمكم يباهني ايما كنتم وأخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسى الحافظ فى مستخرجه وروى سعيد بن منصور فى سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرنى سهيل بن أبى سهيل قال رأتى الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال ما لى رأيتك عند القبر قلت سمعت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حينما كنتم ماتت ومن بالاندلس الاسواء ولهذا ذكر الأئمة أحمد وغيره من اصحاب مالك وغيرهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما ينبغي له أن يقول ثم اراد ان يدعو فانه يستقبل القبلة ويجعل الحجره عن يساره

فصل فى ذكر فوائد هذه الخطبة العظيمة فى يوم عرفة

وروى مسلم فى صحيحه عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جابر فى حديث حجة الموداع قال حتى اذا زالت الشمس يعنى يوم عرفة امر بالقصواء فرحات له فاتى بطن الوادى فخطب الناس وقال ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً فى بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا اضع من ربائنا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولاكم عليهن أن لا يؤطئن فرشكم أحداً تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وأتم تسئلون عني فما قائلون قالوا نحن نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات ثم أذن فاقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف وذكر تمام الحديث فقال صلى الله عليه وسلم (كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع) وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العبادات والعادات مثل دعواهم يال فلان ويال فلان ومثل اعيادهم وغير ذلك من أمورهم ثم خص بعد ذلك الدماء والاموال التى كانت تستباح باعتقادات جاهلية من الربا الذى كان فى ذم اقوام ومن قتل فى الجاهلية قبل اسلام القاتل وعهده أو قبل اسلام المقتول وعهده اما تخصيصها بالذكر بعد الامام واما لان هذا

على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه فامر به فرج فأنزل الله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول اتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون *) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) في الكفار كلها وأيضا ما روى مسلم في صحيحه عن جندب ابن عبد الله البجلي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد اني أنهاكم عن ذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا قبلنا كانوا يتخذون قبور الانبياء والصالحين مساجد وعند هذا الوصف بالامر بحرف الفاء ان لا يتخذوا القبور مساجد وقال انه صلى الله عليه وسلم ينهانا عن ذلك ففيه دلالة على ان اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا اما مظهر للنهي واما موجب للنهي وذلك يقتضي ان أعمالهم دلالة وعلامة على ان الله ينهانا عنها أو انها علة مقتضية للنهي وعلى التقديرين يعلم ان مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة والنهي عن هذا العمل بلعنة اليهود والنصارى مستفيض عنه صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي لفظ لمسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لطفى يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وفي الصحيحين ايضا عن عائشة ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بارض الحبشة يقال لها مارية وذكرتا من حسنهما وتساویر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شر الخلق عند الله عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عابها المساجد والسرر رواه أهل السنن الاربعة وقال الترمذی حديث حسن وفي بعض نسخه صحيح فهذا التحذير منه واللعن عن مشاهة اهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة في هذا ودليل على الحذر عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم ان تكون من هذا الجنس ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الامة من بناء القبور واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا الامرین محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الاحاديث والآثار اذ الغرض القاعدة الكلية وان كان تسميم ذلك ذكرا غير واحد من علماء الطوائف من اصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين يبالغون في المنع مما يجزى الى مثل هذا وفيه من

في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين مع ان جماعة من اخواننا قد ساحوا السياحة المنهى عنها متأولين في ذلك أو غير عاقلين بالذهي عنه وهي من الرهبانية المبتدعة التي قيل فيها لارهبانية في الاسلام والغرض هنا بيان ما جاء به الحنفية من مخالفة اليهودية فيما أصابهم من القسوة عن ذكر الله وعما أنزل ومخالفة النصارى فيما هم عليه من الرهبانية المبتدعة وان كان قد ابتلى بعض المنتسبين منا الى علم أو دين بنصيب من هذا ومن هذا ومثل مارواه ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته القبط الى حصي فلقطت له سبع حصيات من حصي الخذف فجعل ينفذهن في كفه ويقول امثال هؤلاء فارموا ثم قال أيها الناس اياكم والغلو في الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث عوف بن أبي جميلة عن زياد بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم (وقوله) اياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والاعمال والغلو مجاوزة الحد بان يزاد الشيء في حمله او ذمه على ما يستحق ونحو ذلك والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والاعمال من سائر الطوائف واياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) وسبب هذا اللفظ العام رمى الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه مثل رمى الحجارة الكبار ونحو ذلك بناء على أنه قد بلغ من الحصى الصغار ثم علل ذلك بان ما أهلك من كان قبلنا الا الغلو في الدين كما تراه في النصارى وذلك يقتضي ان مجانية هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا وان المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حذرنا عن مشابهة من قبلنا في أنهم كانوا يفرقون في الحدود بين الاشراف والضعفاء وأمر ان يسوى بين الناس في ذلك وان كثيرا من ذوي الرأي والسياسة قد يظن ان اعفاء الرؤساء اجود في السياسة ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في شأن الخزومية التي سرقت لما كلم اسامة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اسامة اتشفع في حد من حدود الله تعالى انما هلك بنو اسرائيل انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وكان بنو مخزوم من اشرف بطون قريش واشتد عليهم ان تقطع يد امرأة منهم فيين النبي صلى الله عليه وسلم أن هلاك بني اسرائيل انما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات واخبر ان فاطمة ابنته التي هي اشرف النساء لو سرقت وقد اعادها الله من ذلك لقطع يدها ليعين ان وجوب العدل والتعميم في الحدود لا يستثنى منه بنت الرسول فضلا عن بنت غيره وهذا يوافق ما في الصحيحين عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محم مجلود فدعاهم فقال أهكذا تجبدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من عامتهم قال انشدك يا الله الذي انزل التوراة على موسى اهكذا تجبدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتي بهذا لم أخبرك نجدة الرجم ولكنه كثير في اشرافنا فكنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم

النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة وان كان كثير من عبادنا قد وقعوا في بعض ذلك متأولين معذورين أو غير متأولين وفيه ايضا تنبيه على ان التشديد على النفس ابتداء يكون سببا لتشديد آخر يفعله الله اما بالشرع واما بالقدر فأما بالشرع فمثل ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخافه في زمانه من زيادة ايجاب أو تحريم كنحو ما خافه لما اجتمعوا لصلاة التراويح معه ولما كانوا يسألون عن اشياء لم تحرم ومثل ان من نذر شيئا من الطاعات وجب عليه فعله وهو منهي عن نفس عقد النذر وكذلك الكفارات الواجبة بأسباب واما بالقدر فكثيرا قد رأينا وسمعنا من كان يتطوع في اشياء فيبتلى أيضا بأسباب تشدد الامور عليه في الايجاب والتحريم مثل كثير من الموسوسين في الطهارات اذا زادوا على المشروع ابتلوا بأسباب توجب حقيقة عليهم اشياء مشقة مضرة وهذا انما يعنى الذى دل عليه الحديث موافق لما قدمناه في قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم من أن ذلك يقتضى كراهة موافقتهم في الآصار والاغلال والآصار ترجع الى الايجابات الشديدة والاغلال هي التحريمات الشديدة فان الاصر هو الثقل والشدة وهذا شأن ما وجب والغل يمنع المغلول من الانطلاق وهذا شأن المحذور وعلى هذا دل قوله سبحانه (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وسبب نزولها مشهور وعلى هذا ما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهما أما أنا فاصلى الليل ابدا وقال الآخر أنا اصوم الدهر ابدا وقال الآخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال اتهم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه البخارى وهذا لفظه ومسلم ولفظه عن انس ان نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فرش فحمد الله وأثني عليه وقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا وكذا لكنى أصلى واصوم وافطر وأنام واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني والاحاديث الموافقة لهذا كثيرة في بيان ان سنته التي هي الاقتصاد في العبادة وفي ترك الشهوات خير من رهبانية النصارى التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره والغلو في العبادات صوما وصلاة وقد خالف هذا بالتأويل ولعدم العلم طائفة من الفقهاء والعباد ومثل هذا ما رواه أبو داود في سننه عن العلاء بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة أن رجلا قال يا رسول الله أئذن لي في السياحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله فاجبرني النبي صلى الله عليه وسلم بان أمتي سياحتهم الجهاد في سبيل الله وفي حديث آخر ان السياحة هي الصيام والسائحون هم الصائمون ونحو ذلك وذلك تفسير لما ذكره الله تعالى في القرآن من قوله السائحون وقوله سائحات واما السياحة التي هي الخروج في البرية من غير مقصد معين فليس من عمل هذه الامة ولهذا قال الامام أحمد ليست السياحة من الاسلام

هذا او من كان ينقصها عن ذلك اى انه كان صلى الله عليه وسلم يخففها ومع ذلك فلا يحذفها حذف هؤلاء الذين يحذفون الركوع والسجود والاعتدالين كما دل عليه حديث انس والبراء او كان أولئك الامراء ينقصون القراءة او القراءة وبقية الاركان عما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله كما روى ابو قزعة قال اتيت اباسعيد الخدرى وهو مكثور عليه فلما تفرق الناس عنه قلت انى لأسألك عما سألك هؤلاء عنه قلت أسألك عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك فى ذلك من خير فاعادها عليه فقال كانت صلاة الظهر تقام فينطلق أحدنا الى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتى اهله فيتوضأ ثم يرجع الى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى وفى رواية مما يطولها رواه مسلم فى صحيحه فهذا بين لك ان اباسعيد رأى صلاة الناس أنقص من هذا وفى الصحيحين عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الصبح فينصرف الرجل فيعرف جلسه وكان يقرأ فى الركعتين أو احدهما ما بين الستين الى المائة هذا لفظ البخارى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمرنا بالتخفيف وان كان ليؤمننا بالصفات رواه أحمد والنسائى وعن الضحاك بن عثمان عن بكير بن عبد الله عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة قال ماصليت وراء احد اشبه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال أبو سليمان كان يطيل الركعتين الاولين من الظهر ويخفف الاخيرتين ويخفف انعصر ويقرأ فى المغرب بقصار المفصل ويقرأ فى العشاء باوساط المفصل ويقرأ فى الصبح بطوال المفصل رواه النسائى وابن ماجه وهو اسناد على شرط مسلم والضحاك بن عثمان قال فيه أحمد ويحيى هو ثقة وقال فيه ابن سعد كان ثبنا ويدل على ما ذكرناه ماروى مسلم فى صحيحه عن عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة من فقهه فاطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وان من البيان لسحرا فقد جعل طول الصلاة علامة على فقه الرجل وأمر باطالتها وهذا الامراما أن يكون عاما فى جميع الصلوات واما ان يكون المراد به صلاة الجمعة فان كان اللفظ عاما فظاهر وان كان المراد به صلاة الجمعة فاذا أمر باطالتها مع كون الجمع فيها يكون عظيما من الضعفاء والكبار وذوى الحاجات مالىس فى غيره ومع كونها تفعل فى شدة الحر مسبوقة بخطبتين فالفجر ونحوها التى تفعل وقت البرد مع قلة الجمع اولى وأخرى والاحاديث فى هذا كثيرة وانما ذكرنا هذا التفسير لما فى حديث أنس من تقدير صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قيل يحسب من يسمع هذه الاحاديث أن فيها نوع تناقض او يتمسك بعض الناس ببعضها دون بعض ويجهل معنى ماتمسك به واما ما فى حديث أنس المتقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتشدوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فذلك بقاياهم فى الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فيه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد فى الدين بالزيادة على المشروع والتشديد تارة يكون باتخاذ مالىس به اجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب فى العبادات وتارة باتخاذ مالىس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه فى الطيبات وعلى ذلك بان الذين شددوا على أنفسهم من النصارى شدد الله عليهم لذلك حتى آل الامر الى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة وفى هذا تنبيه على كراهة

فلا حد له في اللغة وليس الفعل من العادات كالأحراز والقبض والاصطياد. وأحياء الموات حتى يرجع في حده الى عرف اللفظ بل هو من العبادات والعبادات يرجع في صفاتها ومقاديرها الى الشارع كما يرجع في أصلها الى الشارع ولأنه لو جاز الرجوع فيه الى عرف الناس في الفعل أو في مسمى التخفيف لاختافت الصلاة الشرعية الراتبة التي يؤمر بها في غالب الاوقات عند عدم المعازضات المقتضية للطول أو القصر اختلافاً مبيناً لا يضبط له ولكن لكل أهل عصر ومصر بل لكل أهل حي وسكة بل لأهل كل مسجد عرف في معنى اللفظ وفي عادة الفعل مخالف لعرف الآخرين وهذا مخالف لأمر الله ورسوله حيث قال صلوا كما رأيتموني أصلي ولم يقل كما يسميه أهل أرضكم خفيفاً أو كما يعتادونه وما أعلم أحداً من العلماء يقول ذلك فإنه يفضي الى تغيير الشريعة وموت السنن اما بزيادة واما بتقص وعلى هذا دللت سائر روايات الصحابة فروى مسلم في صحيحه عن زهير عن سماك بن حرب قال سألت جابر بن سمرة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان يخفف الصلاة ولا يصلي صلاة هؤلاء قال وانبأني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بقاف والقرآن المجيد ونحوها وروى أيضاً عن شعبة عن سماك عن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر بالليل اذا يغشى وفي العصر بنحو ذلك وفي الصبح أطول من ذلك وهذا بين مارواه مسلم أيضاً عن زائدة عن سماك عن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بقاف والقرآن المجيد وكان صلاته بعد تخفيفاً انه أراد والله أعلم بقوله وكانت صلاته بعد أي بعد الفجر أي انه يخفف الصلوات التي بعد الفجر عن الفجر فانه في الرواية الاولى جمع بين وصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخفيف وانه كان يقرأ في الفجر بقاف وقد ثبت في الصحيح عن أم سلمة أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بالطور في حجة الوداع وهي طائفة من حول الناس تسمع قراءته وما عاش بعد حجة الوداع الا قليلاً والطور من نحو سورة قاف وثبت في الصحيح عن ابن عباس انه قال ان أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفاً فقالت يا بني لقد ذكرتي بقراءتك هذه السورة انها لا آخر ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب فقد أخبرت أم الفضل أن ذلك آخر ماسمعت يقرأ بها في المغرب وأم الفضل لم تكن من المهاجرات بل هي من المستضعفين كما قال ابن عباس كنت أنا وأبي من المستضعفين الذين عذّرهم الله فهذا السماع كان متأخراً وكذلك في الصحيح عن زيد بن ثابت انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بطول الطولين وزيد من صفار الصحابة وكذلك صلى بالمؤمنين في الفجر بمكة وأدركته سعة عند ذكر موسى وهرون فهذه الاحاديث وامثالها تبين انه كان في آخر حياته صلى الله عليه وسلم يصلي في الفجر بطول المفصل وشواهد هذا كثيرة ولان سائر الصحابة اتفقوا على ان هذه كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي مازال يصليها ولم يذكر احد أنه نقص صلاته في آخر عمره عما كان يصليها وأجمع الفقهاء على أن السنة ان يقرأ في الفجر بطول المفصل وقوله ولا يصلي صلاة هؤلاء اما ان يريد به من كان يطيل الصلاة على

وقرأ بالطور وان عرض ما يقتضى التخفيف عن ذلك فعل كما قال فى بكاء الصبي ونحوه فقد تبين أن حديث أنس تضمن مخالفة من خفف الركوع والسجود تخفيفا كثيرا ومن طول القيام تطويلا كثيرا وهذا الذى وصفه أنس ووصفه سائر الصحابة فروى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن هلال بن أبى حميد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن البراء بن عازب قال رمقت الصلاة مع محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت قيامه فركعته فاعتداله بعد ركوعه فسجدته فجلسته بين السجدين فجلسته ما بين التسليم والانصراف قريبا من السواء وروى مسلم ايضا فى صحيحه عن شعبة عن الحكم قال غلب على الكوفة رجل قد سماه زمن بن الاشعث قال فامر ابا عبيدة بن عبد الله ان يصلى بالناس فكان يصلى فاذا رفع رأسه من الركوع قام قدر ما أقول اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد أهل الثناء والمجد ولا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال الحكم فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن أبى ليلى فقال سمعت البراء بن عازب يقول كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وركوعه واذا رفع رأسه من ركوعه وسجوده وما بين السجدين قريبا من السواء قال شعبة فذكرته لعمر بن مرة فقال قد رأيت عبد الرحمن بن أبى ليلى فلم تكن صلاته هكذا وروى البخارى هذا الحديث ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء وذلك لانه لاشك أن القيام قيام القراءة وقعود التشهد يزيد على بقية الاركان لكن لما كان صلى الله عليه وسلم يوجز القيام ويتم بقية الاركان صارت قريبا من السواء فكل واحدة من الروايتين تصدق الاخرى وانما البراء تارة قرب ولم يحدد وتارة استثنى وحدد وانما جاز أن يقال فى القيام مع بقية الاركان قريبا بالنسبة الى الامراء الذين يطيلون القيام ويخففون الركوع والسجود حتى يعظم التفاوت ومثل هذا أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف فقرأ فى الركعة بنحو من سورة البقرة وركع فكان ركوعه نحو من قيامه وكذلك سجوده ولهذا نقول نحن فى اصح القولين ان ركوع صلاة الكسوف وسجودها يكون قريبا من قيامه بقدر معظمه اكثر من النصف ومن أصحابنا وغيرهم من قال اذا قرأ البقرة يسبح فى الركوع والسجود بقدر قراءة آية وهو ضعيف مخالف للسنة وكذلك روى مسلم فى صحيحه عن ابى سعيد وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد الرفع من الركوع من الذكر ما يصدق حديث أنس والبراء وكذلك صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التطوع فانه كان اذا صلى بآيل وحده طول لنفسه ماشاء وكان يقرأ فى الركعة بالبقرة وآل عمران والنساء ويركع نحو من قيامه ويرفع نحو من ركوعه ويسجد نحو من قيامه ويجلس نحو من سجوده ثم هذا القيام الذى وصفه أنس وغيره بالخفة والتخفيف الذى أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بفعله وامره وبلغ ذلك أصحابه فانه لما صلى على أنس قال انما فعلت هذا لتأتوا بى ولتعلموا صلاتى وقال لما لك بن الحويرث وصاحبه صلوا كما رأيتمونى اصلى وذلك أنه ما من فعل فى الغالب الا وقد يسمى خفيفا بالنسبة الى ما هو اطول منه ويسمى طويلا بالنسبة الى ما هو أخف منه

والإتمام الى الركوع والسجود لان القيام لا يكاد يفعل الا تامة فلا يحتاج الى الوصف بالإتمام بخلاف الركوع والسجود والاعتدالين وأيضاً فإنه بإيجاز القيام وإطالة الركوع والسجود تصير الصلاة تامة لاعتدالها وتقاربها فيصدق قوله ما رأيت أوجز ولا أتم فأما ان أعيد الإيجاز الى نفس ما أتم والإتمام الى نفس ما أوجز يصير في الكلام تناقض لان من طول القيام على قيامه لم يكن دونه في إتمام القيام الا أن يقال الزيادة في الصورة تصير نقصاً في المعنى وهذا خلاف ظاهر اللفظ فان الأصل أن يكون معنى الإيجاز والتخفيف غير معنى الإتمام والأكمال ولان زيد بن أسلم قال كان عمر يخفف القيام والقعود ويتم الركوع والسجود فعلم أن لفظ الإتمام عندهم هو إتمام الفعل الظاهر وأحاديث أنس كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطيل الركوع والسجود والاعتدالين زيادة على ما فعله أكثر الأئمة وسائر روايات الصحيح تدل على ذلك ففي الصحيحين عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال اني لا آلو أن أصلي لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا قال ثابت فكان أنس يصنع شيئاً لا أراكم تصنعونه كان اذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائماً حتى يقول القائل قد نسي واذا رفع رأسه من السجدة مكث حتى نقول قد نسي وفي رواية في الصحيح واذا رفع رأسه بين السجدين وفي رواية للبخاري من حديث شعبة عن ثابت كان أنس ينعت لنا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يصلي واذا رفع رأسه من الركوع قام حتى نقول قد نسي فهذا بين لك ان انسا اراد بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطالة الركوع والسجود والرفع فيهما على ما كان الناس يفعلونه وتقصير القيام عما كان الناس يفعلونه وروى مسلم في صحيحه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة فيبين ان التخفيف الذي كان يفعله هو تخفيف القراءة وان كان ذلك يقتضي ركوعاً وسجوداً يناسب القراءة ولهذا قال كانت صلاته متقاربة أى يقرب بعضها من بعض وصدق أنس فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بنحو الستين الى المائة يقرأ في الركعتين بطوال المفصل بالم تنزيل وهل أتى وبالصفات وبقاف وربما قرأ أحياناً بما هو أطول من ذلك وأحياناً بما هو أخف فاما عمر رضي الله عنه فكان يقرأ في الفجر بيونس وهود ويوسف ولعله علم أن الناس خلفه يؤثرون ذلك وكان معاذ رضي الله عنه قد صلى خلفه العشاء الآخرة ثم ذهب الى بنى عمر وبن عوف بقاء فقرأ بسورة البقرة فانكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال أفنان أنت يا معاذ اذا أتمت الناس تخفف فان من ورائك الكبير والضعيف وذا الحاجة هلا قرأت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها ونحوها من السور فالتخفيف الذي امر به النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً وغيره من الأئمة هو ما كان يفعله بابي هو وأمي صلى الله عليه وسلم فانه كما قال أنس كان اخف الناس صلاة في تمام وقد قال صلوا كما رأيتموني أصلي ثم ان عرض حال عرف منها ايثار المامومين للزيادة على ذلك فحسن فانه صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب بطولى الطويلين

أكثر الأئمة أو كثيرا منهم كانوا قد صاروا يصلون كذلك ومنهم من كان يقرأ في الآخرين مع الفاتحة سورة وهذا كله قد صار مذاهب لبعض الفقهاء وكان الخوارج أيضا قد تعمقوا وتنطعوا كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ولهذا لما صلى على رضى الله عنه بالبصرة قال عمر إن لقد أذكركني هذا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدلة كان يخفف القيام والقعود ويطول الركوع والسجود وقد جاء هذا مفسرا عن أنس بن مالك نفسه فروى النسائي عن قتيبة عن العطاء بن خالد عن زيد بن أسلم قال دخلنا على أنس بن مالك فقال صليتم قنما نعم قال يا جارية هلمى لى وضوا ما صليت وراء امام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من امامكم هذا قال زيد وكان عمر بن عبد العزيز يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود وهذا حديث صحيح فان العطاء بن خالد المخزومي قال فيه يحيى بن معين غير مرة هو ثقة وقال أحمد بن حنبل هو من اهل مكة ثقة صحيح الحديث روى عنه نحو مائة حديث وقال ابن عدى يروى قريبا من مائة حديث ولم ار مجديته بأسا اذا حدث عنه ثقة وروى أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن ابراهيم بن عمر بن كيسان حدثني أبي عن وهب بن مانوس سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت أنس بن مالك يقول ماصليت وراء أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعنى عمر بن عبد العزيز قال فخرنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات وقال يحيى بن معين ابراهيم بن عمر بن كيسان يمانى ثقة وقال هشام بن يوسف أخبرني ابراهيم بن عمر وكان من أحسن الناس صلاة وابنه عبد الله قال فيه أبو حاتم صالح الحديث ووهب بن مانوس بالنون بقوله عبد الله هذا وكان عبد الرزاق يقول له بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل وهو شيخ كبير قديم قد أخذ عنه ابراهيم هذا وتابع ما حدث به ولولا ثقته عنده لما عمل بما حدث به وحديثه موافق لرواية زيد بن أسلم وما أعلم فيه قدحا وروى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك قال ماصليت خلف أحد أوجز صلاة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة وكانت صلاة أبي بكر متقاربة فلما كان عمر رضى الله عنه مد فى صلاة الفجر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى نقول قد أوهم ثم يسجد ويقعد بين السجدين حتى نقول قد أوهم ورواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة أنبأنا ثابت وحيد عن أنس بن مالك قال ماصليت خلف رجل أوجز صلاة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى نقول قد أوهم ثم يكبر ثم يسجد وكان يقعد بين السجدين حتى نقول قد أوهم فجمع أنس رضى الله عنه فى هذا الحديث الصحيح بين الاخبار بإيجاز النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة وتمامها وبين أن من أتمامها الذى أخبر به اطالة الاعتدالين وأخبر فى الحديث المتقدم أنه ما رأى أوجز من صلاته ولا أتم فيشبه والله أعلم أن يكون الإيجاز عاد الى القيام

منكم سيرى منكرا وبحسب امرئ يرى منكرا لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره ولما نهى الله عن التشبه بهؤلاء الذين قست قلوبهم ذكر أيضاً في آخر السورة حال الذين ابتدعوا الرهبانية فما رعوها حق رعايتها فعقنها بقوله (اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فان الايمان بالرسول تصديقه وطاعته واتباع شريعته وفي ذلك مخالفة للرهبانية لانه لم يبعث بها بل نهى عنها وأخبر ان من اتبعه كان له أجران وبذلك جاءت الاحاديث الصحيحة من طريق ابن عمر وغيره في مثلنا ومثل أهل الكتاب وقد صرح صلى الله عليه وسلم بذلك فيما رواه أبو داود في سننه من حديث ابن وهب أخبرني سعيد بن عبد الرحمن ابن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم هذا الذي في رواية اللؤلؤي عن أبي داود في رواية ابن داسة عنه انه دخل هو وابوه على أنس بن مالك بالمدينة في زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فاذا هو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافرا وقرب منها فلما سلم قال يرحمك الله أرايت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تغفلته قال انها المكتوبة وانها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم غدا من الغد فقال ألا تركب وننظر لنعبر قال نعم فركبا جميعا فاذا بديار باد أهلها وانقضوا وفواخواوية على عروشها قال أتعرف هذه الديار فقال نعم ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل ديار أهلكم الله ببغيتهم وحسدكم ان الجسد يطفئ نور الحسنات والبنى يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه فأما سهل بن أبي أمامة فقد وثقه يحيى بن معين وغيره وروى له مسلم وغيره وأما ابن أبي العمياء فمن أهل بيت المقدس ما أعرف حاله لكن رواية أبي داود للحديث وسكوته عنه يقتضى أنه حسن عنده وله شواهد في الصحيح فأما ما فيه من وصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخفيف ففي الصحيحين عنه أعنى أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويكملها وفي الصحيحين أيضا عنه قال ماصليت وراء إمام قط اخف صلاة ولا اتم من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم زاد البخارى وان كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه وما ذكره أنس بن مالك من التخفيف هو بالنسبة الى ما كان يفعله بعض الامراء وغيرهم في قيام الصلاة فان منهم من كان يطيل زيادة على ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله في غالب الاوقات ويخفف الركوع والسجود والاعتدال عما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله في غالب الاوقات ولعل

قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) فقلوه ولا يكونوا مثاهم نهى مطلق عن مشابهتهم وهو خاص أضافى
 الهى عن مشابهتهم فى قسوة قلوبهم وقسوة القلوب من ثمرات المعاصى وقد وصف الله سبحانه بها اليهود
 فى غير موضع فقال تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست
 قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق
 فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) وقال تعالى (ولقد أخذ الله
 ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى
 وعزرتهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار
 الى قوله فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا
 به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) وان قوما من
 هذه الامة ممن ينسب الى علم أو دين قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب يرى ذلك من له بصيرة فتعوز
 بالله من كل ما يكرهه الله ورسوله ولهذا كان السلف يحذرونهم هذا فروى البخارى فى صحيحه عن أبى الاسود
 قال بعث أبو موسى الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل
 البصرة وقرأوهم فأتوهم ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وانا
 كنا نقرأ صورة نشبهها فى الطول والشدة براءة فأنسيتها غير انى حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من
 ذهب لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات
 فأنسيتها غير انى حفظت منها يأبى الذين آمنوا لم يقولون مالا يفعلون فتكتب شهادة فى اعناقكم فتسألون
 عنها يوم القيامة فحذر أبو موسى القراء أن يطول عليهم الامد فتقسو قلوبهم ثم لما كان نقض الميثاق
 يدخل فيه نقض ما عهد الله اليهم من الامر والنهى وتحريف الكلم عن مواضعه تبديل وتأويل كتاب
 الله أخبر ابن مسعود بما يشبه ذلك فروى الاعمش عن عمارة بن عمير عن الربيع بن عمية حدثنا عبد الله
 حديثا ما سمعت حديثا هو أحسن منه الا كتاب الله أو رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى
 إسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم اشتبهت قلوبهم واستحلت انفسهم وكان
 الحق يحول بينهم وبين كثير من شهوراتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فقالوا اعرضوا
 هذا الكتاب على بنى إسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم وان خالفوكم فاقتلوهم ثم قالوا لا بل ارسلوا الى فلان
 رجل من علمائهم فاعرضوا عليه هذا الكتاب فان تابعكم فلن نخالفكم أحد بعده وان خالفكم فاقتلوه فلن
 يختلف عليكم بعده أحد فارسلوا اليه فاخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله ثم جعلها فى قرن ثم علقها فى
 عنقه ثم لبس عليها الثياب ثم أتاهم فعرضوا عليه الكتاب فقالوا أتؤمن بهذا فإوما الى صدره فقال آمنت بهذا
 وما الى لأومن بهذا يعنى الكتاب الذى فى القرن نخلو اسبيله وكان له أصحاب يغشونه فلمامات نبشود فوجدوا
 القرن ووجدوا فيه الكتاب فقالوا ألا ترون قوله آمنت بهذا وما الى لا أومن بهذا إنما عنى هذا الكتاب
 فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير ملهم أصحاب ذى القرن قال عبد الله وان من بقى

والحساب الذى تسلكه الاعاجم من الروم والفرس والقبط والهند وأهل الكتب من اليهود والنصارى وقدرى غير واحد من أهل العلم أن أهل الكتابين قبلنا إنما أمروا بالرؤية أيضا فى صومهم وعبادتهم وتأولوا على ذلك قوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) ولكن أهل الكتابين بدلوا ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تقديم رمضان باليوم واليومين وعلى الفقهاء ذلك بما يخاف من أن يزداد فى الصوم المفروض ما ليس منه كما زاده أهل الكتاب من النصارى فانهم زادوا فى صومهم وجعلوه فيما بين الشتاء والصيف وجعلوا له طريقة من الحساب يتعرفونه بها وقد يستدل بهذا الحديث على خصوص النهى عن أعيادهم فان أعيادهم معلومة بالكتاب والسنة والحساب والحديث فيه عموم أو يقال اذا نهينا عن ذلك فى عيد الله ورسوله وفى غيره من الاعياد والمواسم أولى وأحرى ألما فى ذلك من مضارعة الامة الأمية سائر الامة وبالجملة فالحديث يقتضى اختصاص هذه الامة بالوصف الذى فارقت به غيرها وذلك يقتضى أن ترك المشابهة للامم أقرب الى حصول الوفاء بالاختصاص وأيضا فى الصحيحين عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع معاوية عام حج على المنبر وتناول قبضة من شعر كانت فى يد حرسى فقال يا أهل المدينة أين علماءكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذه ويقول إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذوا نساؤهم وفى رواية سعيده بن المسيب فى الصحيح ان معاوية قال ذات يوم انكم اتخذتم زى سوء وان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الزور قال وجاء رجل بعصا على رأسها خرقة قال معاوية ألا وهذا الزور قال قتادة يعنى ما يكثر به النساء أشعارهن من الخرق وفى رواية عن ابن المسيب فى الصحيح قال قدم معاوية المدينة فخطبنا وأخرج كبة من شعر فقال ما كنت أرى أن أحدا يفعله الا اليهود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه الزور فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن وصل الشعر ان بنى إسرائيل هلكوا حين أحدثه نساؤهم يحذر أمته مثل ذلك ولهذا قال معاوية ما كنت أرى أن أحدا يفعله الا اليهود فما كان من زى اليهود الذى لم يكن عليه المسلمون اما أن يكون مما يعذبون عليه أو مظنة لذلك أو يكون تركه حسما لمادة ما عذبوا عليه لاسيما اذا لم يتميز ما هو الذى عذبوا عليه من غيره فانه يكون قد اشتبه المحظور بغيره فيترك الجميع كما أن ما يخبرون به لما اشتبه صدقه بكذبه ترك الجميع وأيضا ما روى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال قال عمر اذا كان لاحدكم ثوبان فليصل فيهما فان لم يكن له الا ثوب فليترز ولا يشتمل اشتمال اليهود رواه أبو داود وغيره باسناد صحيح وهذا المعنى صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جابر وغيره أنه أمر فى الثوب الضيق بالاتزار دون الاشتمال وهو قول جمهور أهل العلم وفى مذهب أحمد قولان وإنما الغرض أنه قال ولا يشتمل اشتمال اليهود فان اضافة المنهى عنه الى اليهود دليل على أن لهذه الاضافة تأثيرا فى النهى كما تقدم التنبيه عليه وأيضا فما نهانا سبحانه فيه عن مشابهة أهل الكتاب وكان حقه أن يقدم فى أوائل الكتاب قوله سبحانه (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من

بالكف قال وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة ولم يرفعه وهذا وإن كان فيه ضعف فقد تقدم الحديث المرفوع من تشبه بقوم فهو منهم وهو محفوظ عن حذيفة بن اليمان أيضاً من قوله وحديث ابن لهيعة يصلح للاعتضاد كذا كان يقول أحمد وغيره وأيضاً ما روى أبو داود حدثنا قتيبة بن سعيد الثقفى حدثنا محمد بن ربيعة حدثنا أبو الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن ركانة أو محمد بن علي بن ركانة عن أبيه أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم قال ركانة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فرق ما بيننا وبين المشركين بالعبائم على القلائس وهذا يقتضي أنه حسن عند أبي داود ورواه الترمذى أيضاً عن قتيبة وقال غريب وليس اسناده بالقائم ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة وهذا القدر لا يمنع أن يعتضد بهذا الحديث ويشهد به وهذا بين في أن مفارقة المسلم المشرك في اللباس أمر مطلوب للشارع كقوله فرق ما بين الحلال والحرام الدف والصوت فإن التفريق بينهما مطلوب في الظاهر إذ الفرق بالاعتقاد والعمل بدون الهامة حاصل فلولاً أنه مطلوب بالظاهر أيضاً لم يكن فيه فائدة وهذا كما أن الفرق بين الرجال والنساء لما كان مطلوباً ظاهراً وباطناً لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء وقال أخرجه من بيوتكم ونفى الخنث لما كان رجلاً متشبهاً في الظاهر بغير جنسه وأيضاً عن أبي غطفان المرقى سمعت عبد الله بن عباس يقول حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم في صحيحه وروى الامام احمد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا يوماً قبله و يوماً بعده والحديث الذي رواه ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن جده ابن عباس فتدبر هذا يوم عاشوراء يوم فاضل يكفر سنة ماضية صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه ورغب فيه ثم لما قيل له قبيل وفاته انه يوم تعظمه اليهود والنصارى أمر بمخالفتهم بضم يوم آخر اليه وعزم على ذلك ولهذا استحب العلماء منهم الامام أحمد ان يصوم تسوعاً وعاشوراء وبذلك علمت الصحابة رضى الله عنهم قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع عطاء ابن عباس يقول صوموا التاسع والعاشر خالفوا اليهود وأيضاً عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين رواه البخارى ومسلم فوصف هذه الأمة بترك الكتابة والحساب الذى يفعله غيرها من الأمم في أوقات عبادتهم وأعيادهم وأحاطها على الرؤية حيث قال في غير حديث صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وفي رواية صوموا من الوضوح الى الوضوح أى من الهلال الى الهلال وهذا دليل على ما أجمع عليه المسلمون الا من شذ من بعض المتأخرين المخالفين المسبوقين بالاجماع من ان مواقيت الصوم والفطر والنسك إنما تقام بالرؤية عند امكانها لا بالكتاب

وهو نادر ومن تبع غيره في فعل لغرض له في ذلك اذا كان أصل الفعل مأخوذاً عن ذلك الغير فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه ففي كون هذا تشبهاً نظر لكن قد ينهى عن هذا لثلاث يكون ذريعة الى التشبه ولما فيه من المخالفة كما أمر بصنيع الامي واحفاء الشوارب مع أن قوله صلى الله عليه وسلم غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود دليل على ان التشبه بهم يحصل بغير قصد مناوفاً لفعل بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا وهذا ابغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية وقد روى في هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التشبه بالاعاجم وقال من تشبه بقوم فهو منهم ذكره القاضي أبو يعلى وبهذا احتج غير واحد من العلماء على كراهة أشياء من زى غير المسلمين قال محمد بن أبي حرب سئل احمد عن نعل سندی يخرج فيه فكرهه للرجل والمرأة وقال ان كان للكنيف والوضوء وأكره الصرار وقال هو من زى العجم الاعاجم وقد سئل سعيد بن عامر عنه فقال سنة نينا أحب الينا من سنة كاهن وقال في رواية للمروزي وقد سأله عن النعل السندی قال أما أنا فلا أستعملها ولكن اذا كان للطين أو المخرج فارجو وأما من أراد الزينة فلا وراى على باب المخرج نعلاً سدياً فقال تشبه بأولاد الملوك وقال أيضاً حرب الكرماني قلت لاحد فهذه النعال الغلاظ قال هذه السندية قل اذا كان للوضوء أو للكنيف أو موضع ضرورة فلا بأس وكأنه كره أن يمشى بها في الازقة قيل فالنعل من الخشب قال لا بأس بها أيضاً اذا كان موضع ضرورة قال حرب حدثنا أحمد بن نصر حدثنا حبان ابن موسى قال سئل ابن المبارك عن هذه النعال الكرمانية فلم تعجبه وقال أما في هذه غيبة عن تلك وروى الخلال عن أحمد بن ابراهيم الدورقي قل سألت سعيد بن عامر عن لباس النعال السبتية فقال زى نينا أحب الينا من زى باكن ملك الهند ولو كان في مسجد المدينة لاخرجوه من المدينة سعيد بن عامر الضبى امام أهل البصرة علماً ودينياً من شيوخ الامام أحمد قل يحيى بن سعيد النطان وذكر عنده سعيد بن عامر الضبى فقال هو شيخ البصرة منذ أربعين سنة وقل أبو مسعود بن الزيات ما رأيت بالبصرة مثل سعيد بن عامر وقل الميموني رأيت أبا عبد الله عمامته تحت ذقنه ويكره غير ذلك وقل العرب اعتمها تحت اذقنها وقال أحمد في رواية الحسن بن محمد يكره أن تكون العمامة تحت الحنك كراهة شديدة وقل إنما يتعمم مثل ذلك اليهود والنصارى والمجوس ولهذا أيضاً كره احمد لباس أشياء كانت شعار الظلمة في وقته من السواد ونحوه وكره هو وغيره تغميض العين في الصلاة وقال هو من فعل اليهود وقد روى أبو حفص العكبرى بإسناده عن بلال بن أبي حدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا خفاة وهذا مشهور محفوظ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب به الى المسلمين وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى في كلام الخلفاء الراشدين وقل الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسامى اليهود الاشارة بالاصابع وتسامى النصارى الاشارة

فيه أبداً) فانه كان من أمكنة العذاب قال سبحانه (أفنأسس بيناه على تقوى من الله ورضوان خير أم أن أسس بيناه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم) وقد روى أنه لما هدم خرج منه دخان وهذا كما انه نذب الى الصلاة في أمكنة الرحمة كالساجد الثلاثة ومسجد قباء فكذلك نهى عن الصلاة في أماكن العذاب فالما أما كن الكفر والمعاصي التي لم يكن فيها عذاب اذا جمعت مكانا للإيمان أو الطاعة فهذا حسن كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أهل الطائفة أن يجعلوا المسجد مكان طواغيتهم وأمر أهل اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم وكان مسجده صلى الله عليه وسلم مقبرة فجعله صلى الله عليه وسلم مسجدا بعد نبش القبور فاذا كانت الشريعة قد جاءت بالنهي عن مشاركة الكفار في المكان الذي حل بهم فيه العذاب فكيف بمشاركتهم في الاعمال التي يعملونها فانه اذا قيل هذا العمل الذي يعملونه لو تجرد عن مشابهتهم لم يكن محرما ونحن لانقص التشبه بهم فيه فنفس الدخول الى المكان ليس بمعصية لو تجرد عن كونه اثرهم ونحن لانقص التشبه بهم بل المشاركة في العمل أقرب الى اقتضاء العذاب من الدخول الى الديار فان جميع ما يعملونه مما ليس من أعمال المسلمين السابقين اما كفر واما معصية واما شعار كفر أو معصية واما مظنة للكفر والمعصية واما أن يخاف ان يجر الى المعصية وما أحسب أحدا ينازع في جميع هذا ولئن نازع فيه فلا يمكنه أن ينازع في أن المخالفة فيه أقرب الى المخالفة في الكفر والمعصية وان حصول هذه المصاحبة في الاعمال أقرب من حصولها في المكان ألا ترى ان متابعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في أعمالهم أنفع وأولى من متابعتهم في مساكنهم ورؤية آثارهم وأيضا ما هو صريح في الدلالة ماروى أبو داود في سننه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو النضر يعني هاشم بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن ثابت حدثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم وهذا اسناد جيد فان ابن ابى شيبة واما النضر وحسان بن عطية ثقات مشاهير اجلاء من رجال الصحيحين وهم اجل من ان يحتاج الى ان يقال هم من رجال الصحيحين وأما عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان فقال يحيى بن معين وأبو زرعة وأحمد بن عبد الله ليس به بأس وقال عبد الرحمن بن ابراهيم دحيم هو ثقة وقال أبو حاتم هو مستقيم الحديث وأما أبو منيب الجرشي فقال فيه أحمد بن عبد الله العجلي هو ثقة وما علمت أحدا ذكره بسوء وقد سمع منه حسان بن عطية وقد احتج الامام احمد وغيره بهذا الحديث وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضى تحريم التشبه بهم وان كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم كما في قوله (ومزيتوهم منكم فانه منهم) وهو نظير ما ساند كرد عن عبد الله بن عمرو أنه قال من بنى بأرض المشركين ودفع يروزهم ومهرجاناتهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فانه يوجب الكفر ويقتضى تحريم ابعاض ذلك وقد يحمل على انه منهم في القدر المشترك الذين شابههم فيه فان كان كفرا او معصية أو اشعارا لها كان حكمه كذلك وبكل حال يقتضى تحريم التشبه بعله كونها تشبها والتشبه يعم من فعل الشيء لاجل انهم فعلوه

دار الكفار وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل ان يسلم فانه في جاهلية وان كان في دار الاسلام فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا تزال في امته طائفة ظاهرين على الحق الى قيام الساعة والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم أربع في أمتي من أمر الجاهلية وقال لأبي ذر انك امرؤ فيك جاهلية ونحو ذلك فقوله في هذا الحديث ومبتغ في الاسلام سنة جاهلية يندرج فيه كل جاهلية مطلقة أو مقيدة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو صابئة أو وثنية أو مشركية من ذلك أو بعضه أو منزعته من بعض هذه الممال الجاهلية فانها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً الا على حال العرب التي كانوا عليها فان المعنى واحد وفي الصحيحين عن نافع عن ابن عمر أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ورواه البخاري من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجننا منها واستقينا فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما مر بالحجر لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى أما كن المعذنين الا مع البكاء خشية أن يصيب الداخل ما أصابهم ونهى عن الانتفاع بما هم حتى أمرهم مع حاجتهم في تلك الغزوة وهي أشد غزوة كانت على المسلمين أن يعافوا النواضح بعجين مائهم وكذلك أيضاً روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الصلاة في أما كن العذاب فروى أبو داود عن سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري أن علياً رضي الله عنه مر بابل وهو يسير فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال ان حبي النبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي في المقبرة ونهاني أن أصلي في أرض بابل فانها ملعونة ورواه أيضاً عن أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أيضاً أخبرني يحيى بن أزهر وابن لهيعة عن الججاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري عن علي بن معناه ولفظه فلما خرج منها مكان برز وقد روى الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله بالسناد أوضح من هذا عن علي رضي الله عنه نحوه من هذا أنه كره الصلاة بأرض بابل وأرض الحسف أو نحو ذلك وكره الامام أحمد الصلاة في هذه الامكنة اتباعاً لعل رضي الله عنه وقوله نهاني أن أصلي في أرض بابل فانها ملعونة يقتضي أن لا يصلي في أرض ملعونة والحديث المشهور في الحجر يوافق هذا فانه اذا كان قد نهى عن الدخول الى أرض العذاب دخل في ذلك الصلاة وغيرها ووافق ذلك قوله سبحانه عن مسجد الضرار (لا تقم

ف واء قيل مبتغيا أو غير مبتغ فان الابتغاء هو الطاب والارادة فكل من اراد في الاسلام أن يعمل بشئ من سنن الجاهلية دخل في الحديث والسنة الجاهلية كل عادة كانوا عاها فان السنة هي العادة وهي الطريق التي تشكر لنوع الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة قل تعالى (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من كان قبلكم والاتباع هو الاقتفاء والاستئان فن عمل بشئ من سننهم فقد تبع سنة جاهلية وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شئ كان من سنن الجاهلية في أعيادهم وغير أعيادهم ولفظ الجاهلية قد يكون اسما للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسما لذي الحال فن الاول قول النبي صلى الله عليه وسلم لا بى ذر انك امرؤ فيك جاهلية وقول عمر انى نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة وقول عائشة كان النكاح في الجاهلية على اربعة أنحاء وقولهم يارسول الله كنا في جاهلية وشر أى في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك فان الجاهلية وان كان في الاصل صفة لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما ومعناه قريب من معنى المصدر وأما الثانى فتقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلى وذلك نسبة الى الجهل الذى هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فان من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا فان اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا فان قال خلاف الحق علما بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضا كما قال تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض شعراء العرب

ألا لايجهان أحد علينا * فجهل فوق جهل الجاهلينا

وهذا كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وان علم أنه مخالف للحق كما قال سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الاعمال في معنى الايمان حقيقة لا مجازا وان لم يكن كل من ترك شيئا من الاعمال كافرا أو خارجا عن أصل معنى الايمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الاسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكيا وضالين وجاهلين ويصفهم بانهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولى الالباب وأولى النهى وانهم مهتدون وان لهم نورا وانهم يسمعون ويعقلون فاذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في حال جاهلية منسوبة الى الجهل فان ما كانوا عليه من الاقوال والاعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد ما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطانة قد تكون في معصية دون معصية كما هي في

الامر الاعمى الذى لا يدري وجهه فكذلك قتال العصبية يكون عن غير علم بجواز قتال هذا وجعل قتلة
المقتول قتلة جاهلية سواء غضب بقلبه أو دعا باسائه أو ضرب بيده وقد فسر ذلك فيما رواه مسلم أيضاً عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل فى أى
شئ قتل ولا يدري المقتول على أى شئ قتل فليل كيف يكون ذلك قال المهرج التاتل والمقتول فى
النار والقسم الثالث الخوارج على الامة امان من العداة الذين غرضهم الاموال كقطاع الطريق ونحوهم أو غرضهم
الرئاسة كمن يقتل أهل المصر الذين هم تحت حكم غيره مطلقاً وان لم يكونوا مقاتلة أو من الخارجين عن السنة
الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقاً كالحرورية الذين قتلهم على رضى الله عندهم انه صلى الله عليه وسلم
سمى الميتة والقتلة ميتة جاهلية وقتلة جاهلية على وجه الذم لها والنهى عنها والام يمكن قد زجر عن ذلك فعلم انه
كان قد قرر عند أصحابه ان ما ضيف الى الجاهلية من ميتة وقتلة ونحو ذلك فهو مذموم منهى عنه وذلك يقتضى
ذم كل ما كان من أمور الجاهلية وهو المطلوب ومن هذا ما أخرجه فى الصحيحين عن المعرور بن سويد
قال رأيت أبا ذر عليه حلة وعلى غلامه مثاها فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلاً على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعيره بأمة فأثنى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية وفى رواية قات على ساعى هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم
وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
تكلفوهم ما يغلبهم فان كلتموهم فأعينوهم عليه فى هذا الحديث ان كل ما كان من أمر الجاهلية فهو
مذموم لان قوله فيك جاهلية ذم لتلك الخصلة فلولا أن هذا الوصف يقتضى ذم ما شتم عليه لما حصل
به المقصود وفيه أن التعبير بالانساب من أخلاق الجاهلية وفيه أن الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد
يكون فيه بعض هذه الخطلات المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه وأيضاً
ما رواه مسلم فى صحيحه عن نافع عن جبير بن مطعم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغض
الناس الى الله ثلاثة ملحد فى الحرم ومبتغ فى الاسلام سنة جاهلية ومطل دم امرئ بنير حق ليريق
دمه أخبر صلى الله عليه وسلم ان ابغض الناس الى الله هؤلاء الثلاثة وذلك لان الفساد فى الدين واما
فى الدنيا فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذى
هو الكفر . . . وأما فساد الدين فنوعان نوع يتعلق بالعمل ونوع يتعلق بمحل العمل فأما المتعلق بالعمل فهو
ابتغاء سنة الجاهلية وأما ما يتعلق بمحل العمل فالالحاد فى الحرم لان أعظم محال العمل الحرم وانتهاك
حرمة المحل المكاني أعظم من انتهاك حرمة المحل الزماني ولهذا حرم من تناول المباحات من الصيد
والنبات فى البلد الحرام ما لم يحرم مثله فى الشهر الحرام ولهذا كان الصحيح أن حرمة القتال فى البلد
الحرام باقية كما دلت عليه النصوص الصحيحة بخلاف الشهر الحرام فلماذا والله أعلم ذكر صلى الله عليه وسلم
الحلاد فى الحرم وابتغاء سنة جاهلية والمقصود أن من هؤلاء الثلاثة من ابتغى فى الاسلام سنة جاهلية

فعل أهل الجاهلية فامانصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب أو مستحب ومثل هذا ما روى أبو داود وابن ماجه عن وائلة بن الاسقع رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما العصية قال أن تعين قومك على الظلم وعن سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم رواه أبو داود وروى أيضا عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية وروى ايضا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نصر قومه على غير الحق فهو كلبعير الذى تردى فهو ينزع بذنبه فاذا كان هذا التداعى في هذه الاسماء وهذا الانتساب الذى يحبه الله ورسوله فكيف بالتعصب مطلقا والتداعى للنسب والاضافات التى هى اما مباحة أو مكروهة وذلك أن الانتساب الى الاسم الشرعى أحسن من الانتساب الى غيره ألا ترى الى ما رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عبد الرحمن ابن ابى عتبة عن أبى عتبة وكان مولى من اهل فارس قل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فضربت رجلا من المشركين فقاتل خذها منى وأنا الغلام الفارسى فالتفت الى فقال هلا قاتل خذها منى وأنا الغلام الانصارى حضه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانتساب الى الانصار وان كان بالولاء وكان اظهر هذا أحب اليه من الانتساب الى فارس بالصراحة وهى نسبة حق ليست محرمة ويشبه والله أعلم أن يكون من حكمة ذلك أن النفس تحامى عن الجهة التى تنسب اليها فاذا كان ذلك لله كان خيرا للمرء فقد دلت هذه الاحاديث على أن اضافة الامر الى الجاهلية يقتضى ذمه والنهى عنه وذلك يقتضى المنع من امور الجاهلية مطاقا وهو المطلوب فى هذا الكتاب ومثل هذا ما روى سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ونفرتها بالآباء مؤمن تقى أو فاجر شقى انتم بنو آدم وآدم من تراب ليسد عن رجل نفرتهم باقوام انما هم فح من فح جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بانفها التين رواه أبو داود وغيره وهو صحيح فأضاف العيبة والنخر الى الجاهلية بدمها بذلك وذلك يقتضى ذمها بكونها مضافة الى الجاهلية وذلك يقتضى ذم الامور المضافة الى الجاهلية ومثلا ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى قيس زياد بن رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية فقتل قتل جاهلية ومن خرج على أتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا ينفى لذى عهدها فليس منى ولست منه ذكر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الاقسام الثلاثة التى يعقد لها الفقهاء باب قتل أهل القبلة من البغاة والعمدة وأهل العصبية فالقسم الاول الخارجون عن طاعة السلطان فتهمى عن نفس الخروج عن الطاعة والجماعة وبين أنه ان مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية فان أهل الجاهلية من العرب ونحوهم لم يكونوا يطيعون أميرا عاما على ما هو معروف من سيرتهم ثم ذكر الذى يقاتل تعصبا لقومه أو أهل بلده ونحو ذلك وسمى الراية عميةا لانه

الطعن في الانساب والنياحة ونسبت الثالثة قال سفيان ويقولون انها الاستسقاء بالانواء وروى مسلم في صحيحه عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت فقوله هما بهم اي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار وهما قائمتان بالناس لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الايمان يصير مؤمنا حتى يقوم به اصل الايمان وفرق بين الكفر المعروف باللام كما في قوله ليس بين العبد وبين الكفر او الشرك الا ترك الصلاة وبين كفر منكر في الاثبات وفرق أيضا بين معنى الاسم المطلق اذا قيل كافرا مؤمن وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارد كما في قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فقوله يضرب بعضكم رقاب بعض تفسير للكفار في هذا الموضع وهؤلاء يسمون كفارا تسمية مقيدة ولا يدخلون في الاسم المطلق اذا قيل كافرا مؤمنا كما أن قوله من ماء دافق سمى المني ماء تسمية مقيدة ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ومن هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقل الانصاري بالانصار وقال المهاجري بالمهاجرين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قل ما شأنهم فاخبروه بكسعة المهاجري للانصاري قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أو قد تداعوا علينا (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) فقل عمر ألا تقتل يارسول الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ورواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الانصار فنادى المهاجري بالامهاجرين ونادى الانصاري بالانصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا أدعوى الجاهلية قالوا لا يارسول الله الا ان غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال لا بأس ولينصر الرجل اخاه ظلما أو مظلوما ان كان ظلما فإنه له نصر وان كان مظلوما فلينصره فهاذان الاسمان المهاجرون والانصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبل وفي هذا وانتساب الرجل الى المهاجرين والانصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب الى القبائل والامصار ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب الى ما يفتى الى بدعة أو معصية أخرى ثم مع هذا لمادعا كل منهما طائفته منتصرا بها أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وسماها دعوى الجاهلية حتى قيل له ان الداعي بها انما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة فامر بمنع الظالم واعانة المظلوم ليبين النبي صلى الله عليه وسلم أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطابقاً

حتى توضع في اللحد فتعرض له حبر فقال هكذا صنع يا محمد قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال خالفوهم رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال بشر بن رافع ليس بالقوى في الحديث قلت قد اختلف العلماء في القيام للجنازة اذا مرت ومعها اذا شيعت واحاديث الامر بذلك كثيرة مستفيضة ومن اعتقد نسخها أو نسخ القيام للمارة فعمدته حديث على وحديث عبادة هذا وان كان القول بهما ممكننا لان المشيع يقوم لها حتى توضع عن أعناق الرجال لافي اللحد فهذا الحديث اما أن يقال به جمعاً بينه وبين غيره أو نسخاً لغيره وقد علل بالخالفه ومن لا يقول به يضعفه وذلك لا يقدح في الاستشهاد والاعتضاد به على جنس المخالفة وقد روى البخارى عن عبد الرحمن بن القاسم ان القاسم كان يمثى بين يدي الجنازة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة قالت كان أهل الجاهلية يقومون لها يقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما كنت مرتين فقد استدل من كره القيام بأنه كان فعل الجاهلية وليس الغرض هنا الكلام في عين هذه المسئلة وأيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحد لنا والشق لغيرنا رواه أهل السنن الاربعة وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحد لنا والشق لغيرنا رواه أحمد وابن ماجه وفي رواية لاحد والشق لاهل الكتاب وهو مروى من طرق فيها لين لكن يصدق بعضها بعضها وفيه التنبيه على مخالفتنا لاهل الكتاب حتى في وضع الميت في أسفل القبر وأيضاً عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية متفق عليه دعوى الجاهلية ندب الميت وتكون دعوى الجاهلية في العصبية ومنه قوله فيما رواه احمد عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكتوا وأيضاً عن أبي مالك الاشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع في أمتى من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة اذا لم تب قبل موتها تقام يوم القيامة وعابها سربل من قطران ودرع من جرب رواه مسلم ذم في الحديث من ادعى بدعوى الجاهلية وأخبر ان بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا كله يقتضى أن ما كان من أمر الجاهلية وفعالهم فهو مذموم في دين الاسلام والا لم يكن في اضافة هذه المنكرات الى الجاهلية ذم لها ومعلوم أن اضافتها الى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله سبحانه وتعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) فان ذلك ذم لتبرج وذم لحال الجاهلية الاولى وذلك يقتضى انتع من مشابهمهم في الجملة ومنه قوله لابي ذر رضى الله عنه لا غير رجلاً بأمة انك امرؤ فيك جاهلية فانه ذم لذلك الخلق ولاخلاق الجاهلية التي لم يحجبها الاسلام ومنه قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فان اضافة الحمية الى الجاهلية اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك ومن هذا ما رواه البخارى في صحيحه عن عبد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس قال ثلاث خلال من خلال الجاهلية

عليه وسلم ينهى عنه رواه أحمد وأبو داود والنسائي وإيضاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره فالتفت الينا فرآنا قياماً فأشار الينا فقعدنا فصاينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال ان كدتم آتفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا أئتموا بأئمتكم ان صلى قائماً فصلوا قياماً وان صلى قاعداً فصلوا قعوداً رواه مسلم وأبو داود من حديث الليث عن أبي الزبير عن جابر ورواه أبو داود وغيره من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً بالمدينة فصصره على جذع نخلة فانقطعت قدمه فأتيناه نعوذه فوجدناه في مشربة لعائشة يسبح جالساً قل فقمنّا خافه فسكتت ننأثم أتيناه مرة أخرى نعوذه فصلّى المكتوبة جالساً فقمنّا خلفه فأشار الينا فقعدنا قال فاما قضى الصلاة قل اذا صلى الامام جالساً فصلوا جلوساً واذا صلى الامام قائماً فصلوا قياماً ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعضهم وأظن في غير رواية أبي داود ولا تعظمونى كما يعظم الاعاجم بعضها بعضاً فى هذا الحديث أنه أمرهم بترك القيام الذى هو فرض فى الصلاة وعال ذلك بان قيام المؤمنين مع قعود الامام يشبه فعل فارس والروم بعضهم فى قيامهم وهم قعود ومعلوم أن المأموم إنما نوى أن يقوم لله لا لامامه وهذا تشديد عظيم فى النهى عن القيام للرجل القاعد ونهى أيضاً عما يشبه ذلك وان لم يقصد به ذلك ولهذا نهى عن السجود لله بين يدي الرجل وعن الصلاة الى ما عبد من دون الله كالنار ونحوها وفى هذا الحديث أيضاً نهى عما يشبه فعل فارس والروم وإن كانت نيتنا غير نيتهم لقوله فلا تفعلوا فهل بعد هذا فى النهى عن مشابهتهم فى مجرد الصورة غاية ثم هذا الحديث سواء كان محكماً فى قعود الامام أو منسوخاً فان الحجة منه قائمة لان نسخ القعود لا يدل على فساد تلك العلة وإنما يقتضى أنه قد عارضها ما ترجح عليها مثل كون القيام فرضاً فى الصلاة فلا يسقط الفرض بمجرد المشابهة الصورية وهذا محل اجتهاد وأما المشابهة الصورية اذالم تسقط فرضاً كانت تلك العلة التى عال بها رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمة عن معارض أو نسخ لان القيام فى الصلاة ليس بمشابهة فى الحقيقة فلا يكون محذوراً فالحكم إذا عال بعلّة ثم نسخ مع بقاء العلة فلا بد أن يكون غيرها ترجح عليها وقت النسخ أو ضعف تأثيرها امان تكون فى نفسها باطلة فهذا محال هذا كله لو كان الحكم هنا منسوخاً فكيف والصحيح ان هذا الحديث محكم قد عمل به غير واحد من الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونهم علوا بصلاته فى مرضه وقد استفاض عنه الامر به استفاضة صحيحة صريحة يتمتع معها ان يكون حديث المرض ناسخاً له على ما هو مقرر فى غير هذا الموضع اما بجواز الامر من اذ فعل القيام لاينا فى فعل القعود واما بالفرق بين المتبدي للصلاة قاعداً والصلاة التى ابتدأها الامام قائماً لعدم دخول هذه الصلاة فى قوله واذا صلى قاعداً ولعدم المفيدة التى عال بها ولان بناء فعل آخر الصلاة على أولها أولى من بنائها على صلاة الامام ونحو ذلك من الامور المذكورة فى غير هذا الموضع وايضاً فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتبع جنازة لم يقعد

الشمس فانها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار وذكر الحديث رواه مسلم فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب معللاً بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم ان المؤمن لا يقصد السجود الا لله تعالى وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ثم انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة بكل طريق ويظهر بعض فائدة ذلك بان من الصائبة المشركين ممن يظهر الاسلام ويعظم الكواكب ويزعم أنه يخاطبها بجوائجها ويسجد لها ويخمر ويذبح وقد صنف بعض المنتسبين الى الاسلام في مذهب المشركين من الصائبة والبراهمة كتباً في عبادة الكواكب توسلاً بذلك زعموا الى مقاصد دنيوية من الرئاسة وغيرها وهي من السحر الذي عليه الكنعانيون الذين ملوكمهم النماردة الذين بعث الخليل صلوات الله وسلامه عليه بالحنيفية واخلاص الدين كله لله الى هؤلاء المشركين فاذا كان في هذه الازمنة من يفعل مثل هذا تحققت حكمة الشارع صلوات الله عليه وسلامه في النهي عن الصلاة في هذه الاوقات سدا للذريعة وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفراً أو معصية بالنية ينهى المؤمنون عن ظاهرها وان لم يقصدوا به قصد المشركين سدا للذريعة وحسماً للمادة ومن هذا الباب أنه اذا صلى الى عود أو عمود جعله الى جانبه الايمن أو الايسر ولم يصمد له صمدا ولهذا نهى عن الصلاة الى ما عبد من دون الله في الجملة وان لم يكن العابد يقصد ذلك ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل وان لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود لغير الله فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الاوقات وكما لا يصلى الى القبلة التي يصلون اليها كذلك لا يصلى الى ما يصلون له بل هذا اشد فساداً فان القبلة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الانبياء أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله كما قال سبحانه وتعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى رجلاً يتكئ على يده اليسرى وهو قاعد في الصلاة فقال له لا تجلس هكذا فان هكذا يجلس الذين يعذبون وفي رواية تلك صلوات المغضوب عليهم وفي رواية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجلس الرجل في الصلاة وهو معتمد على يده هذا أبو داود ففي هذا الحديث النهي عن هذه الجلسة معالة بأنها جلسة المعذبين وهذه مبالغة في مجانبة هديهم وأيضاً فروى البخاري عن مسروق عن عائشة انها كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته وتقول ان اليهود تفعله ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة قال نهى عن التخصر في الصلاة وفي لفظ نهى أن يصلى الرجل متخصراً قال وقال هشام وأبو هلال عن ابن سيرين عن أبي هريرة نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا رواه مسلم في صحيحه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن زياد بن صبيح قال صليت الى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي فلما صلى قل هذا الصلب في الصلاة وكان رسول الله صلى الله

إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه خفاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالوا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجتمعن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما نفرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في أثرها فسقاها فعرفنا أنه لم يجد عليهما رواه مسلم فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ثم إن المخالفة كما سنبينه تارة تكون في أصل الحكم وتارة في وصفه ومجانبة الحائض لم يخالفوا في أصله بل خالفوا في وصفه حيث شرع الله مقارنة الحائض في غير محل الأذى فلما أراد بعض الصحابة أن يتعدى في المخالفة إلى ترك ما شرعه الله تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الباب باب الطهارة كان على اليهود فيه أغلال عظيمة فابتدع النصارى ترك ذلك كله حتى أنهم لا يجسسون شيئاً بلا شرع من الله فهدى الله الأمة الوسط بما شرعه لها إلى الوسط من ذلك وإن كان ما كان عليه اليهود كان أيضاً مشروعا فاجتناب ما لم يشرع الله اجتنابه مقارنة لليهود وملابسة ما شرع الله اجتنابه مقارنة للنصارى وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة فانهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان قال فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخنيا جراً عليه قومه فلما طفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت فقال أنا نبي فقلت وما نبي فقال أرسلني الله فقلت بآي شيء أرسلك قال أرسلني بصلاة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء فقلت له فمن معك على هذا قال حر وعبد قل ومعه يومئذ أبو بكر وبلال فقلت اني متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالى وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فاذا سمعت بي قد ظهرت فأتني قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت في أهلي فجعلت استخبر الأخبار وأسأل الناس حتى قدم نفر من أهل يثرب أي من أهل المدينة فقام هذا الرجل الذي قدم المدينة فقالوا الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني قال نعم أنت الذي لتييتي بمكة قال فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة قال صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فانها تطاع حين تطاع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم إن كان الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرح ثم اقصر عن الصلاة فان حينئذ تسجر جهنم فاذا أقبل النوى فصل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب

أن يخلق قفاه أو وجهه فقال أما أنا فلا أحاق قفاه وقد روى فيه حديث مرسل عن قتادة في كراهيته وقال إن خلق القفا من فعل المجوس قال وكان أبو عبد الله يخلق قفاه وقت الحجة وقال أيضاً أحمد لا بأس أن يخلق قفاه قبل الحجة وقد روى عنه ابن منصور قال سألت أحمد عن حاق القفا فقال لا أعلم فيه حديثاً إلا ما يروى عن إبراهيم أنه كره قرد ايرقوس ذكر الخلال هذا وغيره وذكر أيضاً بإسناده عن الهيثم بن حميد قال حاف القفا من شكل المجوس وعن المعتز بن سليمان التيمي قال كان أبي إذا جز شعره لم يخلق قفاه قيل له لم قال كان يكره أن يتشبهه بالعجم والسلف تارة يعلمون الكراهة بالتشبه باهل الكتاب وتارة بالتشبه بالاعاجم وكلا العاتين منصوطة في السنة مع أن الصادق قد أخبر بوقوع المشابهة لهؤلاء وهؤلاء كما قدمنا بيانه وعن شداد بن أوس رضى الله عنه قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفوا اليهود فاتهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم رواه أبو داود وهذا مع أن نزع اليهود نعالهم مأخوذ عن موسى عليه السلام لما قيل له اخلع نعالك وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر رواه مسلم في صحيحه وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع وقد صرح بذلك فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الدين ظاهراً ما يحل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لاجل مخالفة اليهود والنصارى وإذا كان مخالفتهم سبباً لظهور الدين فانما المقصود بارسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة وهكذا روى أبو داود من حديث أبي أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال أمتي بخير أو على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم ورواه ابن ماجه من حديث العباس ورواه الامام أحمد من حديث السائب بن يزيد وقد جاء مفسراً تعالىه لا يزالون بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى طلوع النجم مضاهاة لليهود ويؤخروا النجم إلى محاق النجوم مضاهاة للنصرانية قال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية حدثنا الصلت بن بهرام عن الحارث بن وهب عن عبد الرحمن الصنابحي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي على مسكة ما لم ينتظروا بالمغرب اشتباك النجوم مضاهاة لليهودية ولم ينتظروا بالنجم محاق النجوم مضاهاة للنصرانية ولم يكلوا الجنائز إلى أهلها وقال سعيد بن منصور حدثنا عبيد الله بن إيباد بن لقيط عن أبيه عن ليلى امرأة بشر بن الحصاصية قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فنهاني عنه بشر وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاني عن ذلك وقال إنما يعمل ذلك النصارى صوموا كما أمركم الله وأتموا الصوم كما أمركم الله وأتموا الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فافطروا وقد رواه أحمد في المسند فعلى النهى عن الوصال بأنه صوم النصارى وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبه أن يكون من رهبانيتهم التي ابتدعوها وعن حماد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه أن اليهود كانوا

فيها من خال يمنعها أن تتم منفعتها بها ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام لا يستحق بذلك ثواب الآخرة ولكن كل أموره اما فاسدة واما ناقصة فالحمد لله على نعمة الاسلام التي هي أعظم النعم وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى فقد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة ولهذا كان الامام أحمد ابن حنبل وغيره من الأئمة رضى الله عنهم يعلمون الامر بالصنيع بعلة المخالفة قال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول ما أحب لاحد الا أن يغير الشيب ولا يتشبه باهل الكتاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم غيروا الشيب ولا تشبهوا باهل الكتاب وقال اسحاق بن ابراهيم سمعت أبا عبد الله يقول لا بى يا أبا هاشم اختضب ولو مرة واحدة فاجب لك أن تختضب ولا تشبه باليهود وهذا اللفظ الذى احتج به احمد قد رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود قال الترمذى حديث حسن صحيح وقد رواه النسائي من حديث محمد بن كنانة عن هشام بن عروة عن عثمان بن عروة عن أبيه عن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ورواه أيضاً من حديث عروة عن عبد الله بن عمر لكن قال النسائي كلاهما ليس بمحفوظ وقال الدارقطني المشهور عن عروة مرسل وهذا اللفظ أدل على الامر بمخالفتهم والنهي عن مشابهتهم فانه اذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذى ليس من فعائنا فلان ينهى عن احداث التشبه بهم أولى ولهذا كان هذا التشبه بهم يكون محرماً بخلاف الاول وايضاً ففي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفوا المشركين حنوا الشوارب واعفوا اللحي رواه البخارى ومسلم وهذا لفظه فامر بمخالفة المشركين مطلقاً ثم قال حنوا الشوارب وأوفوا اللحي وهذه الجملة الثانية بدل من الاولى فان الابدال يقع في الجمل كما يقع في المفردات كقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابنائكم ويستحيون نساءكم فهذا الذبح والاستحياء هو سوم العذاب كذلك هنا هذا هو المخالفة للمشركين المأمور بها هنا لكن الامر بها أولاً فلفظ مخالفة المشركين دليل على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وان عينت هنا في هذا الفعل فان تقديم المخالفة علة لتقديم العام على الخاص كما يقال أكرم ضيفك اطعمه وحادثه فامرك بالاكرام أولاً دليل على أن اكرام الضيف مقصود ثم عينت الفعل الذى يكون اكراماً في ذلك الوقت والتقرير من هذا الحديث شبيه بالتقرير من قوله لا يصبغون خالفوهم وقد روى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جزوا الشوارب وارخوا اللحي خالفوا المجوس فقبح الامر بالوصف المشتق المناسب وذلك دليل على أن مخالفة المجوس أمر مقصود للشارع وهو العلة في هذا الحكم أو علة أخرى أو بعض علة وان كان الاظهر عند الاطلاق أنه علة تامة ولهذا لما فهم السائق كراهة التشبه بالمجوس في هذا وغيره كراهوا أشياء غير منصودة بعينها عن النبي صلى الله عليه وسلم من هدى المجوس قال المروزي سألت أبا عبد الله يعنى أحمد بن حنبل عن خلق القفا فقال هو من فعل المجوس ومن تشبه بقوم فهو منهم وقال أيضاً قيل لا بى عبد الله تكبره للرجل

أكرمه طلبان طلب لإكرام المطلق وطلب لهذا الفعل الذى يحصل به المطاق وذلك لان حصول المعين مقتضى لحصول المطلق وهذا معنى صحيح اذا صادف فطنة من الانسان وذكاء انتفع به فى كثير من المواضع وعلم به طريق البيان والدلالة . بقى أن يقال هذا يدل على أن جنس الخيانة أمر مقصود للشارع وهذا صحيح لكن قصد الجنس قد يحصل الاكتفاء فيه بالخيانة فى بعض الامور فما زاد على ذلك لا حاجة اليه قلت اذا ثبت أن الجنس مقصود فى الجملة كان ذلك حاصلًا فى كل فرد من أفرادها ولو فرض أن الوجوب سقط ببعض لم يرفع حكم الاستحباب عن الباقي وايضاً فان ذلك يقتضى النهى عن موافقتهم لان من قصد مخالفتهم بحيث أمر باحداث فعل يقتضى مخالفتهم فيما لم تكن الموافقة فيه من فعلنا ولا قصدنا كيف لاينهانا عن أن نفعل فعلاً فيه موافقتهم سواء قصدنا موافقتهم أو لم نقصدوها . الوجه الخامس أنه رتب الحكم على الوصف بحرف الفاء فيدل على أنه علة له من غير وجه حيث قال ان اليهود والنصارى لا يصبغون خائفونهم فانه يقتضى أن علة الأمر بهذه الخيانة كونهم لا يصبغون فالتقدير اصبغوا لانهم لا يصبغون واذا كان علة الأمر بالفعل عدم فعلهم له دل على أن قصد الخيانة لهم ثابت بالشرع وهو المطلوب يوضح ذلك أنه لو لم يكن لقصد مخالفتهم تأثير فى الأمر بالصبغ لم يكن لذكرهم فائدة ولا حسن تعقيبه به وهذا وان دل على أن مخالفتهم أمر مقصود للشرع فذلك لا ينفي أن تكون فى نفس الفعل الذى خواهوا فيه مصاحبة متصودة مع قطع النظر عن مخالفتهم فان هنا شيئاً أحدهما أن نفس الخيانة لهم فى الهدى الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين لما فى مخالفتهم من الجانية والمباينة التى توجب المباحة عن اعمال أهل الجحيم وانما يظهر بعض المصاحبة فى ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى ما اتصف به المنسوب عليهم والضالون من المرض الذى ضرره أشد من ضرر أمراض الابدان والثانى أن نفس ما هم عليه من الهدى والخلق قد يكون مضرراً أو منقصةً فينهى عنه ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال وليس شئ من أمورهم الا وهو اما مضر أو ناقص لان ما بأيديهم من الاعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها مضرّة وما بأيديهم مما لم ينسخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص فخالفهم فيه بان يشرع ما يحصله على وجه الكمال ولا يتصور أن يكون شئ من أمورهم كاملاً قط فاذا الخيانة لهم فيها منفعة وصالح لنا فى كل أمورهم حتى ما هم عليه من اتقان أمور دنياهم قد يكون مضراً بالآخرة أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا فالخيانة فيه صالح لنا وبالجملة فالكفر بمنزلة مرض القلب أو أشد ومتى كان القلب مريضاً لم يصح شئ من الاعضاء صحة مطلقة وانما الصلاح أن لا يشبه مريض القلب فى شئ من أمورده وان خفى عليك مرض ذلك العضو لكن يكفيك أن فساد الادل لا بد أن يؤثر فى الفرع ومن اتبه لهذا قد يعلم بعض الحكمة التى أنزلها الله فان من فى قلبه مرض قد يترتب فى الأمر بنفس الخيانة لعدم استبانته لفائدته أو يتوهم أن هذا من جنس أمر الملوك والرؤساء القاصدين للعلو فى الارض ولعمري ان النبوة غاية الملك الذى يؤتيه الله من يشاء وينزعه ممن يشاء ولكن ملك هو غاية صلاح من أطاعه من العباد فى معاشهم ومعادهم وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأمورده لا بد

بين مفهوم اللفظ المطلق وبين المفهوم المطلق من اللفظ فان اللفظ يستعمل مطلقاً ومقيداً فاذا أخذت
 المعنى المشترك بين جميع موارد مطلقها ومتييدها كان أعم من المعنى المفهوم منه عند اطلاقه وذلك
 المعنى المطابق يحصل بحصول بعض مسميات اللفظ في أى استعمال حصل من استعماله المطلقة والمقيدة
 وأما معناه في حال اطلاقه فلا يحصل بعض معانيه عند التقييد بل يقتضى أموراً كثيرة لا يقتضيها
 اللفظ المقيّد فكثيراً ما يغايط الغالطون هنا ألا ترى أن الفقهاء يفرقون بين الماء المطابق وبين المائية
 المطابقة الثابتة في المنى والمتغيرات وسائر المائعات فأنت تقول عند التقييد أكرم الضيف باعطاء هذا
 الدرهم فهذا اكرام مقيّد فاذا قلت أكرم الضيف كنت آمراً بمفهوم اللفظ اطلاقاً وذلك يقتضى أموراً
 لا تحصل بحصول اعطاء الدرهم وأما القسم الثانى من العموم فهو عموم الجميع لافراده كما يعم قوله اقتلوا
 المشركين كل مشرك والثالث عموم الجنس لآعيانه كما يعم قوله لا يقتل مسلم بكافر جميع أنواع القتل والمسلم
 والكافر اذا تبين هذا فالمخالفة المطلقة لا تحصل بالمخالفة في شئ ما اذا كانت الموافقة قد حصلت في أكثر
 منه وانما تحصل بالمخالفة في جميع الاشياء أو في غالبها اذ المخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة فلا يجتمعان
 بل الحكم للغالب وهذا تحقيق جيد لكنه مبنى على مقدمة وهو أن المفهوم من لفظ المخالفة عند الاطلاق
 يعم المخالفة في عامة الامور الظاهرة فان خفى هذا في هذا الموضع المعين نخذ في الوجه الثانى وهو العموم
 المعنوى وهوان المخالفة مشتقة فانما أمر بها بمعنى كونها مخالفة كما تقدم تقريره وذلك ثابت في كل فرد من
 أفراد المخالفة فيكون العموم ثابتاً من جهة المعنى الميعقول وبهذين الطريقتين يتكرر العموم في قوله فاعتبروا
 يا أولى الابصار وغير ذلك من الافعال وإن كان أكثر الناس انما يفرعون الى الطريق الثانى وقل منهم
 من ينتظن للطريق الاول وهذا أبغ اذا صح ثم نقول هب أن الاجزاء يحصل بما يسمى مخالفة لكن
 الزيادة على القدر الجزى مشروعة إذا كان الامر مطلقاً كما في قوله اركعوا واسجدوا ونحو ذلك من الاوامر
 المطلقة الوجه الثالث في أصل التقرير أن عدول الامر عن لفظ الفعل الخاص به إلى لفظ أعم منه معنى
 كعدوله عن لفظ أطعمه الى لفظ أكرمه وعن لفظ فاصبغوا الى لفظ خذوا وهم لا بد له من فائدة والا
 فمطابقة اللفظ المعنى اولى من اطلاق اللفظ العام وإرادة الخاص وليست هنا فائدة تظهر الا تعاقب القصد
 بذلك المعنى العام المشتمل على هذا الخاص وهذا بين عند التأمل • الوجه الرابع أن العلم بالعام علماً
 يقتضى العلم بالخاص والقصد للمعنى العام علماً يوجب القصد للمعنى الخاص فانك اذا علمت أن كل
 مسكر خمر وعلمت أن النبيذ مسكر كان علمك بذلك الامر العام وبحصوله في الخاص موجباً لعلمك
 بوصف الخاص كذلك اذا كان قصدك طعاماً مطلقاً أو مالا مطلقاً وعلمت وجود طعام معين
 أو مال معين في مكان حصل قصدك له اذ العلم والتعمد يتطابقان في مثل هذا والكلام بين مراد المتكلم
 ومقصوده فاذا أمر بفعل باسم دال على معنى عام مریدا به فعلاً خاصاً كان ما ذكرناه من الترتيب
 الحكمى يقتضى أنه قاصد بالأول لذلك المعنى العام وأنه انما قصد ذلك الفعل الخاص لحصوله به ففى قوله

به أجناس لا يمكن أن تقع الا معينة وبالتعيين تقتزن بها أمور غير مصادفة للفعل الامر لكن لا يمكن العدايق
 الفعل المأمور به الامع أمور معينة له فانه اذا قال ف تحرير رقة فلا بد اذا أعتق العبد رقة أن يقتزن
 بهذا المطلق تعيين من سواد أو بياض أو طول أو قصر أو عربية أو عجمية أو غير ذلك من الصفات
 لكن المقصود هو المطلق المشترك من هذه المعينات وكذلك اذا قيل اتقوا الله وخالفوا اليهود فان التقوى
 تارة تكون بفعل واجب من صلاة أو صيام وتارة تكون بترك محرم من كفر أو زنا أو نحو ذلك بخصوص
 ذلك الفعل اذا دخل في التقوى لم يمنع دخول غيره فاذا رأى رجل هم على زنا فقبل له اتق الله كان
 أمراً له بعموم التقوى داخلاً فيه بخصوص ترك ذلك الزنا لان سبب اللفظ العام لا بد أن يدخل فيه كذلك
 اذا قيل ان اليهود والنصارى لا يصنعون خالفوهم كان أمراً بعموم المخالفة داخلاً فيه المخالفة بصنع اللحية
 لانه سبب اللفظ العام وسببه أن الفعل فيه عموم وإطلاق لفظي ومعنوي فيجب الوفاء به وخروجه على
 سبب يوجب أن يكون داخلاً فيه لا يمنع أن يكون غيره داخلاً فيه وان قيل ان اللفظ العام يقتصر على
 سببه لان العموم هننا من جهة المعنى فلا يقبل من التخصيص ما يقبله العموم اللفظي • فان قيل الامر
 بالمخالفة أمر بالحقيقة المطلقة وذلك لا عموم فيه بل يكفي فيه المخالفة في أمراً وكذلك سائر ما يذكره فنأين
 اقتضى ذلك المخالفة في غير ذلك الفعل المعين • قات هذا سؤال قد يورده بعض المتكلمين في عامة الافعال
 المأمور بها ويبسبون به على الفقهاء وجوابه من وجهين أحدهما ان التقوى والمخالفة ونحو ذلك من
 الاسماء والافعال المطلقة قد يكون العموم منها من جهة عموم الكل لأجزائه لا من جهة عموم الجنس
 لأنواعه فان العموم ثلاثة أقسام عموم الكل لأجزائه وهو ما لا يصدق فيه الاسم العام ولا افراده على
 جزئه والثاني عموم الجمع لافراده وهو ما يصدق فيه افراد الاسم العام على آحاده والثالث عموم الجنس
 لأنواعه وأعيانه وهو ما يصدق فيه نفس الاسم العام على افراده فالاول عموم الكل لأجزائه في الاعيان
 والافعال والصفات كما في قوله فاغسلوا وجوهكم فان اسم الوجه يعم الخد والجبين والجبهة ونحو
 ذلك وكل واحد من هذه الاجزاء ليس هو الوجه فاذا غسل بعض هذه الاجزاء لم يكن غسلاً للوجه
 لانتفاء المسمى بانتفاء جزئه وكذلك في الصفات والافعال اذا قيل صل فصلى ركعة وخرج بغير سلام
 أو قيل صم فصام بعض يوم لم يكن ممثلاً لانتفاء معنى الصلاة المطلقة والصوم المطلق وكذلك اذا قيل
 أكرم هذا الرجل فاطعمه وضربه لم يكن ممثلاً لان الاكرام المطلق يقتضى فعل ما يسره وترك ما يسوءه
 فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه فلو أطعمه بعض كذايته
 وتركه جائعاً لم يكن مكرماً له لانتفاء أجزاء الاكرام ولا يقال الاكرام حقيقة مطلقة وذلك يحصل باطعام
 لقمة كذلك اذا قال خالفوهم فالمخالفة المطلقة تنافي الموافقة في بعض الاشياء أو في أكثرها على طريق
 التساوى لان المخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة فيكون الامر باحدهما نهياً عن الآخر ولا يقال اذا
 خالف في شيء ما فقد حصلت المخالفة كما لا يقال اذا وافقه في شيء ما فقد حصلت الموافقة وسر ذلك الفرق

صلى الله عليه وسلم حقيقة وقال (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) ونظائر هذا في غير موضع من القرآن يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً الذين هم حزبه وجنده ويحذر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين ولا يوادونهم والموالاة والمواودة وان كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر ان لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً الى نوع تامين الموالاة والمواودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة مع أنها تدعو الى نوع مما من المواصلة كما توجه الطبيعة وتدل عليه العادة ولهذا كان السلف رضى الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات فروى الامام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى رضى الله عنه قال قلت لعمر رضى الله عنه انى الى كاتباً نصرانياً قال مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) ألا اتخذت حنيفاً قال قلت يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه قال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذا ذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله ولما دل عليه معنى الكتاب وجاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين التى أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم وترك التشبه بهم فى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون نخالفوهم أمراً بمخالفتهم وذلك يقتضى أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع لانه ان كان الامر بجنس المخالفة حصل المقصود وان كان الامر بالمخالفة فى تغيير الشعر فقط فهو لاجل ما فيه من المخالفة فالمخالفة إما علة مفردة أو علة أخرى أو بعض علة وعلى التقديرات يكون مأموراً بها مطلوبة من الشارع لان الفعل المأمور به اذا عبر عنه بالفظ مشتق من معنى اعم من ذلك الفعل فلا بد أن يكون ما منه الاشتقاق أمراً مطلوباً لاسيما ان ظهر لنا أن المعنى المشتق منه معنى مناسب للحكمة كما لو قيل للضيف أكرمه بمعنى أطعمه وللشيخ الكبير وقره بمعنى اخفض صوتك له أو نحوه وذلك لوجوه أحدها ان الامر اذا تعاقى باسم مفعول مشتق من معنى كان المعنى علة للحكم كما فى قوله عز وجل أقتلوا المشركين أصلحوا بين أخويكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني وهذا كثير معلوم فاذا كان نفس الفعل المأمور به مشتقاً من معنى أعم منه كان نفس الطلب والاقتضاء قدعاق بذلك المعنى الاعم فيكون مطلوباً بطريق الاولى الوجه الثانى أن جميع الافعال مشتقة سواء كانت مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقاً منها أو كان كل واحد منهما مشتقاً من الآخر بمعنى ان بينهما مناسبة فى اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعانى المتضايقة كالابوة والبنوة أو كالاخوة من الجانيين ونحو ذلك فعلى كل حال اذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمراً مطلوباً لامر مقصود له كما فى قوله تعالى اتقوا الله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين آمنوا بالله ورسوله أعبدوا الله وركبوا عليه فتوكلوا فان نفس التقوى والاحسان والايمان والعبادة أمور مطلوبة مقصودة بل هى نفس المأمور به ثم المأمور

الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركوا على الركب فقالوا أى رسول كلغنا ما نطيق من الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم أنزل الله تعالى في أثرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحمنا مالا طاقة لنا به) قال نعم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال نعم فحذرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه به أهل الكتابين وأمرهم بالسمع والطاعة فشكر الله لهم ذلك حتى رفع الله عنهم الآصار التي كانت على من كان قبلهم وقال في صفته (يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) فآخبر الله سبحانه أن رسوله عليه الصلاة والسلام يضع الآصار والاغلال التي كانت على أهل الكتاب ولما دعا المؤمنون بذلك أخبر الرسول أنه قد استجاب دعاءهم وهذا وان كان رفعا للإيجاب والتحريم فان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته قد صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يكره مشابهة أهل الكتابين في هذه الآصار والاغلال وزجر أصحابه عن التبتل وقال لارهبانية في الاسلام وأمر بالسحور ونهى عن المواصلة وقال فيما يعيب به أهل الكتابين ويحذرنا عن موافقتهم قتلك بقاياهم في الصوامع وهذا باب واسع جدا وقال سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم) وقال سبحانه (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم) يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود الى قوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الایمان وایدھم بروح منه * الى قوله أولئك حزب الله) وقال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض * الى قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض * الى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) فعقد سبحانه الموالات بين المهاجرين والانصار وبين من آمن بعدهم وهاجروا وجاهدوا الى يوم القيامة والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه والجهاد باق الى يوم القيامة فكل شخص يمكن أن يقوم به هذان الوصفان اذ كان كثير من النفوس اللينة يميل الى هجر السيئات دون الجهاد والنفوس القوية قد تميل الى الجهاد دون هجر السيئات وإنما عقد الموالات لمن جمع الوصفين وهم امة محمد

ذلك مانعاً من ابلاغ الرسالة وبيان العلم بل ذلك لا يسقط وجوب الابلاغ ولا وجوب الامر والنهي في
احدى الروايتين عن أحمد وقول كثير من أهل العلم على أن هذا ليس موضع استقصاء ذلك والله الحمد
على ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرة على الحق حتى يأتى أمر الله وليس
هذا الكلام من خصائص هذه المسئلة بل هو وارد في كل منكر قد أخبر الصادق بوقوعه وبما يدل
من القرآن على النهى عن مشابهة الكفار قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرونا واسمعوا ولا تكافرين ألهم) قال قتادة وغيره كانت اليهود تقوله استهزاء فكره الله للمؤمنين
أن يقولوا مثل قولهم وقال أيضاً كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك يستهزؤن
بذلك وكانت في اليهود قبيحة وروى أحمد عن عطية قال كان يأتى ناس من اليهود فيقولون راعنا
سمعك حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله لهم ما قالت اليهود وقال عطاء كانت لغة في الانصار في الجاهلية
وقال أبو العالية ان مشركي العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه راعنى سمعك
فهوا عن ذلك وكذلك قال الضحاك فهذا كله بين أن هذه الكلمة نهى المسلمون عن قولها لان اليهود
كانوا يقولونها وان كانت من اليهود قبيحة ومن المسلمين لم تكن قبيحة لما كانت في مشابهتهم فيها من
مشابهة الكفار وتطريقهم الى بلوغ غرضهم قال سبحانه (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم
في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم وكانوا شيعا كما
قال سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وقال (وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) وقال (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا
حظاً مما ذكروا به فاعرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وقال عن اليهود (وليزيدن كثيراً منهم
ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وقد قل لبيه
عليه السلام (لست منهم في شيء) وذلك يقتضى تبرؤ منهم في جميع الاشياء ومن تابع غيره في بعض
أموره فهو منه في ذلك الامر لان قول القائل أنا من هذا وهذا منى أى أنا من نوعه وهو من نوعى
لان الشخصين لا يتحدان الا بالنوع كما في قوله تعالى (بعضكم من بعض) وقوله عليه الصلاة والسلام لعلى
أنت منى وأنا منك فقول القائل لست من هذا في شيء أى لست مشارك له في شيء بل أنا متبرئ من جميع
أموره وإذا كان الله قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع أمورهم فمن كان متبعاً لرسول صلى
الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئاً كمتبرئه ومن كان موافقاً لهم كان مخالفاً للرسول بقدر موافقته لهم فان
الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما كلما شابهت احدهما خالفت الاخرى وقال سبحانه وتعالى (لله
ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) إلى آخر السورة وقد
روى مسلم في صحيحه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)

وكذبوا بالقدر حين اعتقدوا جميعاً أن اجتماعهما محال وكل منهما مبطل بالكذب بما صدق به الآخر وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء قبل احكامه وجمع حواشيه وأطرافه ولهذا قال ماعز قم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه (والغرض) بذكر هذه الاحاديث التنبيه من الحديث على مثل ما في القرآن من قوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) ومن ذلك ما روى الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينبطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) لتركن سنن من كان قبلكم رواه مالك والنسائي والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ولفظه لتركن سنة من كان قبلكم وقد قدمت ماخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضب لدختموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن ومارواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن أمتي ما أخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع قالوا فارس والروم قال فن الناس الا أولئك وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن فعله كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الاشرار والامور المحرمات فعلم ان مشابهاً لليهود والنصارى وفارس والروم مما ذمه الله ورسوله وهو المطلوب ولا يقال فاذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك فافائدة النهي عنه لان الكتاب والسنة ايضاً قد دلا على أنه لا يزال في هذه الامة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وأنها لا تجتمع على ضلالة ففي النهي عن ذلك تكثير هذه الطائفة المنصورة وتثبيتها وزيادة ايمانها فنسأل الله الحبيب أن يجعلنا منها وايضاً لو فرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المذمومة لكان في العلم بها معرفة القبيح والايمان بذلك فان نفس العلم والايمان بما كرهه الله خير وان لم يعمل به بل فائدة العلم والايمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم فان الانسان اذا عرف المعروف وأنكر المنكر كان خيراً من أن يكون ميت القلب لا يعرف معروفه ولا ينكر منكره ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبأسانه فان لم يستطع فبقابه وذلك أضعف الايمان رواه مسلم وفي لفظ ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وانكار القلب هو الايمان بان هذا منكراً وكراهته لذلك فاذا حصل هذا كان في القلب ايمان واذا فقد من القلب معرفة هذا المعروف واتكار هذا المنكر ارتفع هذا الايمان من القلب وايضاً فقد يستغفر الرجل من الذنب مع اصراره عليه أو يأتي بحسنات تمحوه أو تمحو بعضه وقد تقل منه وقد تضعف همته في طلبه اذا علم أنه منكراً ثم لو فرض أننا علمنا أن الناس لا يتركون المنكر ولا يعترفون بأنه منكراً لم يكن

حدثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفرا كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فكانما فقيء في وجهه حب الزمان فقال ابهدا أمرتم أو بهدنا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا أنكم لستم مما هاهنا في شيء انظروا الذي أمرتكم به فاعملوا به والذي نهيتكم عنه فاتتهوا عنه وقال حدثنا يونس حدثنا حماد بن مسامة عن حميد ومطرا الوراق وداود بن أبي هند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر فذكر الحديث وقال أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه فكبرها أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فثاروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً وإنما نزل يصدق بعضه بعضاً فعرقم منه فاعملوا به وما جهاتم منه فردوه إلى علمه وقال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال فكانما يفتق في وجهه حب الزمان من الغضب قال فقال لهم مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم قال فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أي لم أشهده هذا حديث محفوظ عن عمرو بن شعيب رواه عنه الناس ورواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي معاوية كما سقناه وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل هذا الحديث وجعل يقول لهم في مناظرته لهم يوم الدار أنا قد نهينا أن تضرب كتاب الله بعضه ببعض وهذا لعلمه رحمه الله بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم وقد روى هذا المعنى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال حديث حسن غريب قال وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس وهذا باب واسع لم نقصد له هنا وإنما الغرض التنبيه على ما يخاف على الأمة من موافقة الأمم قبلاً إذ الأمر في هذا الحديث كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل هلاك بني آدم إنما كان التنازع في القدر وعنه نشأ مذهب المجوس القائلين بالاصاين النور والظلمة ومذهب الصابئة وغيرهم القائلين بقدوم العالم ومذاهب كثير من مجوس هذه الأمة وغيرهم ومذاهب كثير ممن عطل الشرائع فإن القوم تنازعوا في علة فعل الله سبحانه وتعالى لما فعله فأرادوا أن يثبتوا شيئاً يستقيم لهم به تعليل فعله بمقتضى قياسه على المخلوقات فوقعوا في غاية الضلال أما بأن فعله مازال لازماً له وأما بأن الفاعل إنسان وأما بأنه يفعل البعض والخلق يفعلون البعض وأما بأن ما فعله لم يأمر بخلافه وما أمر به لم يقدر بخلافه وذلك حين عارضوا بين فعله وأمره حتى أقر فريق بالقدر وكذبوا بالامر وأقر فريق بالامر

سميناه اختلاف التنوع كل واحد من المختلفين معيب فيه بلا تردد لكن الذم واقع على من بنى على الآخر فيه وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك اذ لم يحصل بنى كما في قوله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبذن الله) وقد كانوا اختلفوا في قطع الاشجار فقطع قوم وترك آخرون وكما في قوله (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرت اذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) فخص سليمان بالذم وأثنى عليهما بالعلم والحكم وكما في اقرار النبي صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها الى ان وصل الى بني قريظة وكما في قوله اذا اجتهد الحاكم فاصاب فيه أجران واذا اجتهد ولم يصب فيه أجر ونظائره كثيرة واذا جعلت هذا قسماً آخر صار الاختلاف ثلاثة أقسام (واما) القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله فهو ما حمد فيه احدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم فيه الأخرى كما في قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا) فقوله لكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر حمد لاحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم للآخرى وكذلك قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار الى قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مع ما ثبت في الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه انها نزلت في المقتتلين يوم بدر على وحزة وعبيدة والذين بارزوهم وهم عتبة وشيبة والوليدواكثر الاختلاف الذي يؤول الى الاهواء بين الامة من القسم الاول وكذلك آل الى سفك الدماء واستباحة الاموال والعداوة والبغضاء لان احدى الطائفتين لا تعترف للآخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على مامع انفسها من الحق زيادات من الباطل والآخرى كذلك وكذلك جعل الله مصدره البغى في قوله (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) لان البغى مجاوزة الحد وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الامة وقريب من هذا الباب ما أخرجه في الصحيحين عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم فامرهم بالامساك عما لم يؤمروا به معالاً بان سبب هلاك الاولين انما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية كما أخبرنا الله عن بني اسرائيل من مخالفتهم أمر موسى في الجهاد وغيره وفي كثرة سؤالهم عن صفات البقرة لكن هذا الاختلاف على الانبياء وهو والله أعلم مخالفة للانبياء كما يقال اختلف الناس على الامير اذا خالفوه والاختلاف الاول مخالفة بعضهم بعضاً وان كان الامر انما تلازمين او ان الاختلاف عليه هو الاختلاف فيما بينهم فان اللفظ يحتمله ثم الاختلاف كله قد يكون في التنزيل والحروف كما في حديث ابن مسعود وقد يكون في التأويل كما يحتمله حديث عبد الله بن عمرو فان حديث عمرو بن شعيب يدل على ذلك ان كانت هذه القصة قال احمد في المسند حدثنا اسمعيل

لما في النفوس من البنى والحسد. واردة العلو في الارض ونحو ذلك فيجب لذلك ذم قول غيرها أو فعله أو غلبته ليميز عليه أو يجب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك لما في قيام قوله من حصول الشرف لها والرئاسة وما أكثر هذا في بني آدم وهذا ظلم وتكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل وإن كان علماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه (وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً) أما أنواعه فهي في الأصل قسمان اختلاف تنوع واختلاف تضاد واختلاف التنوع على وجوه منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعيّاً كما في القرآآت التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كلا كما يحسن ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والاقامة والاستفتاح والتشهدات وصلوات الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنائز إلى غير ذلك مما شرع جميعه وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل ثم تجدد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الاقامة وإبصارها ونحو ذلك وهذا عين المحرم ومن لم يبلغ هذا المبلغ فتجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والأعراض عن الآخر أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات وتقسيم الأحكام وغير ذلك ثم الجهل أو الظلم يحمل على حد أحدي المقاتلين وذم الأخرى ومنه ما يكون المعنيان غيرين لكن لا يتنافيان فهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر وهذا كثير في المنازعات جداً ومنه ما يكون طريقان مشروعان ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق وآخرون سلكوا الأخرى وكلاهما حسن في الدين ثم الجبيل أو الظلم يحمل على ذم أحدهما أو تفضيله بلا قصد صالح أو بلا علم أو بلا نية (وإما) اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في النزوع عند الجمهور والذين يقولون المصيب واحد والافن قال كل مجتهد مصيب فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد فهذا الخطب فيه أشد لأن القولين يتنافيان لكن تجدد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق تماماً أو معه دليل يقتضي حقاً ما يفرد الحق في الأصل هذا كله حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض كما كان الأول مبطلاً في الأصل كما رأيت لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة وغيرهم وأما أهل البدعة فالامر فيهم ظاهر وكما رأيت لكثير من الفقهاء أو لاكثر المتأخرين في مسائل الفقه وكذلك رأيت كثيراً بين بعض المتفقهة وبعض المتصوفة وبين فرق المتصوفة ونظائره كثيرة ومن جعل الله له هداية ونوراً رأى من هذا ما يتبين له به منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا واشباهه وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداء لكن نور على نور وهذا القسم الذي

منه ان شاء الله كما روى الزبال بن سيرة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلفها فأخذت بيده فانطلقت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال كلا كما محسن ولا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا رواه مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لان كلا القارئ كان محسناً فيما قرأه وعلل ذلك بان من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا ولهذا قال حذيفة لعثمان أدرك هذه الامة لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الامة قبلهم لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول صلى الله عليه وسلم فافاد ذلك شيئين احدهما تحريم الاختلاف في مثل هذا والثاني الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم (واعلم) ان اكثر الاختلاف بين الامة الذي يورث الاهواء تجده من هذا الضرب وهو ان يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبت أو في بعضه مخطئاً في نفي ما عليه الآخر كما أن القارئ كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه مخطئاً في نفي حرف غيره فان أكثر الجهل انما يقع في النفي الذي هو الجحود والكذب لا في الأثبت لان احاطة الانسان بما يثبت ايسر من احاطته بما ينفيه ولهذا نهيت الامة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض لان مضمون الضرب الايمان باحدى الآيتين والكفر بالآخرى اذا اعتقد ان بينهما تضاداً اذا الضدان لا يجتمعان ومثل ذلك ما رواه مسلم أيضاً عن عبد الله بن رباح الانصاري أن عبد الله بن عمرو قال هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم من الامة باختلافهم في الكتاب فعلم غضبه بان الاختلاف في الكتاب سبب هلاك من قبلنا وذلك يوجب مجانة طريقهم في هذا عينا وفي غيره نوعاً . والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان احدهما يذم الطائفتين جميعاً كما في قوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) فجعل اهل الرحمة مستثنى من الاختلاف وكذلك قوله (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) وكذلك قوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله (فاغمرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينهمهم الله بما كانوا يصنعون) واختلاف اليهود بقوله (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) وقال (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف ان الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي الرواية الاخرى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فيمن ان عامة المختلفين هالكون من الجانبين الا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية

وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
وعن معاوية بن أبي سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتابين افترقوا في دينهم على
ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الا هواء كلها في النار إلا واحدة وهي
الجماعة وقال انه سيخرج من أمي أقوام تجارى بهم تلك الهواء كما تجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق
ولا مفصل الا دخله والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى
أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الازهر بن عبد الله الحرأزي وعن أبي عامر
عبد الله بن يحيى عن معاوية ورواه عنه غير واحد منهم أبو اليان وبقيّة وأبو المغيرة رواه أحمد وأبو داود
في سننه وقدرى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك
الاشجعي وروى من وجود أخرى فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة
واثنان وسبعون لاربابهم الذين خاضوا نخوض الذين من قباهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله
عليه وسلم اما في الدين فقط واما في الدين والدنيا ثم قد يؤل الى الدنيا وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط
وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الاحاديث هو مما نهى عنه في قوله سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا) الآية وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقوله (وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن ابيه انه
أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية
دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين
ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمي بالسنة فاعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمي بالفرق فاعطانيها
وسألت ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وروى أيضاً في صحيحه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمي سيبلغ ملكها ما زوى منها وأعطيت
الكثرين الاحمر والأبيض واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من
سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا
اهلكهم بسنة عامة وان لا أسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من
باقطارها او قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً ورواه البرقاني في
صحيحه وزادوا انما أخاف على أمي الائمة المضايين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة ولا تقوم
الساعة حتى يلحق حي من أمي بالمشركين وحتى يعبد فئام من أمي الاوثان وانه سيكون في أمي
كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وانه خاتم النبيين لا نبي بعدى ولا تزال طائفة من أمي على الحق
منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله
عليه وسلم من غير وجه يشير الى ان الفرقه والاختلاف لا بد من وقوعهما في الامة وكان يحذر منه لينجو

أو مثايح الارض واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وفي رواية ولكنني أخشى عليكم أن تنافسوا فيها وتقتلوا فمهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبه فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أتم قال عبد الرحمن بن عوف نكون كما أمرنا الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنافسون ثم تحاسدون ثم تدابرون أو تباغضون أو غير ذلك ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين فتحملوا بعضهم على رقاب بعض وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وجلسنا حوله فقال ان مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح من زمرة الدنيا وزينتها فقال رجل أو يأتي الخير بالشر يارسول الله قال فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل ما شأنك تكلم يارسول الله ولا يكلمك قال ورأينا أنه ينزل عليه فافاق يسمح عنه الرضاء وقال أين هذا السائل وكأنه حمده فقال انه لا يأتي الخير بالشر وفي رواية فقال أين السائل آنفاً أو خير هو ثلاثا ان الخير لا يأتي إلا بالخير وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم إلا آكلة الخضر فانها أكلت حتى اذا امتدت خاصرناها استقبلت عين الشمس فقلطت وبالت ثم رتعت وان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هولمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شاهدا يوم القيامة وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله سبحانه مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء فحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة النساء معللاً بأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء وهذا نظير ما سنده من حديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما هلك بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم يعني وصل الشعر وكثير من مشابهات أهل الكتاب في أعيادهم وغيرها إنما يدعو اليها النساء (وأما الخوض) كالذي خاضوا فروينا من حديث الثوري وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الا فريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتي على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى اذا كان منهم من أتى أمه علانية كان من أمتي من يصنع ذلك وان بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يارسول الله قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي رواه أبو عيسى الترمذي وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا الافتراق مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وسعد ومعاوية وعمرو بن عوف وغيرهم وانما ذكرت حديث ابن عمرو لما فيه من المشابهة فعن محمد بن عمرو عن أبي سامة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك

والخوض مخاطباً بقوله فاستمتعتم وخضتم وهذا أحسن القولين وقد تواعد سبحانه هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله أولئك حببت أعمارهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون وهذا هو المقصود هنا من هذه الآية وهو أن الله قد أخبر أن في هذه الأمة من استمتع بخلافه كما استمتع الأمم قباهم وخاض كالذي خاضوا وذمهم على ذلك وتوعدهم على ذلك ثم حضهم على الاعتبار بمن قباهم فقال ألم يأتهم نبي الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الآية وقد قدمنا أن طاعة الله ورسوله في وصف المؤمنين بآراء ما وصف به هؤلاء من مشابهة القرون المتقدمة وذم من يفعل ذلك وأمره بجهاد الكفار والمنافقين بعد هذه الآية دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخائضين ثم هذا الذي دل عليه الكتاب من مشابهة بعض هذه الأمة للقرون الماضية في الدنيا وفي الدين وذم من يفعل ذلك دلت عليه أيضاً سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأول هذه الآية على ذلك أصحابه رضي الله عنهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر وباعاً بباع حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدختموه قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة الآية قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب قال فهل الناس الأهم وعن ابن عباس في هذه الآية أنه قال ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم وعن ابن مسعود أنه قال أتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمنا وهدايا تتبعون عملهم جذو الفضة بالقضة غير أني لأدري أتعبدون العجل أم لا وعن حذيفة بن اليمان قال المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وكيف قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه وأما السنة فجاءت بالأخبار بمشابهتهم في الدنيا وذم ذلك والنهي عن ذلك وكذلك في الدين فاما الأول الذي هو الاستمتاع بالخلاق ففي الصحيحين عن عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بحزبتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عابهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ من البحرين فقالوا أجل يا رسول الله فقال أبشروا وأملوا ما يبركم فوالله ما النقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يخاف فتنة الفقر وإنما يخاف بسط الدنيا وتنافسها وإهلاكها وهذا هو الاستمتاع بالخلاق المذكور في الآية وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحد دللته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لا أنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض

القوة والاموال والاولاد هو الخلاق فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم وأولادهم في الدنيا ونفس الاعمال التي عملوها بهذه القوة والاموال هي دينهم وتلك الاعمال لو أرادوا بها الله والدار الآخرة لكان لهم ثواب في الآخرة عليها فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة بها فدخل في هذا من لم يعمل الا لدنياه سواء كان جنس العمل من العبادات أو غيرها ثم قال سبحانه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا) وفي الذي وجهان أحسنهما • أنه اضنة المصدر أى كالخوض الذي خاضوه فيكون العائد محدوقا كما في قوله مما عملت أيدينا وهو كثير فاش في اللغة • والثاني أنه صفة الناعل أى كالنريق أو الصنف أو الجيل الذي خاضوه كما لو قيل كالذين خاضوا وجع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض لأن فساد الدين اما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق والاول هو البدع ونحوها والثاني فسق الاعمال ونحوها والاول من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون احذروا من الناس صنفين صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه وكانوا يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم ووصف بعضهم أحمد بن حنبل فقال رحمه الله عن الدنيا ما كان أصبره وبالمضاي ما كان أشبهه أتته البدع فنفاها والدنيا فاباها وقد وصف الله أئمة المتقين فقال (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فبالصبر ترك الشهوات واليقين تدفع الشهوات ومنه قوله (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقوله (أولى الأيدى والابصار) ومنه الحديث المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصير الناقد عند ورود الشهوات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات فتقوله سبحانه فاستمتعتم بخلاقكم اشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العضاة وقوله وخضتم كالذي خاضوا اشارة إلى الشهوات وهو داء الابتدعة وأهل الاهواء والخصومات وكثيرا ما يجتمعان فتل من تجد في اعتقاده فسادا الا وهو مظهر في عمله وقد دلت الآية على أن الذين من قبل استمتعوا وخاضوا وهؤلاء فعلوا مثل أولئك ثم قوله فاستمتعتم وخضتم خبر عن وقوع ذلك في الماضي وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة كسائر ما أخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه ذم لمن حاله حالهم إلى يوم القيامة وقد يكون خبراً عن أمر دائم مستمر لانه وان كان بضمير الخطاب فهو كالضمير في نحو قوله اعبدوا واغسلوا واركعوا واسجدوا وآمنوا وكما أن جميع الموجودين في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة مخاطبون بهذا الكلام لانه كلام الله وانما الرسول مبعث عنه وهذا مذهب عامة المسلمين وإن كان بعض من تكلم في أصول النسخة اعتقد ان الضمير انما يتناول الموجودين حين تبليغ الرسول وان سائر الموجودين دخلوا اما بما علمناه بالاضطرار من استواء الحكم كما لو خاطب النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من الأمة واما بالسنة وإما بالاجماع وإما بالقياس فيكون كل من حصل منه هذا الاستمتاع

أو كعذاب الذين من قبلكم ثم حذف اثنان من هذه المعمولات لدلالة الآخر عليه وهم يستحسنون حذف الاولين وعلى القول الثاني يمكن أن يقال الكاف المذكورة بعينها هي المتعلقة بقوله وعبد وقوله لعن وقوله ولهم عذاب مقيم لان الكاف لا يظهر فيها اعراب وهذا على القول بان عمل الثلاثة نصب ظاهر واذا قيل ان الثالث يعمل الرفع فوجهه ان العمل واحد في اللفظ اذ التعلق تعلق بمنوى لا لفظي واذا عرفت أن من الناس من يجعل التشبيه في العمل ومنهم من يجعل التشبيه في العذاب فالقولان متلازمان اذ المشابهة في الموجب تقتضي المشابهة في الموجب وبالعكس فلا خلاف معنى بين القولين وكذلك ما ذكرناه من اختلاف النحويين في وجود الحذف وعدمه إنما هو اختلاف في تعليلات وماخذ لا يقتضى اختلافاً في إعراب ولا في معنى فاذا الاحسن أن تعلق الكاف بمجموع ما تقدم من العمل والجزاء فيكون التشبيه فيهما لفظياً وعلى القولين الاولين يكون قد دل على أحدهما لفظاً وعلى الآخر لزوماً وان سلكت طريقة الكوفيين على هذا كان أبلغ وأحسن فان لفظ الآية يكون قد دل على المشابهة في الامرين من غير حذف والا فيضمر حالكم حال الذين من قبلكم ونحو ذلك وهو قول من قدره أتم كالذين من قبلكم ولا يسع هذا المكان بسطاً أكثر من هذا فان الغرض متعلق بغيره وهذه المشابهة في هؤلاء بازاء ما وصف الله به المؤمنين من قوله ويطيعون الله ورسوله فان طاعة الله ورسوله تنافي مشابهة الذين من قبلكم قال سبحانه (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقتهم فاستمتعتم بخلاقتكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقتهم وخضتم كالذي خاضوا) فالخطاب في قوله كانوا أشد منكم قوة وقوله فاستمتعتم ان كان للمنافقين كان من باب خطاب التلويح والالتفات وهذا انتقال من الغيبة الى الحضور كما في قوله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ثم حصل الانتقال من الخطاب الى الغيبة في قوله أولئك حببط أعمالهم وكما في قوله حتى اذا كنتم في الملك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها وقوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فان الضمير في قوله أولئك حببط أعمالهم الاظهر أنه عائد الى المستمعين الخائضين من هذه الامة كقوله فيما بعد ألم يأتهم نبال الذين من قبلهم وان كان الخطاب لمجموع الامة المبعوث اليها فلا يكون الالتفات الا في الموضع الثاني وأما قوله فاستمتعوا بخلاقتهم ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قوله فاستمتعوا بخلاقتهم قال يدينهم ويروى ذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه وروى عن ابن عباس بنصيبهم من الآخرة في الدنيا وقال آخرون بنصيبهم من الدنيا قال أهل اللغة الاخلاق هو النصيب والحظ كانه ما خلق للإنسان أى ما قدر له كما يقال القسم لما قسم له والنصيب لما نصب له أى أثبت ومنه قوله تعالى ماله في الآخرة من خلاق أى من نصيب وقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما يلبس الحرير من لاخلاق له في الآخرة والآية تم ما ذكره العلماء جميعهم فانه سبحانه قال كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فذلك القوة التي كانت فيهم كانوا يستطيعون أن يعملوا بها للدنيا والآخرة وكذلك أموالهم وأولادهم وتلك

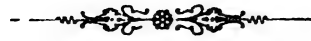
كما في قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وفي قوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وهي حقيقة عرفية ظاهرة من اللفظ أو مجاز مشهور وبإزاء قبض أيديهم قوله في المؤمنين يؤتون الزكاة فإن الزكاة وإن كانت قد صارت حقيقة عرفية في الزكاة المفروضة فإنها اسم لكل نفع لاخلق من نفع بدني أو مالي فالوجهان هنا كالوجهين في قبض اليد ثم قال نسوا الله فنسيهم ونسيان الله ترك ذكره وبإزاء ذلك في صفة المؤمنين يقيمون الصلاة فإن الصلاة أيضاً تم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها كل ذكر الله أما لفظاً وأما معنى قال ابن مسعود رضي الله عنه مادمت تذكر الله فانت في صلاة وإن كنت في السوق وقال معاذ بن جبل مدارسة العلم تسبيح ثم ذكر ما وعد الله به المنافقين والكفار من النار في الآخرة ومن اللعنة ومن العذاب المقيم وبإزائه ما وعد الله المؤمنين من الجنة والرضوان ومن الرحمة ثم في ترتيب الكلمات وألفاظها أسرار كثيرة ليس هذا موضعها وإنما الغرض تمهيد قاعدة لما سذكركه إن شاء الله وقد قيل إن قوله ولهم عذاب مقيم إشارة الى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية غما وحزنا وقسوة وظلمة قلب وجهلا فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما لله به عليم ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يطيئون عيشهم إلا بما يزيل العقل ويلهى القلب من تناول مسكر أو رؤية ماله أو سماع مطرب ونحو ذلك وبإزاء ذلك قوله في المؤمنين أولئك سيرحمهم الله فإن الله يعجل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم وغيرها بما يجدونه من حلالة الإيمان ويذوقونه من طعمه وانتسراح صدورهم للإسلام الى غير ذلك من السرور بالإيمان والعلم والعمل الصالح بما لا يمكن وصفه قال سبحانه في تمام خبر المنافقين (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً) وهذه الكافي قد قيل إنها رفع خبر مبتدا محذوف تقديره أتم كالذين من قبلكم وقيل نصب بفعل محذوف تقديره فعلتم كالذين من قبلكم كما قال النمر بن تولب كالיום مطلوبوا ولا طالباً أى لم أر كالיום والتشبيه على هذين القولين في أعمال الذين من قبل وقيل إن التشبيه في العذاب ثم قيل العامل محذوف أى لعنهم وعذبهم كما لعن الذين من قبلكم وقيل وهو أجود بل العامل ما تقدم أى وعد الله المنافقين كوعد الذين من قبلكم ولعنهم كما لعن الذين من قبلكم ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم فحلها نصب ويجوز أن يكون رفعا أى عذاب كعذاب الذين من قبلكم وحقيقة الامر على هذا القول أن الكافي تناولها عاملان ناصبان أو ناصب ورافع من جنس قولهم أكرمت وأكرمني زيد والنحويون لهم فيما إذا لم يختلف العامل كقولك أكرمت وأعطيت زيدا قولان أحدهما وهو قول سيبويه وأصحابه إن العامل في الاسم هو أحدهما وإن الآخر حذف معوله لأنه لا يرى اجتماع عاملين على معمول واحد والثاني قول الفراء وغيره من الكوفيين إن الفعلين عملا في هذا الاسم وهو يرى أن العاملين يعملان في المعمول الواحد وعلى هذا اختلافهم في نحو قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد وأمثاله فعلى قول الاولين يكون التقدير وعد الله المنافقين النار كوعد الذين من قبلكم ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم

من الامور المحرمة فانه هو المسئلة المقصودة بعينها وسائر المسائل انما جلبها تقرير القاعدة الكلية العظيمة المنفعة قال الله عز وجل (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلهم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقتهم فاستمتعتم بخلاقتكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقتهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسالهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أخلاق المنافقين وصفاتهم وأخلاق المؤمنين وصفاتهم وكلا الفريقين مظهر للاسلام ووعد المنافقين المظهرين للاسلام مع هذه الاخلاق والكافرين المظهرين للكفر نار جهنم وأمر نبيه بجهاد الطائفتين ومنذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف مؤمن ومنافق وكافر فاما الكافر وهو المظهر للكفر فأمره بين وإنما الغرض هنا متعلق بصفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة فانها هي التي تخاف على أهل القبلة فوصف الله سبحانه المنافقين بان بعضهم من بعض وقال في المؤمنين بعضهم أولياء بعض وذلك لان المنافقين تشابهت قلوبهم وأعمالهم وهم مع ذلك تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فليست قلوبهم متوادة متوالية الا مادام الغرض الذي يؤمونه مشتركاً بينهم ثم يتخلى بعضهم عن بعض بخلاف المؤمن فانه يحب المؤمن وينصره بظهر الغيب وان تناءت بهم الديار وتباعد الزمان ثم وصف سبحانه كل واحدة من الطائفتين بأعمالهم في أنفسهم وفي غيرهم وكلمات الله جوامع وذلك أنه لما كانت أعمال المرء المتعلقة بدينه قسمين أحدها أن يعمل ويترك والثاني أن يأمر غيره بالفعل والنكر ثم فعله اما أن يختص هو بنفسه أو ينفع به غيره فصارت الاقسام ثلاثة ليس لها رابع أحدها ما يقوم بالعمل ولا يتعاقب بغيره كالصلاة مثلاً والثاني ما يعمل له لغيره كالزكاة والثالث ما يأمر غيره أن يفعله فيكون الغير هو العامل وحظه هو الامر به فقال سبحانه في وصف المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وبازاءه في وصف المؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمعروف اسم جامع لكل ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح والمنكر اسم جامع لكل ما نهى الله عنه ثم قال ويقبضون أيديهم قال مجاهد يقبضونها عن الاتفاق في سبيل الله وقال قتادة يقبضون أيديهم عن كل خير فجاهد أشار الى الذنوع بالمال وقاتدة أشار الى الذنوع بالبدن وقبض اليد عبارة عن الإمساك

إلى قوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) قال غير واحد من السلف معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولون قد وافقونا في قبالتنا فيوشك أن يوافقونا في ديننا فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة إذ الحجة اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل إلا الذين ظلموا منهم وهم قريش فانهم يقولون عادوا إلى قبالتنا فيوشك أن يعودوا إلى ديننا فبين سبحانه أن من حكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الكافرين في قبالتهم ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة فإن الكافر إذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة وقل سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وهم اليهود والنصارى الذين افرقوا على أكثر من سبعين فرقة ولهذا نهى عن مشابهتهم في نفس التفرق والاختلاف مع أنه قد أخبر أن أمته ستتفرق على ثلاث وسبعين فرقة مع أن قوله لا تكن مثل فلان قد يعى مماثلته بطريق اللفظ أو المعنى وإن لم يعى دل على أن جنس مخالفتهم وترك مشابهتهم أمر مشروع ودل على أن كل ما بعد الرجل عن مشابهتهم فيما لم يشرع لنا كان أبعد عن الوقوع في نفس المشابهة المنهى عنها وهذه مصلحة جائلة وقال سبحانه لموسى وهرون (فاستقيا ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) وقال موسى لآخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلاح ولا تتبع سبيل المفسدين) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) الى غير ذلك من الآيات وماهم عليه من الهدى والعمل هو من سبيل غير المؤمنين ومن سبيل المفسدين والذين لا يعلمون وما يقدر عدم اندراجهم فى العموم فاللهى ثابت عن جنسه فيكون مفارقة الجنس بالكلية أقرب الى ترك المنهى ومقاربتة فى مظنة وقوع المنهى عنه قال سبحانه (وأزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فبا آتاكم) الى قوله (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) ومتابعتهم فى هديهم هى من اتباع ما يهوونه أو مظنة لاتباع ما يهوونه وتركها معونة على ترك ذلك وحسم الحادة متابعتهم فيما يهوونه (واعلم) أن فى كتاب الله من النهى عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التى فيها عبرة لنا بترك ما فعلوه كثير مثل قوله لما ذكر ما فعله باهل الكتاب من المثلى (فاعتبروا يا أولى الابصار) وقوله (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب) وأمثال ذلك ومنه ما يدل على مقصودنا ومنه ما فيه اشارة وتتميم للمقصود ثم متى كان المقصود بيان أن مخالفتهم فى عامة أمورهم أصلح لنا فجميع الآيات دالة على ذلك وإن كان المنصود أن مخالفتهم واجبة علينا فهذا إنما يدل عليه بعض الآيات دون بعض ونحن ذكرنا ما يدل على أن مخالفتهم مشروعة فى الجملة إذ كان هو المقصود هنا وأما تمييز دلالة الوجوب أو الواجب عن غيرها وتمييز الواجب عن غيره فليس هو الغرض هنا وسنذكر ان شاء الله ان مشابهتهم فى أعيادهم

فتكون موافقتهم دليلاً على المفسدة ومخالفتهم دليلاً على المصلحة واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التندير من باب قياس الدلالة وعلى الأول من باب قياس العلة وقد يجتمع الأمران أعني الحكمة الناشئة من نفس الفعل الذي وافقناهم أو خالفناهم فيه ومن نفس مشاركتهم فيه وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المأمور بهما والمنهى عنهما فلا بد من التفتن لهذا المعنى فإنه به يعرف معنى نهى الله لنا عن اتباعهم وموافقهم مطلقاً ومتقيداً (واعلم) أن دلالة الكتاب على خصوص الأعمال وتفاصيلها إنما يقع بطريق الاجمال والعموم أو الاستلزام وإنما السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وتدلل عليه وتعتبر عنه فحين نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة في الجملة ثم نتبع ذلك بالأحاديث المفسرة في أثناء الآيات بعدها * قال الله سبحانه (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) إلى قوله (والله ولي المتقين) أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيراً من بعضهم على بعض ثم جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمور شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته وأهواءهم وهو ما يهوونه وما عليه المشركون من هديه الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك فهم يهوونه وموافقهم فيه اتباع لما يهوونه ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسادين في بعض أمورهم ويسرون به ويودون أن نوبذلوهم مالا عظيماً ليحصل ذلك ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسن مادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضات الله في تركها وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه وأى الأمرين كان حصل المقصود في الجملة وإن كان الأول أظهر ومن هذا الباب قوله سبحانه (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه) إلى قوله (مالك من الله من ولي ولا واق) والضمير في أهوائهم يعود والله أعلم إلى ما تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه فدخل في ذلك كل من أنكر شيئاً من القرآن من يهودى أو نصرانى أو غيرها وقد قال (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك ومن هذا أيضاً قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير فانظر) كيف قال في الخبر ماتهم وفي النهى أهواءهم لأن التوهم لا يرضون إلا باتباع الملة مطاقاً والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه كما تقدم ومن هذا الباب قوله سبحانه (ولئن آتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك أذاً من الظالين)

في الهدى الظاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك منسدة لأمور منها أن المشاركة في الهدى الظاهر ثورت تناسياً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة نافي الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس فإن اللابس ثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام اليهم واللابس ثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق باخلاقهم ويصير طبعه متقاضياً لذلك إلا أن يمنعه مانع ومنها أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف على أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المناحين وأعدائه الخاسرين وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالاسلام الذي هو الاسلام لست أعنى مجرد التوسم به ظاهراً أو باطناً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً أو ظاهراً أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض السامعين أشد ومنها أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحسكية هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحاً محضاً لو تجرد عن مشابهمته فاما ان كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر فوافقته فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم فهذا أصل ينبغي أن يتنظرن له والله أعلم



فصل في

لما كان الكلام في المسئلة الخاصة قد يكون مندرجاً في قاعدة عامة بدأنا بذكر بعض ما دل من الكتاب والسنة والاجماع على الامر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهمتهم في الجملة سواء كان ذلك عاماً في جميع الانواع المخالفة أو خاصاً ببعضها وسواء كان امر إيجاب أو أمر استحباب ثم أتبعنا ذلك بما يدل على النهي عن مشابهمتهم في أعيادهم خصوصاً وهنا نكتة قد نهت عليها في هذا الكتاب وهو أن الامر بموافقة قوم أو بمخالفتهم قد يكون لان نفس قصد موافقتهم أو نفس موافقتهم مصلحة وكذلك نفس قصد مخالفتهم أو نفس مخالفتهم مصلحة بمعنى أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد أو مفسدة وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة لو تجرد عن الموافقة والمخالفة لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة ولهذا نحن نتفح بنفس متابعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والسابقين في أعمال لولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا مصالحة لا يورث ذلك من محبتهم وأتلاف قلوبنا بقلوبهم وان كان ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى إلى غير ذلك من الفوائد كذلك قد نتضرر بموافقتنا للكافرين في أعمال لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها وقد يكون الامر بالموافقة والمخالفة لان ذلك الفعل الذي يوافق فيه أو يخالف متضمن للمصلحة والمفسدة ولولم يفعلوه لكن عبر عنه بالموافقة والمخالفة على سبيل الدلالة والتعريف

ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيراً منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه * قال تعالى (اتخذوا أجباً لهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية وفسره النبي صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم رضى الله عنه بأنهم أحلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمر به وإن تضمن تحايل حرام وتحريم حلال * وقال سبحانه عن الضالين (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) وقد ابتلى طوائف من المسامين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليهم وقال سبحانه (قل الذين غلبوا على أمرهم لننخذنّ عليهم مسجداً) فكان الضالون بل والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن ذلك في غير موضع حتى في وقت منارقه الدنيا باني هو وأمى ثم إن هذا قد ابتلى به كثير من هذه الأمة ثم إن الضالين تجده عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون في أمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات ثم إنك تجد أن قد ابتليت هذه الأمة من اتخاذ السماع المطرب بسماع القصائد وإصلاح القلوب والأحوال به ما فيه مضاهاة لبعض حال الضالين (وقال) سبحانه (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) فآخبر أن كل واحدة من الامتين تجحد كل ما لاخرى عليه وأنت تجد كثيراً من المتفقهة اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدّهم إلا جهالاً ذللاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفقهة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى أن المتمسك بهما منقطع عن الله وأنه ليس عند أهلها بما ينفع عند الله شيء وإنما الصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً والآثار الفارسية قولاً وعملاً ما لا يخفاء فيه على مؤمن عليم بدين الاسلام وبما حدث فيه وليس الغرض هنا تفصيل الامور التي وقعت في الأمة مما تضارع طريق المغضوب عليهم أو الضالين وإن كان بعض ذلك قد يقع مغفوراً لصاحبه اما لاجتهاد أخطأ فيه واما لحسنات محبت السيئات أو غير ذلك وإنما الغرض أن يتبين ضرورة العبد وفاقه إلى هداية الصراط المستقيم وإن يفتتح له باب إلى معرفة الانحراف ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والاطعام والركوب وغير ذلك وهذه الامور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة مما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة وما يقوم بالظاهر من سائر الاعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنته وهي الشريعة والمهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الاعمال والاقوال ما يبين سبيل المغضوب عليهم والضالين فأمر بمخالفتهم

وصنفهم بكتان العلم في غير آية مثل قوله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) الآية وقال تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الآية وقال (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) الآية وقال تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) الآية فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم تارة بخلافة وتارة اعتياضاً عن اظهاره بالدنيا وتارة خوفاً أن يحتج عليهم بما أظهروه منه (وهذا) قد ابتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فانهم تارة يكتمون العلم بخلافة وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل مانالوه وتارة اعتياضاً برياسة أو مال ويخاف من اظهاره انتقاص رياسته أو نقص ماله وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة أو اعترى إلى طائفة قد خولفت في مسألة فيكتم من العلم مافيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن ان مخالفه مبطل (ولهذا) قال عبد الرحمن بن مهيدي وغيره أهل العلم يكتبون ما لهم وعليهم وأهل الاهواء لا يكتبون الا ما لهم وليس الغرض تفصيل ما يجب وما يستحب بل الغرض التنبيه على مجامع يتنظن اللبيب بها لما ينفعه الله به قال تعالى (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه) الآية بعد ان قال (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به والداعي اليه فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له فانهم لا يقبلون الحق الا من الطائفة التي هم منتسبون اليها مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفهمة أو المتصوفة وغيرهم أو إلى رئيس معظم في الدين غير النبي صلى الله عليه وسلم فانهم لا يقبلون من الدين رأياً ورواية الا ما جاءت به طائفتهم ثم انهم لا يعملون ما توجبهم طائفتهم مع ان دين الاسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً ورواية ورأياً من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول صلى الله عليه وسلم (وقال) تعالى في صفة المغضوب عليهم (يحرفون الكلم عن مواضعه * ويلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) والتحريف قد فسر تحريف التنزيل وتحريف التأويل (فأما) تحريف التأويل فكثير جداً وقد ابتليت به طوائف من الامة (وأما) تحريف التنزيل فقد وقع فيه كثير من الناس يحرفون ألباط الرسول ويروون أحاديث بروايات منكورة وان كان الجهاذة يدفعون ذلك وربما تطاول بعضهم إلى تحريف التنزيل وإن لم يمكنه ذلك كما قرأ بعضهم وكلم الله موسى تكليماً واما إلى السنة بما يظن أنه من عند الله فكوضع الوضعين الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اقامة ما يظن أنه حجة في الدين وليس بحجة وهذا الضرب من نوع أخلاق اليهود وذمها كثير لمن تدبر في كتاب الله وسنة رسوله ثم نظر بنور الايمان إلى ما وقع في الامة من الاحداث (فقال) سبحانه عن النصارى (يا أهل الكتاب لاتعولوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم) الآية وقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) إلى غير ذلك من المواضع ثم إن الغلو في الانبياء والصالحين قد وقع في طوائف من

(السيد) وهذا خطاب لنصارى كما دل عليه السياق ولهذا نهاهم عن الغلو وهو مجاوزة الحد كما نهاهم عنه في قوله (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته) الآية واليهود مقصرون عن الحق والنصارى غالون فيه (فأما) وسم اليهود بالغضب والنصارى بالضلal فله أسباب ظاهرة وباطنة ليس هذا موضعها وجماع ذلك أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً أولاً قولاً ولا عملاً وكفر النصارى من جهة علمهم بلا علم فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون (ولهذا) كان السلف كسفيان بن عيينة وغيره يقولون من فسد من علمائنا فنيه شبه من اليهود ومن فسد من عبائنا فنيه شبه من النصارى وليس هذا أيضاً موضع شرح ذلك ومع أن الله قد حذرنا سبيلهم فقضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله مما سبق في عامه حيث قال فيما أخرجه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من كان قبلكم حدوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدختموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن وروى البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى ما أخذ التمر من شبراً بشبر وذراعاً بذراع فقليل يا رسول الله كفارس والروم قال ومن الناس إلا أولئك فأخبر أنه سيكون في أمتة مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب ومضاهاة لفارس والروم وهم الاعاجم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء وليس هذا اخباراً عن جميع الأمة بل قد تواتر عنه أنه قال لا تزال من أمتى طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة وإن الله لا يزال يفرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته فعمل بخبره الصدق أن في أمتة قوماً متمسكين بهدي الذي هو دين الاسلام محضاً وقوماً منحرفين الى شعبة من شعب اليهود أو الى شعبة من شعب النصارى وإن كان الرجل لا يكفر بكل الانحراف بل وقد لا يفسق أيضاً بل قد يكون الانحراف كفراً وقد يكون فسقاً وقد يكون سيئة وقد يكون خطأ وهذا الانحراف أمر تتماضه الطبائع ويزينه الشيطان فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية الى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلاً (وأنا أشير) الى بعض أمور أهل الكتاب والاعاجم التي ابتليت بها هذه الأمة ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم الى صراط المفضوب عليهم أو الضالين قال الله سبحانه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) الآية فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم (وقد) يتلى بعض المنتسبين الى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم أو عمل صالح وهو خنق منموم مطلقاً وهو في هذا الموضع من أخلاق المفضوب عليهم قال سبحانه (إن الله لا يحب كل مختال فخور الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) فوسفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر فلذلك

والناس في جاهلية جهلاء ومن مقالات يظنونها علماً وهي جهل وأعمال يحسبونها صلاحاً وهي فساد وغاية
البارع منهم علماً وعملاً أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الانبياء المتقدمين قد اشتبه عليهم حقه
بباطله أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلاً أو أن
يكبح بنظره كبح المتفاسدة فتدوب بهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الاخلاق حتى يصل
ان وصل بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب لا يروى ولا يشفي من العلم الالهي باطله
أضعاف حقه ان حصل وأتى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله والاضطراب وتعذر الأدلة عليه
والاسباب فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من البينات والهدى هداية
جاءت عن وصف الواصفين وفاق معرفة العارفين حتى حصل لامته المؤمنين عموماً ولأولى العلم منهم
خصوصاً من العلم النافع والعمل الصالح والاخلاق العظيمة والسنن المستقيمة ما لو جمعت حكمة سائر
الأمم علماً وعملاً الخالصة من كل شوب إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتوا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة
بينهما فله الحمد كما يحب ربنا ويرضى (ودلائل) هذا وشواهد ليس هذا موضعها ثم انه سبحانه بعثه بدين
الاسلام الذي هو الصراط المستقيم وفرض على الخلق ان يسألوه هدايته كل يوم في صلاتهم ووصفه بأنه
صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين
(قال) عدى بن حاتم رضى الله عنه أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فقال
القوم هذا عدى بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت إليه أخذ بيدي وقد قل قبل ذلك
اني لا أرجو أن يجعل الله يده في يدي قال فقام بي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا ان لنا اليك حاجة
فقام معهم حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقته له الوليدة وسادة فجلس عليها
وجلس بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما يفرك أيفرك أن تقول لا إله إلا الله فهل تعلم من إله
سوى الله قال قلت لا ثم تكلم ساعة ثم قال إنما يفرك ان تقول الله أكبر أو تعلم شيئاً أكبر من الله قال قلت
لا قال فان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال قال فقلت فاني حنيف مسلم قال فرأيت وجهه ينبسط
فراحوذكراً حديثاً طويلاً رواه الترمذي وقال هذا حسن غريب وقد دل كتاب الله على معنى هذا الحديث
قال الله سبحانه (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم
الفرقة والخصام وعبد الطاغوت) والضمير عائد إلى اليهود والخطاب معهم كما دل عليه سياق الكلام وقول
تعالى (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم) وهم المنافقون الذين تولوا اليهود
باتفاق أهل التفسير وسياق الآية يدل عليه وقال تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس وبأؤا بغضب من الله) وذكر في آل عمران قوله تعالى (وبأؤا بغضب من الله) وهذا بيان ان اليهود
مغضوب عليهم وقال في النصارى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) إلى قوله (قل يا أهل الكتاب
لا تغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الاسلام ديناً وأمرنا أن نستهديه صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالدين القيم والملة الحنيفية وجعله على شريعة من الامر أمره باتباعها وأمره بأن يقول هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً (وبعد) فإني قد نهيت اما مبتدئاً واما مجيباً عن التشبه بالكفار في أعيادهم وأخبرت ببعض ما في ذلك من الاثر القديم والدلالة الشرعية وبينت بعض حكمة الشرع في مجانبه هدى الكفار من الكتابيين والاميين وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والاعاجم وإن كانت هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة كثيرة الشعب وأصلاً جامعاً من أصولها كثير الفروع لكن نهيت على ذلك بما يسره الله تعالى وكتبت جواباً في ذلك لم يحضرني الساعة وحصل بسبب ذلك من الخير ما قدره الله سبحانه ثم بلغني بآخره ان من الناس من استغرب ذلك واستبعده لمخالفة عادة قد نشؤا عليها وتمسكوا في ذلك بعمومات واطلاقات اعتمدوا عليها فاقضاني بعض الاصحاب أن أعلق في ذلك ما يكون فيه اشارة إلى أصل هذه المسئلة لكثرة فائدتها وعموم المنفعة بها ولما قد عم كثيرا من الناس من الابتلاء بذلك حتى صاروا في نوع جاهلية فككتبت ما حضرني الساعة مع اني لو أستوفي ما في ذلك من الدلائل وكلام العلماء واستقرت الآثار في ذلك لوجد فيه أكثر مما كتبت ولم أكن أظن ان من خاض في الفقه ورأى إيماناً آت الشرع ومقاصده وعلل الفقهاء ومسائلهم لم يشك في ذلك بل لم أكن أظن ان من قرأ الإيمان في قلبه وخلص اليه حقيقة الاسلام وأنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه اذا نبه على هذه النكتة إلا كانت حياة قلبه وصحة إيمانه توجب استيقاظه بأسرع تنبيه ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه

(فصل) اعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق وقد مقت أهل الارض عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ماتوا أو أكثرهم قبل مبثته والناس إذ ذاك أحد رجلين اما كتابي معتصم بكتاب اما مبدل وإما منسوخ ودين دارس بعضه مجهول وبعضه متروك وإما أمي من عربي وعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك

Ibn Taymiyyah

كتاب

انتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

تأليف

الحافظ تقي الدين حجة الاسلام • قدوة

الانام • قانع البدعة • بركة الامه • أبي

العباس أحمد بن عبد الحلیم بن

عبد السلام بن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨ رحمه

الله ورضي عنه

وأرضاه

آمين

الطبعة الاولى

على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه

١٣٢٥ هـ - المطبعة الشرفية - ١٩٠٧ م

Princeton University Library



32101 077792024

